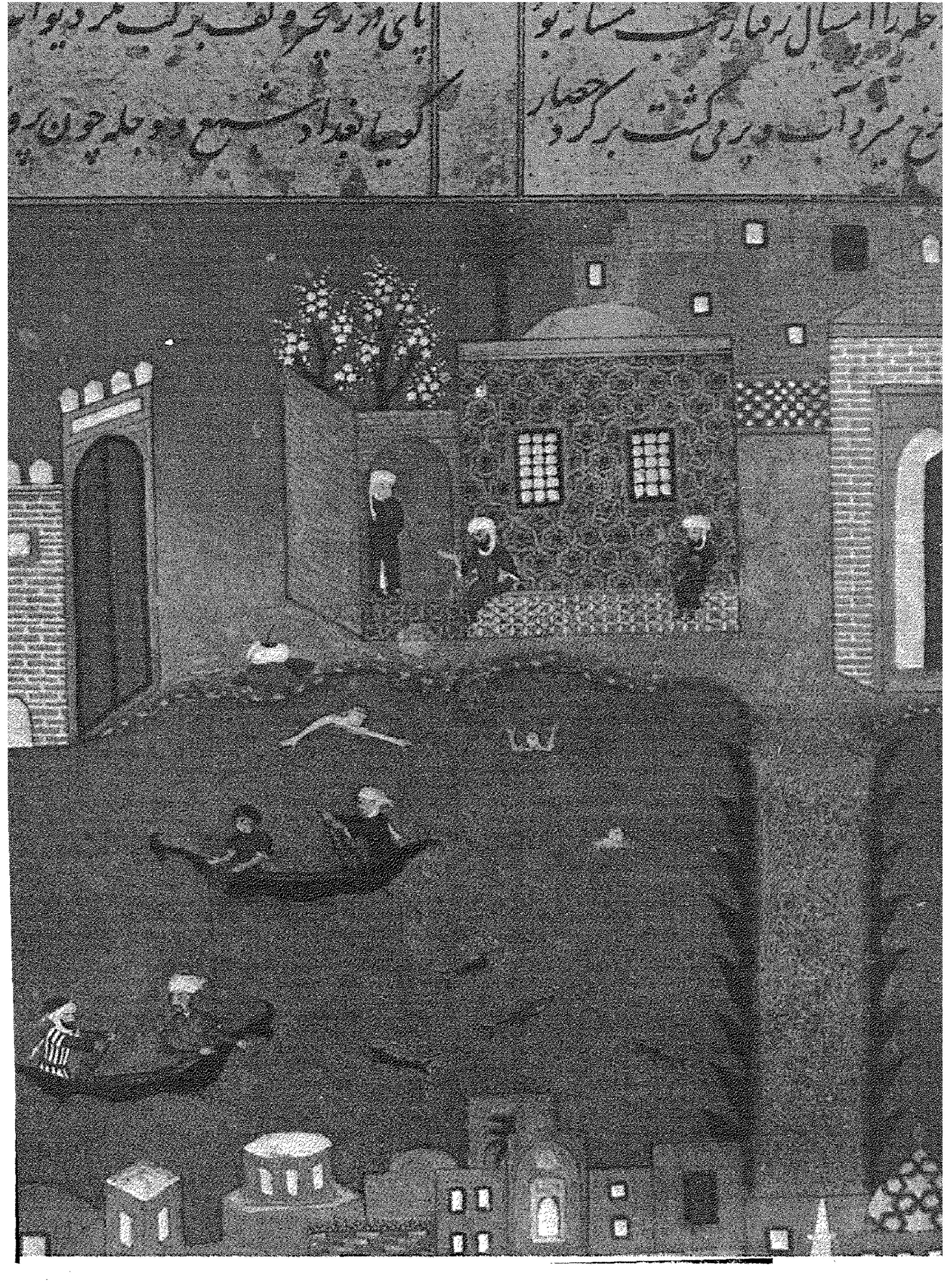
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة السادسة • العددان ٦٤ - ٦٥ • شباط (فبراير) - آذار (مارس) ١٩٨٤م • الموافق جمادى الأولى - جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ





□ بغداد في العهد العباسي (اواخر القرن الثاني عشر)

تاريخ العرب والعالم

العددان ٦٤/٦٥ ــ شباط ــ آذار ١٩٨٤ م

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

صاحبها ورئيس تحريرها : فاروق البربير

المستشار : د. أنيس صايغ المدير المسؤول : محمد مشموشي

قسم التوثيق والابحاث : شذا عدرة

قسم التوزيع والاشتراكات : علي عبدالساتر

المخرج الفني : سالم زين العابدين

الانتاج: مطبعة المتوسط: ش.م.ل.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.

ثمن النسخة

لبنان	:	٦ ل.ل.	سوريا	:	٩ ل.س.
العراق	:	١ دينار	تونس	:	١,٥ دينار
السعودية	:	١٠ ريال	الكويت	:	١ دينار
الأردن	:	٨٠٠ فلس	الامارات	:	١٠ درهم
البحرين	:	١ دينار	قطر	:	١٠ ريال
مسقط	:	١٠٠٠ بيزة	بريطانيا	:	١,٥ جنيه
صنعاء	:	١٠ ريال	ليبيا	:	١ دينار
			مصر	:	١ جنيه

الاشتراكات
(بما فيها أجور البريد الجوي)

- في لبنان: للأفراد ١٠٠ ل.ل.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٢٥٠ ل.ل.
- في الوطن العربي: للأفراد ٣٥ دولاراً
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ٧٥ دولاراً.
- خارج الوطن العربي: للأفراد ٥٠ دولاراً.
- للمؤسسات والدوائر الحكومية ١٠٠ دولاراً.
- اشتراك تشجيعي ٥٠٠ ل.ل.
- تدفع قيمة الإشتراك مقدماً نقداً أو حوالة مصرفية

ص.ب ٥٩٠٥ ــ بيروت، لبنان ● بناية أبو هليل
شقة ١١ ● شارع السادات ــ تلفون: ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
PERIODICAL ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM SADATE ST.
ABOU HILEIL BLG. P.O.B. 5905 TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

Vol. 6 — No. 64/65 — Feb./Mar. 1984

ANNUAL SUBSCRIPTION : $100 (INCLUDING $25 FOR ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMMUNICATIONS, INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
«HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD»

في هذا العدد

■ المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الإجتماعية للكتاب. تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط ■

الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه

ت : ١٧٩ هـ

د. سُهيل زكار

كانت المدينة المنورة دار هجرة النبي، وأصحابه، ومقر العلم الاسلامي، حيث فيها كمل بناء الشريعة الاسلامية، وفيها طبقت مبادىء هذه الشريعة أيام النبي و خلفاء الراشدين من بعده، وفي أيام النبي كان هو المرجع بالنسبة لكل شؤون الأمة، وبعد وفاته صار أصحابه هم المرجع، وبعد الصحابة جاء عصر التابعين، وكانت الدولة الاسلامية العظمى قد قامت، وانتشر الاسلام في الارض، وبدأ يظهر إلى الوجود معالم مدارس الفقه الاسلامي والفكر بشكل عام.

□ مسجد الرسول بالمدينة المنورة من الداخل

□ د. سهيل زكار: أستاذ التاريخ الاسلامي في جامعة دمشق.



وعرف تاريخ الاسلام عددا من المدارس منها ما كتب له استمرار الحياة ومنها ما انقرض، وكان على راس المدارس المستمرة مدرسة أهل العراق ومدرسة أهل الحجاز وقد عرفت مدرسة أهل العراق باسم مدرسة أهل الرأي، في حين اشتهرت مدرسة أهل الحجاز باسم مدرسة أهل الحديث، ذلك بسبب أن أهل الحجاز كانوا في القرنين الأول والثاني أعرف الناس بحديث الرسول، وأخبرهم بقوله وعمله وتقديراته، مع سيرته ومغازيه، وكانوا أقدر من غيرهم على فهم القرآن، فهو قد نزل بلغة قريش.

ومن بين أهل الحجاز كان سكان المدينة هم الأغنى علما بالتراث، وقد برز في المدينة عدد من اقطاب العلماء كان مسلكهم في العمل الفقهي قائم على الوقوف عند النص لكثرة بضاعة أهل بلدهم من النصوص، ولطبيعة المواريث وسذاجة الحياة وقلة مشاكلها بالمقارنة مع البلدان الاسلامية الأخرى، ولوجود الكعبة وقبر الرسول في الحجاز.

ورأى علماء المدينة أن أتباع الراي أخذ بالهوى والغرض، وبالتالي إدخال في دين الله ما ليس منه، لذلك كانوا إذا استفتوا في مسألة عرضوها على كتاب الله ثم سنة رسوله، فإن وجدوا أحاديث مختلفة فاضلوا بينها بالراوي، أو عرضوا الحلول دون إبداء الرأي في المفاضلة.

والاعتماد على الحديث كان له الأثر الأكبر في الانصراف نحو جمع السنة النبوية، وتنقيتها من كافة الشوائب بوضع قواعد نقدية كانت من الدقة بمكان، جعلت فيما بعد العمل في ميدان جمع الحديث فنا قائما بذاته، وعلما له قواعده وقوانينه، مع أهدافه ومواضيعه، وبات من المسلم به أيامنا هذه أن ما توصلت إليه العلوم الحديثة من إبداع لقواعد النقد التاريخي الوثائقي لا يسمو لنفس درجة قواعد المحدثين في الدقة والأصالة وسلامة النتائج.

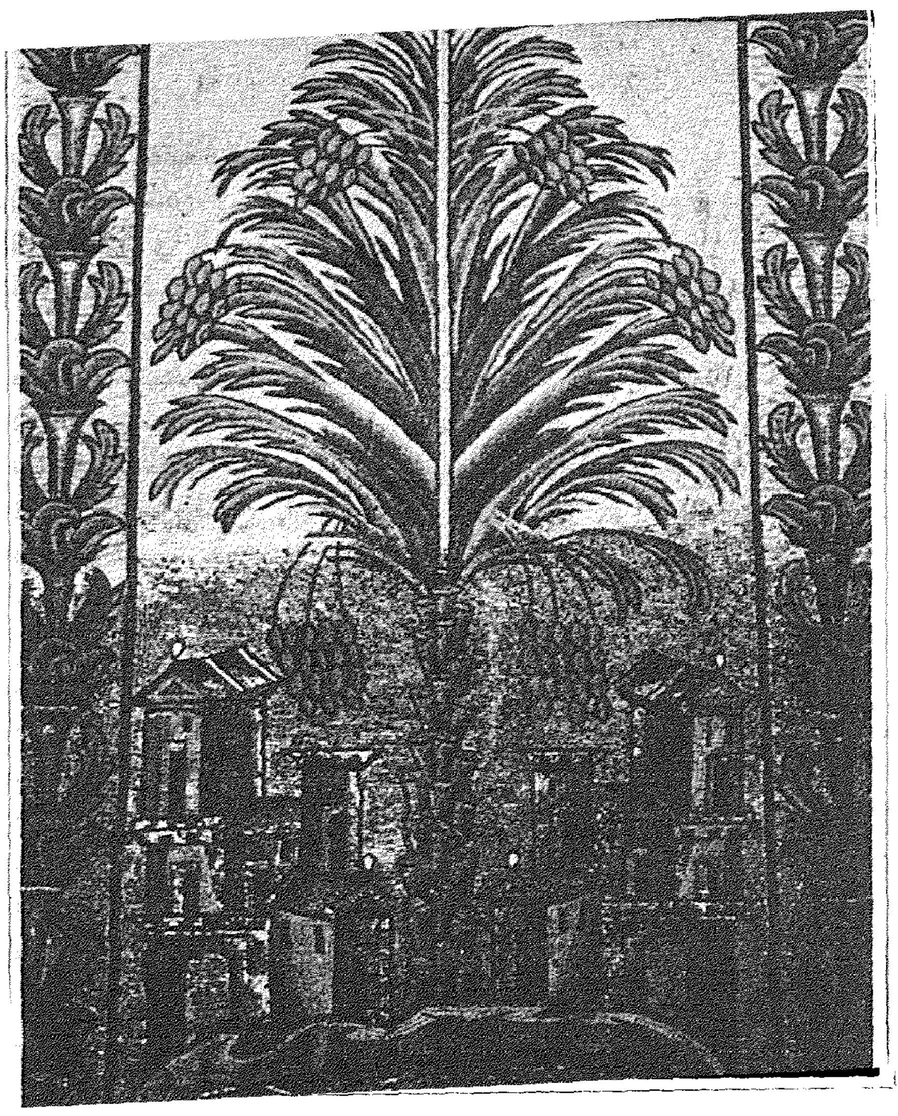
من الصعب القيام بتقديم عرض دراسي عن مشاهير الذين اسهموا في بناء أسس مدرسة الحديث، لكن لعل الحديث عن الامام مالك بن أنس يغني عن ذلك، لا من منطلق تمجيد دور الفرد في صناعة التاريخ، إنما على أساس القول أن علما بارزا كالامام مالك هو في الأصل محطة لدور سابق، اضيف إليه عبقرية شخصية. فالامام مالك هو أبرز واضعي أسس مدرسة الحديث الفقهية، وعلى تراثه بني مذهب المالكية وطور من قبل علماء منهم من أخذ على مالك مباشرة ومنهم من يلقه ولم يأخذ عنه مباشرة، وهذا المذهب هو الصانع الأكبر لحضارة وتاريخ المسلمين في الغرب الاسلامي وإفريقية. وهو أيضا المؤثر الاسلامي الأكبر في تاريخ التشريعات الأوروبية.

وقبل الاستطراد على هذا النحو ضروري أن نقف عند معالم حياة الامام مالك، فهو مالك بن انس، ولدكما هو مرجح في المدينة سنة ٩٣ هـ، من أبوين عربيين، من أصل يماني، وفي طفولته دفع إلى من مكّنه من حفظ القرآن، ثم اذن له اهله بحضور مجالس العلماء، وكانت امه أشد المتحمسين لتعليمه، عنيت بشبابه ومظهره الخارجي، وسهرت على اختيار أحسن الأساتذة له، ووجهته نحو العلماء وساعدته على التنقل في مجالسهم، وكان ربيعة الرأي وعبد الرحمن بن هرمز أهم شيوخ مالك فهو قد لزم ابن هرمز ثلاث عشرة سنة، وكان معجبا به، مقدرا لعلمه.

وكان الامام مالك مجدا في طلب العلم، صبورا، بذل ما كان في طاقته الجسمانية والمادية للتحصيل دونما ملل، وكان يضحي بكل شيء في سبيل العلم، ويتحمل المشاق مع حدة الشيوخ، وشغل الامام نفسه بجمع الحديث النبوي، وكان صارما مع نفسه أديبا أمام الحديث النبوي، يطلبه من عند الثقات وأهل الفهم والدراية، وكان قد أوتي فراسة المؤمن في فهم الرجال وإدراك قوة عقولهم، ومقدار فقههم.

وكان الامام مالك يتلقى العلم بوعي وعقل، بحيث كان لا يزدرد ما كان يلقى إليه ازدرادا، بل كان يفحصه ويمحصه، فيقبل بعضه ويرفض بعضه الآخر، وبعد تحصيل طويل، وشهادة العلماء بالعلم له، جلس في المسجد النبوي يحدث ويملي، وقد اختار من المسجد المكان الذي كان عمر بن الخطاب يجلس به، كما اتخذ من الدار التي كانت لعبد الله بن مسعود دارا له...

كان الامام مالك لفترة من حياته يدرس في المسجد وفي بيته، إنما اضطر بسبب مرض ألم به



□ موزاييك يرجع إلى القرن الثامن للميلاد (الجامع الاموي).

إلى التزام بيته فقط، وكانت أيام عمله مبرمجة، بحيث خصص أوقاتا للحديث وأخرى للافتاء في النوازل، واستمر هكذا مدة خمسين عاما، أي حتى وفاته عام ١٧٩هـ، وكان في مجلسه يأخذ نفسه أخذا شديدا، كان جادا كل الجد، ومتواضعا وكريما إلى أبعد الحدود، وكان لا يجيب في نازلة إلا بعد فحص وتريث، ولا يخجل أن يقول: لا أعرف، رغم أنه كان أعلم أهل زمانه، ومرد هذا إلى كونه كان قوي العزم، حديد الارادة، قهر أهواء النفس وأمات شهواتها فلذلك لم يضعف إلا أمام الخالق.

هابه كل ذي سلطان حتى المنصور العباسي نفسه، وكان زهده وإيمانه وسلوكه محمديا، بحيث أنه اعتنى بمظهره بلا تفاخر أو رياء، واعتنى بأثاث بيته وبملبسه ونظافته.

ومعروف أن الامام مالك شهد نهاية الدولة الأموية، ثم قيام الخلافة العباسية، وفي أيام المنصور سعى هذا الخليفة نحو تطبيق سياسة دينية خاصة استهدفت تقريب العلماء ليكونوا إحدى أدوات السلطة، واعتبر المنصور كل من لا يتعاون معه يمكن أن يكون مرتبطا بقوة معادية له، وقد تشدد في هذا الموقف أيام ثورة النفس الزكية، وصدف أن أفتى الامام مالك أثناء الثورة بحديث «ليس على مستكره يمين» فرأت السلطة العباسية في ذلك تقديم تسهيلات للثورة، فاعتقلت الامام وعرضته للاهانة والعذاب، وكان لهذا الأمر وقع شديد على المسلمين، فسارع المنصور بإصدار أمره بإطلاق سراح الامام مالك، وفي الموسم جاء المدينة، واجتمع بالامام، واعتذر له، وكلفه بتدوين كتاب في الفقه والحديث فاستجاب الامام وصنف كتاب الموطأ.

والموطأ أول كتاب من نوعه تم تدوينه، رغم أن محاولات جمع السنة وتدوينها أقدم منه، وهو كتاب فقه وحديث، ذكر فيه الامام مالك المواضيع الفقهية، ومع كل موضوع الأحاديث الواردة حوله، ثم عمل أهل المدينة، ثم آراء

وفتاوى الصحابة والتابعين ومن عمل الامام في هذا الكتاب يمكن أن نرى قواعد عمله في مذهبه الذي انتشر في الغرب الاسلامي ولم يكتب له النجاح في الشرق.

وتعود أسباب ذلك إلى خلفيات سياسية وحضارية واجتماعية منها ما امتد لما قبل الاسلام، ومنها ما ارتبط بشأن تطور مدرسة أهل العراق الفقهية، وقيام الثورة العباسية، فأثر ذلك على أوضاع بلدان الاسلام خاصة في الغرب الذي لم تدخل بعض أراضيه تحت الحكم العباسي.

ومفيد أن نتذكر أنه بعد قيام الدولة الاسلامية الكبرى، وبناء القوة البحرية الاسلامية، صار الجزء الأكبر من البحر المتوسط بيد المسلمين، وحدث تحول في طرق التجارة العالمية، فقد تغيرت الأسواق المستهلكة، كما تبدلت أنواع البضائع، ولم تعد كل الطرق تقود إلى روما بل إلى حواضر الاسلام، وبعد قيام الخلافة العباسية، صارت بغداد «روما» العرب والاسلام، وصارت كل القوافل وجهتها الأخيرة ومنطلقها بغداد.

ومن الملاحظ أن موقع مكة لما قبل الاسلام على طرق التجارة العالمية دفعها نحو تزعم عالم شبه الجزيرة، ثم هيأها مع عوامل أخرى خطيرة، لتكون مركز تفجر ثورة الاسلام، ومرة ثانية بعد قيام الاسلام، وانتشاره في الشمال الافريقي والأندلس، وجد المسافرون من الغرب نحو الشرق، أنفسهم عند حلولهم مصر أن المدينة هي محطتهم الأولى والعظمى قبل التوجه نحو العراق، وهكذا نال القادمون للتعلم والتفقه دروسهم الأساسية في المدينة، ثم ذهب بعضهم لاستكمال التعليم في العراق، وكثير منهم لم يذهب، بل اكتفى بما نهله من دار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا المجال ينبغي ألا يفوتنا التنبه إلى أن العباسيين كان لهم سياسة دينية خاصة ونشطة، ثم إن عالم القرن الثامن للميلاد ثم التاسع من بعده، عرف تيارات فكرية سياسية نادت بوحدة المذهب العقائدي للدولة، وطبيعي أن نجد هذا لدى العباسيين، فهم قد وصلوا إلى السلطة بواسطة ثورة انطلقت من شرعية مفاهيم الاسلام القائمة على المزج، وبهذا اختلف حالهم عن بني أمية، فمعاوية نال الخلافة من وراء المطالبة بدم عثمان.

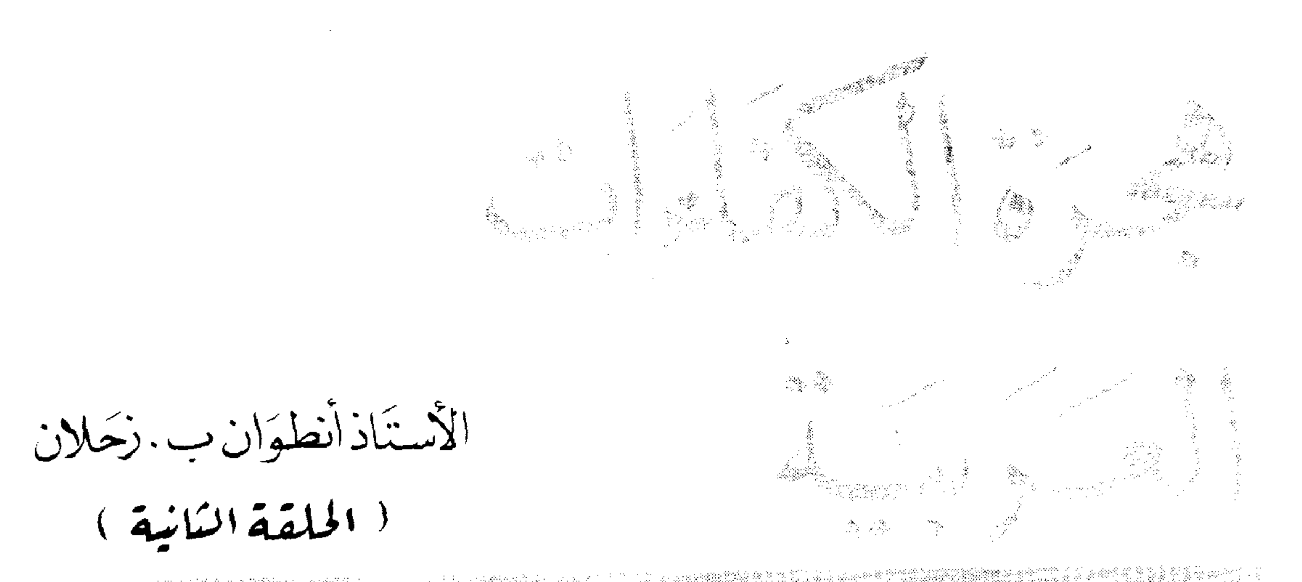
وبعد شيء من التردد اعتمد العباسيون الأوائل في سياستهم الدينية على مدرسة العراق السنية، ذلك أن العراق بكوفته عرف عدة مدارس مذهبية، كان أبرزها: المدرسة السنية، ثم المدرسة الشيعية، ثم مدرسة الخوارج، وحيث أن العباسيين كانوا أعداء الخوارج، ثم لعملهم منذ أيام المنصور على الانفصال الكلي عن الحركة الشيعية، فقد دعم العباسيون الأول مدرسة أهل السنة، وتبنوها وأرادوا احتضانها، فتم لهم ذلك بعدما تأسست أركان هذه المدرسة على يد أبي حنيفة بوقت وجيز.

وفي الغرب الاسلامي، خاصة في الأندلس، وجد أمراء الأندلس، بعد عبد الرحمن بن معاوية، أنفسهم بحاجة إلى تقليد طرائف العباسيين، أو لنقل: إن الحكم الذي تم نيله بالاعتماد على الصراع القبلي، وجد نفسه بحاجة إلى دعائم لسلطته غير عمليات التوازن بين العصبيات، فكان أن لجأ إلى اعتماد سياسة دينية خاصة، وطبعا أن هذا العمل كان أمرا لا بد منه في أي دولة إسلامية، وخاصة لدى دول المواجهة مع أعداء الاسلام.

وكانت المواجهة هذه تفرض التظاهر بمظهر المثالية كما فرضت التشدد والتعصب ومثالية الاسلام تؤخذ من المدينة لا من سواها، والمدينة هي غير الكوفة، وتلميذها متميز عن تلميذ مدرسة الكوفة، ومستقل عنه وغير تابع.

هذا وإن اعتماد السلطة العباسية على مدرسة الكوفة السنية، جعل بلا شك القادمين على مدرسة المدينة يفتشون عن مناطق نفوذ ونشاط: ويؤيد هذا استقرار تلاميذ الامام مالك الكبار في مصر، ثم ما روي عنه نفسه من تحبيذ لبعض أمراء الأندلس.

وعلى كل حال مهما قلنا عن الأسباب التي ادت إلى انتشار مذهب المالكية في الغرب الاسلامي، فإنه مما لا ريب فيه أن المالكية حملت مسؤولية نشر الاسلام في إفريقية وكانت المبدع الأساسي لتاريخ وحضارة وشخصية الغرب الاسلامي. ●



الأستاذ أنطوان ب. زحلان

(الحلقة الثانية)

تتضمن هذه الدراسة المعلومات المتاحة عن تحركات القوى العاملة العربية ذات المستويات العالية. ولقد تناولنا فيها التعقيدات الخاصة بالتدفقات، وكذلك النقص وعدم الدقة في المعطيات. أضف إلى ذلك، ان صورة كمية لتدفقات القوى العاملة العربية ذات المستويات العالية قد رسمت على سبيل التجربة.

وبنيت هذه الصورة على أساس افتراضات مؤداها أن أفراد القوى العاملة ذات المستويات العالية الذين يسكنون الولايات المتحدة بشكل دائم يبلغ تقريبا ثلاثة أضعاف عدد المهاجرين إليها، في حين بلغ عدد المهاجرين إلى كندا وفرنسا وبريطانيا والبلدان الأوروبية الأخرى على التوالي ١ و ٢ و ١ و ٠,٥ من المرات لعدد القوى العاملة ذات المستويات العالية المهاجرة إلى الولايات المتحدة.

وقد تم تقدير ذوي الكفاءات العالية من القوى العاملة العربية حسب نوع دراستهم. وتقدر نسبة المهندسين والعلماء والأطباء الذين هاجروا بـ ٢٣ و ١٥ و ٥٠ بالمئة على التوالي. كما قدرت نسبة حاملي شهادة الدكتوراه بـ ٢٤٠٠٠ أي بزيادة تبلغ ١٠ بالمئة سنويا. وتبلغ نسبة الهجرة عند فئة الأطباء حوالي ٣٣ بالمئة.

وقد تم البحث في أسباب هجرة الكفاءات على ضوء وجهات النظر لفئات مختلفة من البلدان. ويتساءل الكاتب في ختام البحث عن سبب بقاء هذا العدد من أصحاب الكفاءات ذات المستويات العالية في بلدانهم، وليس عن سبب هجرتهم. ويؤكد على الأهمية التي يجب إعطاؤها لطريقة الاستفادة من هذه المجموعات استفادة كلية. وفيما يلي الحلقة الثانية والأخيرة من هذه الدراسة.

معايير ومقاييس



إن اعتبار هجرة ١٠٠٠ أو ١٥٠٠٠ مهندس إلى الخارج أمر خطير أو غير ذي بال يخضع لعدة عوامل. والمعياران الأكثر أفضلية هما: (١) حجم مجموعة الاخصائيين الفنيين التي تشهد تدفق العقول للخارج، (٢) معدل الانتاج السنوي لهذا النوع من الاخصائي أو الفني.

في الشكل رقم (١) رسم بياني على سلم شبه لوغاريتمي بالعدد التراكمي لخريجي الجامعات العربية في عشر دول عربية[٥]. وقد افترضنا أن

□ الأستاذ انطوان ب. زحلان: أستاذ زائر ــ جامعة سكس.

(*) يشكل هذا البحث موجزا عن الدراسة التي قدمت إلى ندوة السكان والتنمية في منطقة اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا والتي عقدت في عمان، الأردن، بين ١٨ و ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨.

اول صف للتخرج كان في عام ١٩٥٠/١٩٥١ (لذلك ينحرف المنحنى عن النمو الأساسي في الفترة ١٩٥٠ ــ ١٩٥٨). ويتضاعف عدد الخريجين كل ٥,٣ سنوات. وبذلك، كان هنالك على سبيل المثال حوالي ٧٦٠٠٠٠ خريج في عام ١٩٧٥ وسيصبح عددهم في عام ١٩٨٠ ١,٥ مليون، وهكذا دواليك.

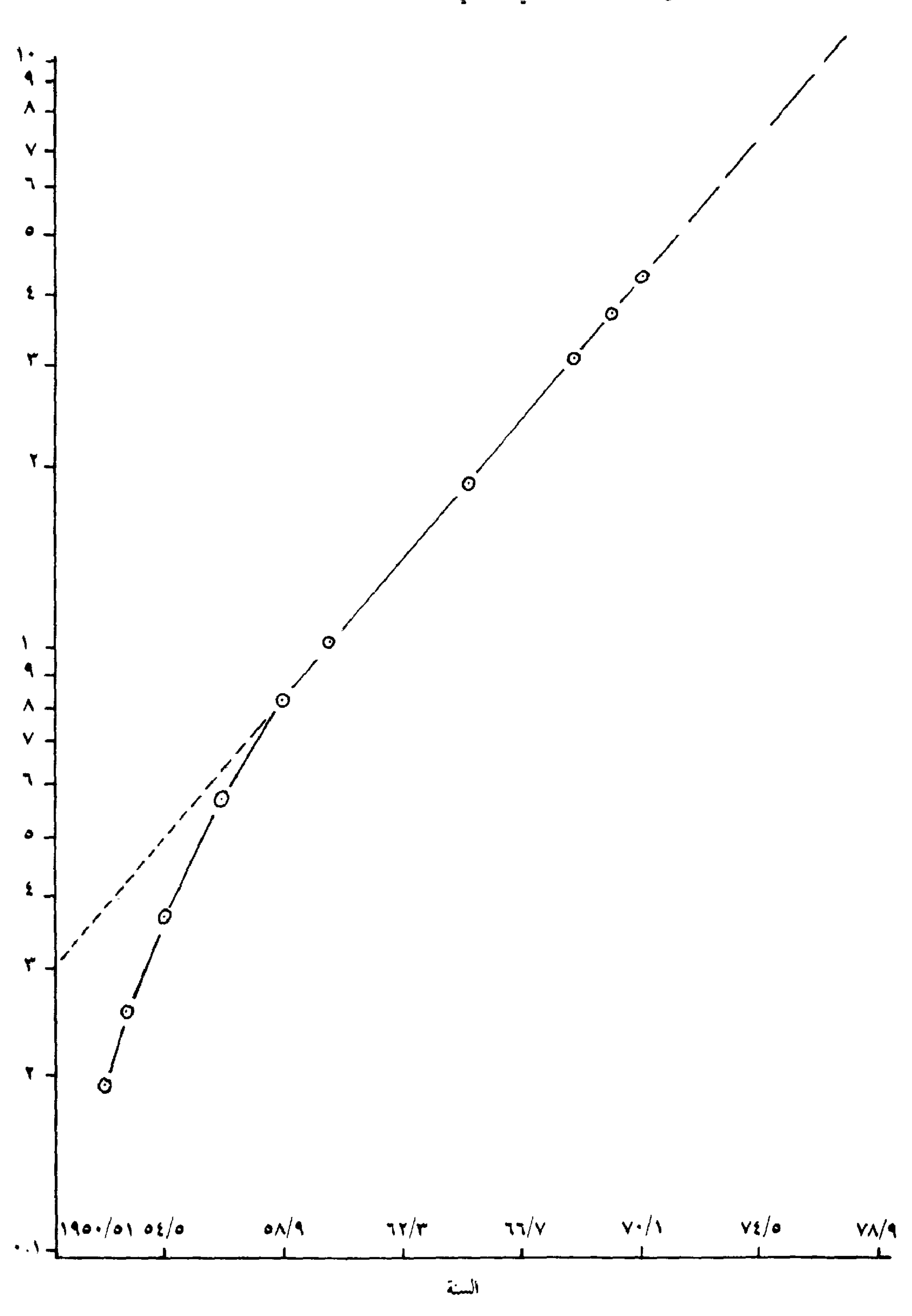
ونحن لا نعرف، بالطبع، أين يوجد هؤلاء الخريجون، إذ أن جزءا صغيرا منهم اختفى ويواصل حوالي ١ ــ ٢ بالمئة دراساتهم بالخارج للحصول على درجات البكالوريوس في العلوم والماجستير أو الدكتوراة. ولا تشمل هذه البيانات الـ ٧٥٠٠٠ شخص من القوى البشرية ذات المستويات العالية والذين كانوا يتابعون كل تعليمهم العالي في الخارج. وخلال عام ١٩٧٦ كان حوالي ١٠٠٠٠٠ من القوى البشرية ذات المستويات العالية يعملون في الخليج والمملكة العربية السعودية وليبيا والجزائر. أما البيانات (١٩٦٢ ــ ١٩٧٦) المتوافرة لدى دائرة الهجرة والتجنس الاميركية، فإنها إذا أضيفت إلى بعضها البعض واستكملت بالنسبة لمطلع تلك الفترة، نجدها ملخصة في الجدول (٦). وإذا قبلنا أن تكون نسبة هجرة العقول إلى المهاجرين إلى العالم الغربي مساوية لـ ٧,٥ فإنه ينتج عن ذلك ١٧٠٠٠ مهندس و ٧٥٠٠ اخصائي في العلوم الطبيعية و ٢٤٠٠٠ طبيب غادروا العالم العربي ويقيمون في بلدان غربية.

وحتى أضفي معنى على هذه الأرقام، فقد جمعت كل المعلومات التي استطعت الحصول عليها بشأن خريجي الجامعات العربية، ما عدا جامعات المغرب والجزائر بسبب النقص في البيانات عن هذين البلدين، لذلك لم أجد مبررا في إدراجها في الجدولين (٥) و (٦). ثم قمت باستكمال كل الأرقام حتى عام ١٩٧٥. ومن هنا، فإن الأرقام الواردة تعطينا فكرة صحيحة عن خريجي عشر دول عربية. ويقل مجموع ٥٨٥٠٠٠ خريج (الجدول ٥) بحوالي ٨٠٠٠٠ شخص عن المجموع الذي يحصل عليه المرء من الشكل (١) لعامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥. ومرد ذلك إلى عدم إدراج بضعة فروع كالفنون الجميلة والدين وغيرها في الجدول (٥).

واعتمادا على ذلك، فإن مجموع الأطباء المصدرين إلى الغرب بحلول عام ١٩٧٥، يشكل نسبة ٥٠ بالمئة من الانتاج الوطني التراكمي للعالم العربي و ٥٠٠ بالمئة من ناتج عام ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥. وحسب الجدول (٤) تجد أن عدد الأطباء اللبنانيين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة خلال الأعوام ١٩٦٢ ــ ١٩٧٦ بلغ ٥٩ بالمئة من الناتج التراكمي[٦]. وفي دراسة مفصلة قمت بها عن أنماط الهجرة لخريجي كلية الطب في الجامعة الأميركية ببيروت، وجدت أن ٣٣ بالمئة منهم هاجروا إلى الولايات المتحدة قبل عام ١٩٧٠. أما في ما يتعلق بالفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٧٦، فإن خسائر سورية ومصر بلغت ٢٠٠ بالمئة و ٢٥ بالمئة على التوالي من إنتاجها للأطباء عام ١٩٧٥.

ومن الواضح أن التدفقات من مصر ولبنان وسورية إلى الخارج تمثل جزءا كبيرا من الانتاج الحالي. والأطباء الأردنيون، يهاجرون بالرغم من أن الجامعة الأردنية لم تكن تخرج الأطباء حتى زمن قريب. وأذا تمسكنا بالمضاعف ٧,٥، فإن عدد الأطباء اللبنانيين والسوريين المهاجرين يزيد على عدد المتخرجين من المعاهد الطبية في كلا البلدين. ويؤكد هذا التدفق إلى الخارج على اهمية المعاهد غير المحلية والمصرية، على الأرجح، في إنتاج الأطباء اللبنانيين والسوريين والأردنيين. وفيما يتعلق بلبنان والأردن وسورية، فإنه يبدو أن طلاب الطب، بعد التحاقهم بالخارج، يبقون هناك باعداد كبيرة. وقد يكون المضاعف ٧,٥ مرتفع جدا بالنسبة لبعض المهن او لبعض الدول الفردية. وتدعم النتائج التي خرج بها (Oldman) و (Gish) عن التدفق إلى الخارج نحو المملكة المتحدة خلال الفترة ١٩٧٥ ــ ١٩٧٧ وحدها، القيمة المرتفعة لهذا المضاعف. وفي تقريرهما أن ٥٥٧ طبيبا عربيا «تم تسجيلهم مؤقتا في المملكة المتحدة للمرة الأولى» في الفترة القصيرة ما بين ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧ (Oldman and Gish 1970). وقد أتى هؤلاء من السودان (٣٣)، مصر (٣١٦)، العراق (١٤٩)، لبنان (١٩)، سورية (٤٠). وقدّر المؤلفان أيضا أن ألف طبيب مستخدم في المملكة المتحدة في عام ١٩٦٧ اتوا من بلدان مثل بورما ومصر والعراق

الشكل (١) العدد التراكمي لخريجي الجامعات العربية × ١٠٠ ألف



والسودان. ومن الطبيعي أن ينوي كثير من الأطباء من البلدان الأقل نموا، والذين يعملون في مستشفيات الدول المتقدمة، تأمين تدريب إضافي ثم العودة إلى أوطانهم. وبعضهم يعود بالطبع، وقد تكون هذه العودة مؤقتة او دائمة. وتشير بيانات من عدة دول عربية إلى أن معدل عودة الطلاب الذين يدرسون في الخارج بمنح حكومية مرتفع. غير أن هذه العودة تكون مؤقتة أحيانا، ولا يعرف شيء عن دوام العودة بعد الوفاء بالالتزامات القانونية المترتبة على أصحاب المنح.

مناقشة

رأينا أن البيانات المتوافرة مجزأة ولكننا تمكنا بمساعدة مضاعفين من إنشاء نموذج لتقدير

الجدول (٤)

مجموع المهاجرين الى الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٦٢ ـــ ١٩٧٦ (١)

	الاختصاصيون والعمال الفنيون وما شابههم	المهندسون	الاختصائيون في العلوم الطبيعية	الطب
العراق	١ ٤٥٠	٢٠٠	٨٠	١٧٠
الاردن/ فلسطين	٢ ١٠٠	٢٦٠	٩٠	٢٦٠
الكويت (٢)	٣٠٠	٨٠	٥	٧٠
لبنان	٣ ٧٠٠	٦٠٠	٥٠٠	٨٤٠
سورية	١ ٤٠٠	٢٠٠	١٠	٥٣٠
مصر	٥ ٢٠٠	٧٥٠	٣٤٠	٩٧٠
ليبيا (٢)	٢٠٠	٣٠	١٠	٨٠
المغرب	٤٠٠	٣٠	١٠	٣٠
كل الدول الاخرى (٢)	١ ٧٠٠	١٦٠	٤٠	٣٠٠
المجموع	١٦ ٤٥٠	٢٣١٠	١٠٨٥	٣٢٥٠

(ب) تقدير اجمالي التدفق الخارجي ونسب اجمالي السكّان المؤهلين والناتج السنوي (٣)

٧,٥ × المجموع	١٢٤ ٠٠٠	١٧٠٠٠	٧٥٠٠	٢٤٠٠٠
النسبة المئوية لمجموع السكّان	٢١	٢٣	١٥	٥٠
النسبة المئوية لناتج ١٩٧٥	٢٠٠	٢٣٠	١٨٠	٥٠٠

(١) ان الأرقام مبنية على بيانات وزارة العدل الاميركية، قسم الهجرة والتجنس. اما الأرقام بالنسبة للفترة ١٩٦٧ ـــ ١٩٧١ فقد تم إدراجها.

(٢) تقتصر هذه الأرقام على الفترة ١٩٦٢ ـــ ١٩٧٦ فقط. والمهاجرون الموجودون في الكويت، ليبيا، المملكة العربية السعودية وقطر، هم في معظمهم (حوالي ٨٠ بالمئة) من الدول العربية الأخرى.

(٣) النسب مبنية على المعطيات في الجدولين ٥ و ٦.

تدفقات القوى البشرية ذات المستويات العالية من العالم العربي إلى البلدان المتقدمة. وباستطاعة هذين المضاعفين أن يصبحا أكثر دقة، كلما توافر لدينا مزيد من المعلومات الدقيقة.

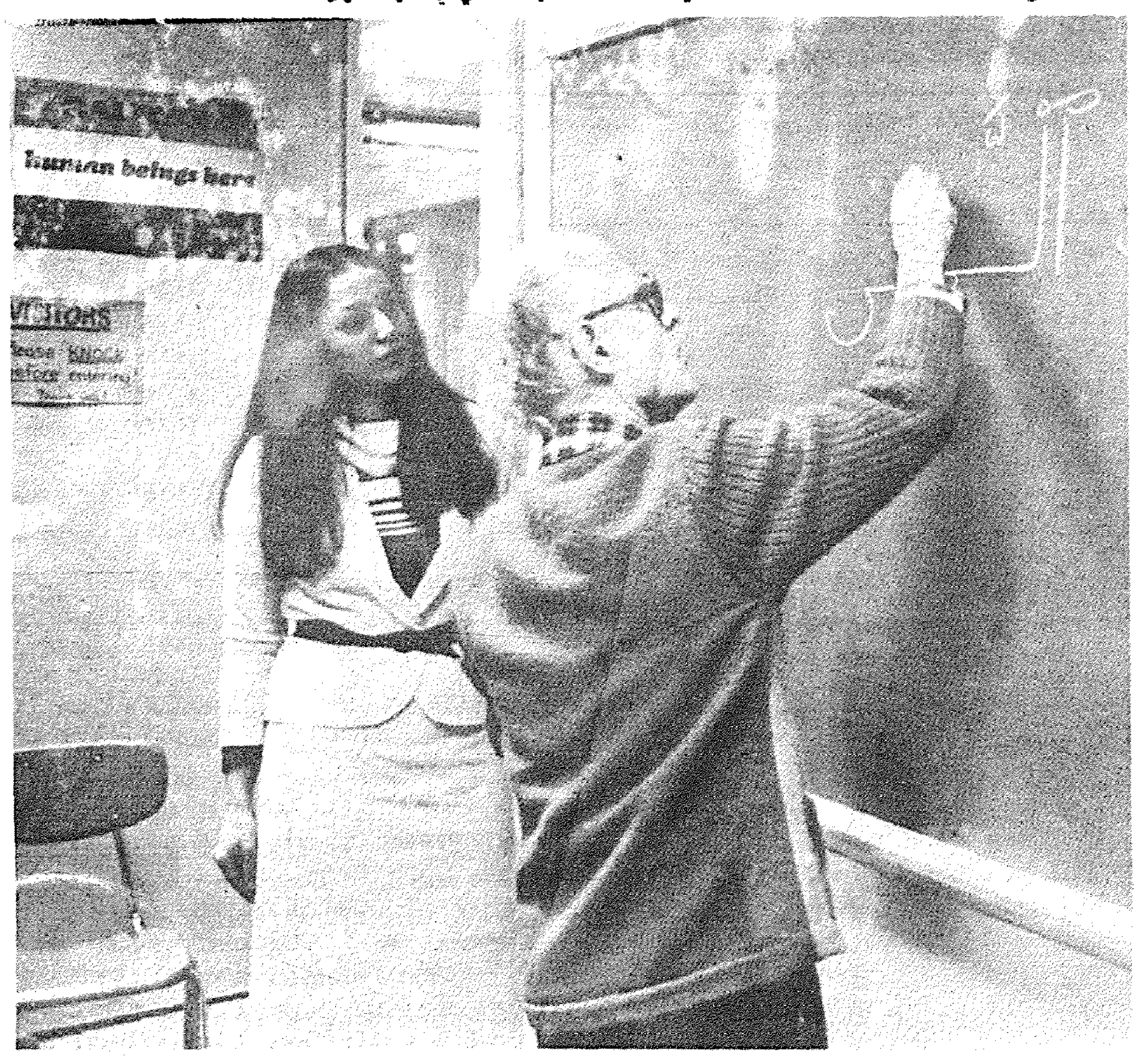
إن البيانات حول الهجرة إلى الولايات المتحدة تبرز عدة سمات هامة، إذ نرى أن عدد المهاجرين العرب قد ازداد اربعة أضعاف عندما اصبحت قوانين الهجرة أقل صرامة في عام ١٩٦٥. كما أن تعديل قانون الهجرة عام ١٩٧١ لم يساهم في الحد من التدفق. وكان التغير في تركيب فئات المهنيين هو نتيجة للتغيرات في سوق العمالة الامريكية أكثر منه نتيجة لتعديل قانون الهجرة.

وقد تغيرت نسبة المهندسين إلى الاخصائيين في العلوم الطبيعية إلى الأطباء من ضمن عدد المهاجرين الذين سمح لهم بدخول الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٧٦ كالآتي:

السنة	النسبة
١٩٦٢ ــ ١٩٦٧	١,١:١:٢,٢
١٩٦٧	١,٥:١:٢,٥
١٩٧٢	٢,٨:١:٢,٣
١٩٧٦	١٢:١:٥,٦

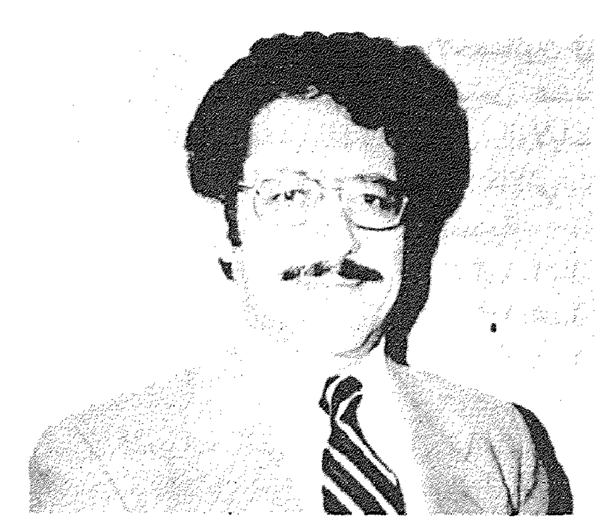
إن التغيرات التي طرأت على تركيب فئات المهنيين المهاجرين هي نتيجة مباشرة لسياسات الولايات المتحدة في ميداني العلم والتكنولوجيا. فقد قلصت حكومة الرئيس نيكسون في عام

□ صباح مقلد: استاذة اللغة العربية في معهد التاهيل المهني في «ارلنغتون».



١٩٦٨ برامج الفضاء وجمدت مستوى الانفاق على البحوث والتنمية مما أدى إلى ارتفاع مستوى البطالة بين المهندسين والاخصائيين في العلوم الطبيعية. وقد أثرت التغيرات في هذه السياسة، في المدى البعيد، على العلوم الطبيعية أكثر من تأثيرها على مهنة الهندسة. ولم يؤثر تعديل عام ١٩٧١ على الطلب على الأطباء بل استمر في الزيادة استجابة لزيادة تدفق الكفاءات الطبية الذي رافقه نقص في تخريج الأطباء في المعاهد الطبية الامريكية. وهكذا تضاعف التدفق السنوي للأطباء العرب عشر مرات في عشر سنوات.

والجدير بالذكر ان عامل الجذب النسبي للمهنيين العرب في البلدان المنتجة للنفط ليس مرتفعا ولم تقلل الزيادة المفاجئة في الدخل بعد



□ اميل نخلة: استاذ العلوم السياسية، ورئيس دائرة في جامعة «ماونت سانت ماري»، واستاذ مساعد في معهد «اميركان انتربرايز» لابحاث السياسة العامة في واشنطن.

الجدول (٥) . تقدير لعدد خريجي الجامعات العربية . ١٩٥٠ ــ ١٩٧٥

الميدان	مصر	سورية	العراق	لبنان	الأردن	السودان	المملكة العربية السعودية	تونس	ليبيا	الكويت	المجموع
الطب	٣٧ ٢٦٥	٢ ٦١٧	٤ ٩٥٠	١ ٤٢٧	—	٨١٠	—	—	—	—	٤٧ ٠٦٩
الصيدلة	١١ ٦٣٣	١ ٦٢٣	٢ ٢٩٢	٦٦٣	—	—	١٧٥	—	—	—	١٦ ٣٨٦
الهندسة	٥٩ ٧٨٩	٣ ٣٩٢	٦ ٩٦٠	٢ ٧٠٤	—	٨٢٦	٣١٥	—	٥٨٧	—	٧٤ ٥٧٣
الزراعة	٤٩ ٣٦٠	١ ٣٩٨	٣ ٥٥٦	١ ٠٢١	—	٥٩١	١٥٥	٧٢٠	٢٦٩	—	٥٧ ٠٧٦
العلوم الانسانية	٥١ ٦٤٠	١٥ ٠٣٦	١٩ ٣٤٠	٢٧ ٠٧١	٢ ٠٠٦	٣ ١٠٥	١ ٣٤٦	٥ ٤٤٢	٢ ٨٨٥	١ ١٧٩	١٢٩ ٠٥٠
العلوم	٢٣ ٢٣٥	٣ ٩٢١	١٠ ٩١٠	٣ ٧٥٣	٦٨٤	٥٥٨	٦٣٨	٢ ١١٠	٦٢٦	٣٦٩	٤٦ ٨٠٤
القانون	٣٧ ٧٠٩	١٥ ١٦٧	١١ ٥٧٠	٤ ٥٩٤	—	٥٢٥	—	٢ ٣٦٨	٤٣٤	١٨٩	٧٢ ٥٥٦
التجارة	٦٩ ٤٤٠	٧ ٢٦٧	١٠ ١٣٠	٩ ٤٤٤	١ ٥٩٠	—	١ ١٠٧	—	٩٩٦	٧٨٤	١٠٠ ٧٥٨
التربية	١٣ ٦٧٦	٣ ٨١٠	١٧ ٣٧٠	—	٢٧٣	٥٢٧	٦٤٨	٤ ٨٧١	—	—	٤١ ١٧٥
المجموع	٣٥٣ ٧٤٧	٥٤ ٢٣٥	٨ ٧٠٧	٥٠ ٦٧٧	٤ ٥٥٣	٦ ٩٤٢	٤ ٣٨٤	١٥ ٥١١	٥ ٧٩٧	٢ ٥٢١	٥٨٥ ٤٤٧

مصادر الجدول (٥):

(١) تم جمع البيانات عن خريجي الجامعات العربية من كل حكومة على حدة، ومما نشر في حولياتهم الاحصائية السنوية، وإحصاءات التعليم للسنوات ١٩٥٠ ــ ١٩٧٠.

(٢) مصادر أخرى:

(ا) Al-Said (1960).

(ب) Cairo University Prospectus (1970).

(ج) جامعة عين شمس (١٩٦٧)، تقويم جامعة عين شمس ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨، القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس.

(د) Al-Malih and al-Ikabi.

(هـ) Unesco (1970).

(و) Waardenburg (1966, Vol. 2).

(٣) تم تقويم البيانات عن خريجي الجامعات السنوية ١٩٧٠ ــ ١٩٧٥، في حال عدم توفرها، على أساس أرقام سجلات السنوات ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠.

الجدول (٦) تقدير العدد السنوي لخريجي البلدان العربية حسب مختلف الميادين ـ ١٩٧٥ (*)

الميدان	مصر	سورية	العراق	لبنان	الاردن	السودان	المملكة العربية السعودية	تونس	ليبيا	الكويت	المجموع
الطب	٣ ٩٠٠	٢٢٦	٤٧٥	١١٠	—	٧٨	—	—	—	—	٤ ٧٨٩
الصيدلة	١ ٤٣٠	٢٢٠	٣٨٠	٤٢	—	—	٣٤	—	—	—	٢ ١٠٦
الهندسة	٥ ٧٧٥	٤٤٠	٩٢٠	٢٩٥	—	٨٣	٥٥	—	١١٣	—	٧ ٦٨١
الزراعة	٥ ٠٠٠	١٦٠	٤٥٠	٩٠	—	٦٣	٣١	٨١	٦١	—	٥ ٩٣٨
العلوم الانسانية	٢ ٦٣٢	١ ٩٢٠	٣ ١٠٠	٥ ٣٤٦	٢٨٠	٣٥٢	١٩٨	٨٨٠	٥٢٥	٢٣٥	١٥ ٤٦٨
العلوم	١ ٣٧٨	٤٠٠	١ ٦٢٠	٤٠١	١٥٨	٣٥	١٢٧	٤١٠	٥٤	٨٦	٤ ٤٦٩
القانون	١ ٧٨٢	١ ٥٦٠	١ ٠٢٠	٥٢٠	—	٥١	—	٣٨٥	٧٤	٥٢	٥ ٤٤٤
التجارة	٣ ٨٦٧	١ ٠٢٠	١ ١١٠	٢ ٣٧٩	٢٤٦	—	١٥٠	—	١١٩	٢٦٠	٩ ١٥١
التربية	٦٤٠	٣٨٠	٢ ٠٧٥	—	٥٢	١٠٦	١٣٠	٨١٠	—	—	٤ ١٩٣
المجموع	٢٦ ٤٠٤	٦٣٢٦	١١ ١٥٠	٩ ١٨٣	٧٣٦	٧٦٨	٧٢٥	٢ ٥٦٦	٩٤٨	٦٣٣	٥٩ ٤٣٩

(*) انظر هوامش الجدول (٥). وهذه التقديرات مبنية على إسقاط اتجاهات البيانات المتوافرة بالنسبة للعقد الماضي.

عام ١٩٧٣ من التدفق العربي إلى الولايات المتحدة، وعلاوة على ذلك فإن الوضع القانوني والشخصي للمهنيين العرب في البلدان الغربية أفضل منه في البلدان العربية الأخرى. فالظروف المهنية الممتازة مقرونة بقبولهم كمواطنين مخلصين، تصعب قبولهم بالقيود المفروضة عليهم في بعض البلدان العربية فيما يختص بالملكية الخاصة أو بالتصرفات الاعتباطية المألوفة والمرتبطة بالاستخدام.

ومن المفيد أن نذكر بإيجاز بعض الآراء الرائجة والمطروحة في كل ما نشر حول هجرة الكفاءات، ان أكثر الانقسامات وضوحا هو بين الذين يعتبرون التدفق للخارج ظاهرة دولية والذين يعتبرون حركة القوى البشرية ذات المستويات العالية مؤشرا هاما للعمليات الاجتماعية والسياسية في مجتمع قومي. أما النظرة العالمية فتختلف اختلافا كبيرا إذ أن بعض الباحثين يعتبر أن هذا التدفق الخارجي ناجم عن «سطو» متعمد تقوم به البلدان المتقدمة على موارد البلدان الأقل نموا، والبعض الآخر يعتبر أن الهجرة تعكس فائضا في عرض القوى البشرية ذات المستويات العالية في البلدان الأقل نموا وان الهجرة من هذه البلدان المتقدمة تؤدي إلى تخفيف العبء عنها.

وقد تم تبني نهج «المؤشر» في هذه الدراسة: فالتدفق إلى الخارج يعكس تأدية النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية لوظائفها في البلدان الأقل نموا، وبالتالي فهو ذو فائدة كبرى بالنسبة لمخططي التنمية. وهنا فإن التأكيد ليس على تحليل الخسارة أو الربح، بل على تلك العوامل الثقافية والمهنية والمؤسسية التي تساهم في هذا التدفق إلى الخارج.

ولقد استعرضت، بإيجاز، في دراسة أخرى، هذه الآراء تحت عناوين ثلاثة: الرؤية القومية للبلدان الأقل نموا، الرؤية الانسانية، رؤية البلد المتقدم (Zahlan 1977).

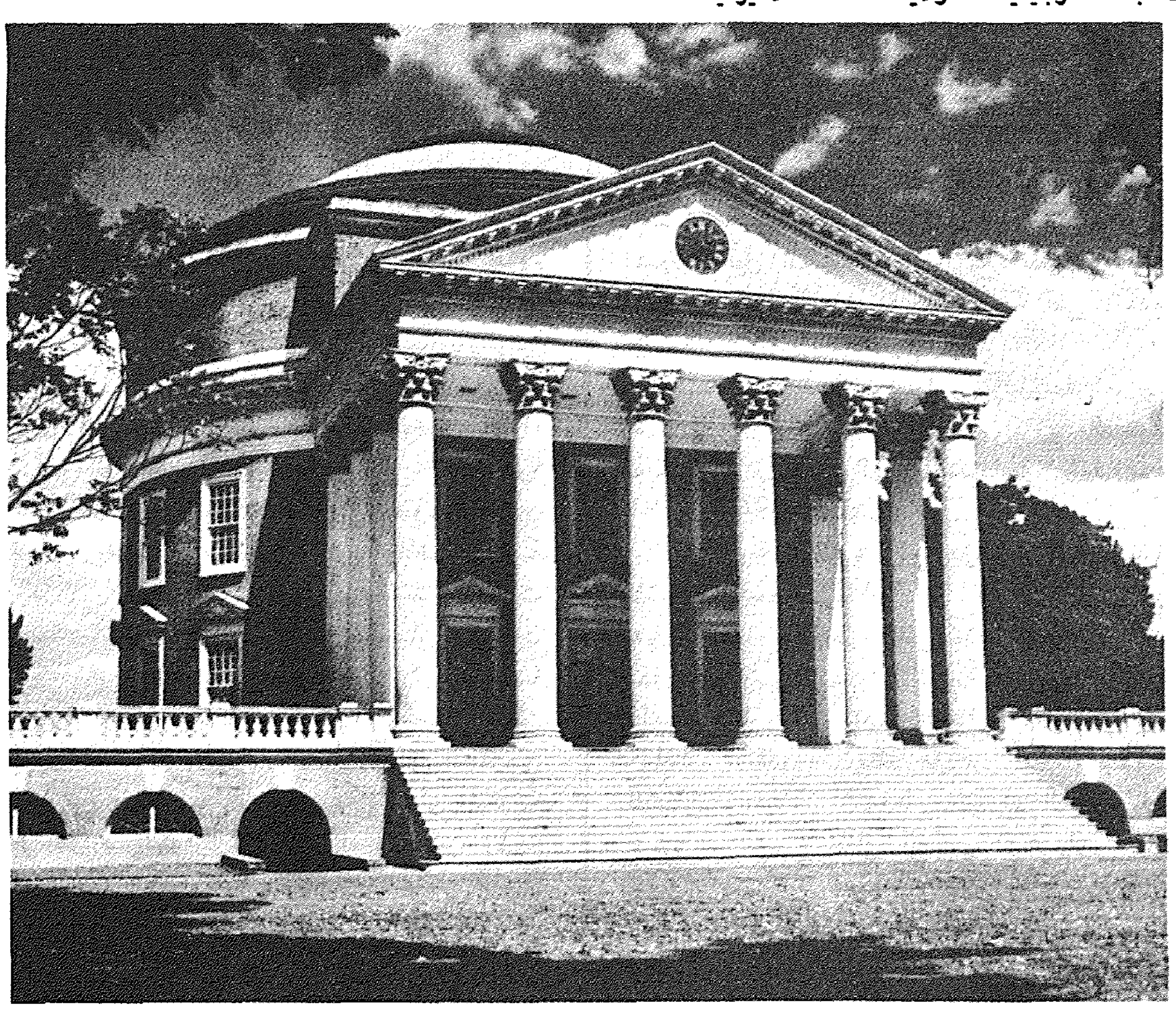
وفي الآونة الأخيرة، دافع مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (UNCTAD) عن مبدأ اعتبار هجرة الكفاءات كنقل عكسي للتكنولوجيا. وقد تم بذل جهد كبير في حساب القيمة النقدية «لبرنامج المعونة هذا والذي تقدمه البلدان الأقل نموا إلى البلدان المتقدمة». ونظم مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية اجتماعا للخبراء الحكوميين حول موضوع النقل العكسي للتكنولوجيا في جنيف، من ٢٧ شباط (فبراير) إلى ٧ آذار (مارس) ١٩٧٨ قدمت فيه سبع دراسات. وكانت أكبر مساهمات هذا الاجتماع هي الدراسات التي صممت لتطوير مقاييس حسابية مناسبة

الجدول (٧) . الخطط الطويلة الأمد لمجموعات الطلاب الأساسية

بلد المنشأ	العائدون الى الوطن والمستقرون فيه نهائيا	قد يعودون الى الوطن ويستقرون فيه	عودة غير أكيدة	يذهبون الى الخارج ويستقرون هناك على الأرجح	يذهبون الى الخارج ويستقرون فيه حتما	مجموع الطلاب في المسح
الشرق الأوسط						
وشمالي افريقيا	٣٤٪	١٨	١٠	١٣	٢٥	٦٦٤
تونس	٦١٪	٢١	٧	٦	٥	١٢٤
مصر	١٥٪	١٥	٩	٢٠	٤٠	١٩٢
ايران	٤٢٪	٢١	١٨	٧	١٢	١٢٥
لبنان	٣٩٪	١٥	١٣	١٥	١٨	١٣٥
تركيا	٢٧٪	٢٧	٢٤	٠	٢٢	٣٥

المصدر: Glaser 1978, p. 27

□ جامعة فرجينيا ـ الولايات المتحدة الاميركية.



لتحويل التدفق الخارجي للقوى البشرية ذات المستويات العالية من البلدان الأقل نموا إلى تعويض مادي تدفعه البلدان المتقدمة إلى البلدان الأقل نموا. وقد تم ايضا طرح طرق مختلفة لجمع (ضرائب) ولطريقة دفع هذا التعويض وإدارته[٧]. وكما يمكن للمرء أن يتوقعه، فإن معظم هذه النظريات قد منيت بالرفض من قبل مندوبي البلدان المتقدمة لأسباب فنية وغير فنية. ومن المشكوك فيه جدا أن يكون مصير النهج الذي تبناه خبراء الاستراتيجية في مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية أكثر نفعا من النهج الذي اتبعه الحوار بين الشمال والجنوب أو مدونة قواعد السلوك.

غير أن أكثر آثار نهج مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية ضررا هو نقل مشكلة هجرة الكفاءات من البلدان الأقل نموا حيث نشأت، إلى ميدان العلاقات الدولية. ان استغلال القوى البشرية ذات المستويات العالية على الصعيد التجاري يشكل إحدى النتائج المؤسفة الناجمة عن كثير مما كتب عن الموضوع. ومن اليسير جدا، تحديد مقدار تكاليف التعليم والتفاوتات في الدخل، ونسيان الأسباب الجوهرية للعملية.

بعض الآراء العربية

سجلت في العالم العربي ردود فعل حكومية وغير حكومية تجاه موضوع هجرة الكفاءات. وكانت ردود الفعل الحكومية على شكل دراسات وإجراءات غير كاملة لتعزيز العودة من البلدان الغربية. وسنستعرض بعض ردود الفعل هذه بإيجاز.

يعتبر التدفق إلى الخارج من لبنان، وهو بلد رائد في تصدير القوى البشرية ذات المستويات العالية، كجزء من «الاشعاع الثقافي اللبناني». وتشجع الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتكررة التي تهز البلاد هذا التدفق إلى الخارج. ولدى لبنان وزارة للشؤون الخارجية والمغتربين، لكن يبدو أن اهتمام لبنان بهذا الموضوع ينتهي عند حدود هذه الوزارة. وتنشر الصحافة مقالات قصيرة عن هجرة الكفاءات كلما ظهر تقرير جديد عن الموضوع في مكان ما. فقد نشرت مجلة الصياد الاسبوعية، على سبيل



□ قيصر فرح: استاذ دراسات الشرق الاوسط والدراسات الاسلامية بجامعة «مينسوتا».

المثال، مقالا يستند إلى دراسة قام بها الكونغرس الاميركي بعنوان «الولايات المتحدة تسرق علماءكم» (الصياد ١٩٦٧). وفي عام ١٩٧١ نشرت صحيفة (L'Orient) تقريراً أعدته جامعة القديس يوسف عن أزمة التعليم العالي في لبنان وفيه بعض الاهتمام بهجرة الكفاءات (L'Orient 1971). وفي عام ١٩٧٤ نشر من جديد، مقال وجيز، كتب في دمشق ويشير إلى هجرة الكفاءات خلال الفترة ١٩٦٢ ــ ١٩٦٦ (L'Orient-Le Jour 1974) لكن الاهتمام بهجرة الكفاءات لم يتعد أبدا الاعراب عن هذا الاهتمام إلى اتخاذ مبادرة عملية للحد منه[٨].

لقد كان الاهتمام الذي أظهرته الحكومة المصرية والصحافة متكافئا بينهما، وخضع لتغير كبير في الفترة ١٩٦٦ ــ ١٩٧٨ استجابة للتغير الاجتماعي والاقتصادي الداخلي. ويقلل التقرير الذي أعده أنور قريطم ومدحت حمدي (Kuraitem, Hamdi 1966)، بشكل أساسي، من أهمية هجرة الكفاءات المصرية ويبسط ملابساته، بأخذه في الاعتبار فقط الـ ١٤٨ مصريا الذين لم يعودوا إلى بلدهم، كما تنص عليه شروط منحهم الدراسية. وفي عام ١٩٦٩ اصدر حمدي رشاد في القاهرة دليلا لمساعدة المصريين الراغبين في الهجرة (رشاد ١٩٦٩). وفي تلك السنة بدت مصر وكأنها تنتهج سياستين

متناقضتين: فقد كانت الهيئة المركزية للادارة الحكومية تنصح بسن تنظيمات جديدة بهدف تشجيع هجرة خريجي الجامعات (سامي ١٩٦٩)، في حين أعلن الدكتور مصطفى طلبه وكيل وزارة شؤون التعليم العالي أن مصر تدعو اليونسكو «إلى إصدار تعهد دولي تمنع بموجبه الدول الأعضاء الطلاب الأجانب بالبقاء فيها بعد إتمام دراستهم (Daily Star 1969). وذكر عبد الوهاب مطاوع أن هناك ٥٠٠٠٠ مصري في الخارج وأنه من المرتقب أن تبلغ ودائعهم من العملة الأجنبية في البنوك المصرية في عام ١٩٦٩ حوالي ٥ ملايين جنيه مصري، وان حجم الودائع سيزداد بزيادة التشجيع على الهجرة (مطاوع ١٩٦٩). وذكر الكاتب نفسه أن عدد المصريين الذين ذهبوا إلى الخارج كان ٢٠٠٠ عام ١٩٦٥ و ٧٠٠٠ عام ١٩٦٦ و ٦٠٠٠ عام ١٩٦٧ و ٢٣٠٠٠ عام ١٩٦٨.

وبعد ذلك بقليل كتب فهمي هويدي أن وزيري الري والصناعة يخسران موظفين هندسيين هما في حاجة إليهم، وان من بين الـ ٢٨٠٠٠ شخص الذين طلبوا بأن يسمح لهم بالهجرة خلال الستة اشهر الأولى عام ١٩٦٩، هناك ١٥٠٠٠ من خريجي الجامعات أو الفنيين. وبالرغم من هذه الاتجاهات، فقد كان الرأي السائد بين عدد من الوزراء هو أن عامل الجذب الذي يمارس على القوى البشرية المصرية ذات المستويات العالية لا يمكن مقاومته، وان بإمكان مصر، في أحسن الأحوال، التقليل من عوامل الدفع، كما أن طريق العمالة بالخارج يجب أن تظل مفتوحا، ويجب أن لا يعامل المصريون الذين استقروا بشكل دائم في الخارج كمجرمين بل يجب تحسين وسائل الاتصال بهم (هويدي ١٩٦٩). وقد تم الابقاء على سياسة الباب المفتوح، وزاد تدفق المصريين إلى الخارج بين عامي ١٩٦٨ و ١٩٧٨ بمعدل سريع جدا. وقد يكون عدد المصريين الذين يعملون بالخارج والمقدر بـ ٥٠٠٠٠ شخص في عام ١٩٦٩ قد ارتفع إلى أكثر من مليون شخص في عام ١٩٧٨.

لقد تطورت فكرة تحسين الاتصالات بالعلماء المصريين الذي يعيشون بالخارج ببطء. فقد كتب صلاح جلال في عام ١٩٧١ مقالا عن العلماء المصريين في الولايات المتحدة مع بعض الاشارة إلى أوروبا (جلال ١٩٧١). وبحلول ذلك الوقت كان بإمكان العالم المهاجر أن يسافر إلى مصر ويؤمن الاذن له بالمغادرة دون صعوبة. وفي عام ١٩٧١ انعقدت الاجتماعات التمهيدية لما أصبح يسمى بـ «جمعية أصدقاء العلماء المصريين بالخارج» في حين كانت «جمعية العلماء المصريين الاميركيين» قيد الانشاء في الولايات المتحدة. وقد نظمت هاتان الجمعيتان في عام ١٩٧٤ مؤتمرا في القاهرة حول «مصر بين اليوم وعام ٢٠٠٠» بإشراف الرئيس أنور السادات.

بيد أن الشعور بالغبطة المنعكس في الاتجاه السابق لم يكن يلقى الترحيب في كل الأوساط المصرية. ففي عام ١٩٧٢ كتب رشدي سعيد عن هجرة الكفاءات المصرية والأوهام التي نجمت عنها وبدأ تحليله بالتذكير بسحب السلطان سليم للقوى البشرية الفنية من مصر في عام ١٥١٧، وأكد أن خسارة هذه القوى البشرية الفنية آنذاك أدت إلى انحطاط اقتصادي واسع النطاق في مصر. وقدر أن عدد أولئك الذين غادروا مصر إلى الآن تجاوز ١٥٠٠٠٠ شخص ثم لاحظ أن انحطاطا واضحا في كل الأعمال الفنية قد حل نتيجة لهذا التدفق الخارجي. وانتقد السياسة السارية وكانت حجته في ذلك أن التحويلات المالية لا تستطيع أن تعوض عن الخسائر الهائلة (سعيد ١٩٧٢). وفي عام ١٩٧٣ خصصت مجلة «**الطليعة**» في عدد نيسان ١٩٧٣ حوالي ٤٧ صفحة لموضوع «هجرة الكفاءات». وقد ركزت المقالات المنشورة على عوامل الدفع في نقد للسياسات المصرية الراهنة والنتائج الاقتصادية الناجمة عن تدفق القوى البشرية إلى الخارج. وناقشت المقالات تناقضات السياسة العامة، حيث قابل المرسوم الرئاسي لانشاء لجنة للعمل على تشجيع الهجرة بين أفراد الشعب، توصية اصدرتها لجنة وزارية لايقاف الحملة الداعية إلى الهجرة (الطليعة ١٩٧٣، ص ٣٧). ولفت عدد من المعلقين في هذا الحوار العام في مصر الانتباه إلى ندرة المعلومات والتحليل الدقيقين. ولا يزال الفكر المصري منقسما حتى اليوم وعلى الرغم من سياسة الباب المفتوح المنتهجة.

وقد واجهت القطاعات العامة والخاصة في

البلدان المنتجة للنفط، مشكلات قليلة في تأمين خدمات القوى البشرية ذات المستويات العالية. وعلى سبيل المثال، نجد أن الكويت التي لا تملك الميزات التعليمية والتاريخية التي يتمتع بها لبنان، قد تمكنت من إنشاء فئة من القوى البشرية ذات المستويات العالية مشابهة، على صعيد الفرد، للفئة اللبنانية. وتوفر دول الخليج والمملكة العربية السعودية رواتب أفضل من تلك التي توفرها أوطان المغتربين العرب.

أما حكومة العراق فقد انتهجت استراتيجية مختلفة إذ أصدرت في عام ١٩٧٤ القانون رقم (١٨٩) الذي يشجع أصحاب المستويات العالية من العراقيين على العودة إلى الوطن، ولكن الاستجابة لهذا القانون لم تكن مشجعة. لذا صدر في عام ١٩٧٤ القانون رقم (١٥٤) الذي ينص على أن يتمتع العراقيون الذين عادوا قبل إصدار القانون (١٥٤) وأولئك الذين استجابوا لهذه الدعوة ببعض المنافع العادية (كالحق في استيراد سيارة معفاة من الرسوم الجمركية)، وقد عاد حوالي ٧٠٥ أشخاص إلى الوطن استجابة لهذا القانون الجديد، ومعظم العائدين من خريجي عام ١٩٧٤، ولم يعد من أولئك الذين تخرجوا قبل عام ١٩٧٠ سوى عدد قليل (Abdel Jaber 1978).

أسباب هجرة الكفاءات

يوجد في الوقت الحاضر عدد من الدراسات عن أسباب هجرة الكفاءات[٩]. وليس ثمة ما يدعو هنا إلى استعراض المفاهيم والمبادىء الأساسية. وبالتالي فإننا سنبحث موضوع التدفق إلى الخارج بالنسبة لعدد من العوامل التي لم تستوف بشكل كاف.

إن النموذج الهيدروديناميي لهجرة الكفاءات يحظى بقبول واسع، وهو مسؤول عن «التدفق» بمعنى الدفع من قبل البلدان الأقل نموا، والجذب من جانب البلدان المتقدمة. ويشبه سلوك القوى البشرية ذات المستويات العالية سلوك سائل لا يضغط وينتهي في المكان الذي يدفع أو يجذب إليه. وفي هذا النموذج الحتمي لا يستطيع المرء سوى التساؤل عن عدم هجرة الكثيرين حتى اليوم، وعن طريقة استغلال المرء لهذه السلعة من سلع القوى البشرية تجاريا. وهكذا فإن النهج الذي اتبعه مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية في تناول مشكلة هجرة الكفاءات تحت عنوان «النقل العكسي للتكنولوجيا» (reverse transfer of technology) يقبل النموذج ويحاول أن يبرر اقتصاديات العملية. والقضية التي يثيرها نوع التحليل الذي يقوم به مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية تتلخص في الطريقة التي استطاعت بها البلدان المصدرة للقوى البشرية ذات المستويات العالية الحصول على حصتها العادلة من الأرباح الناجمة عن استهلاك قواها البشرية في البلدان المتقدمة. وعلى الرغم من الشعبية التي يحظى بها النموذج الهيدروديناميي في البلدان الأقل نموا، والاهتمام الذي أبداه العالم الثالث في تأمين بعض المدفوعات مقابل صادراتها عن القوى البشرية، فإنني سأسلك نهجا مختلفا في البحث. فالنهج المتبع هنا ينسجم مع الاتجاه الشامل لهذه الدراسة: أي أن هجرة الكفاءات ليست سوى مؤشر على الأحداث والعمليات الجارية في البلدان الأقل نموا، ولفهم العملية بشكل أفضل علينا أن ندرس وضع البلدان الأقل نموا ووضع المهاجرين من الكفاءات.

الاستفادة المثلى من الاختيار الشخصي

يحاول الشخص الذي ينتمي إلى القوى البشرية ذات المستويات العالية، بوصفه كائنا بشريا عاقلا، أن يختار طريق عمل يفيده في حياته إفادة مثلى. وهو يحاول التقليل من التعرض للمخاطرة، وزيادة دخله، وأمن أسرته في المدى البعيد. وهذا النوع من السلوك يتعارض بالطبع مع الافتراضات الأساسية للفكر الانمائي حيث أن الاستراتيجية من الناحية النظرية على الأقل، تمثل في الاستفادة القصوى من كل العوامل التي تحكم المجتمع لا الفرد أو المنافع القصيرة الأجل. وقد ناقشت بعض هذه المواقف والاستراتيجيات في دراسة أخرى (Zahlan 1973, pp. 43-58). وباختصار، فهناك استراتيجيتان في أي مجتمع بإمكان الفرد والدولة اتباعهما: وقد وصف هاردينغ (Harding

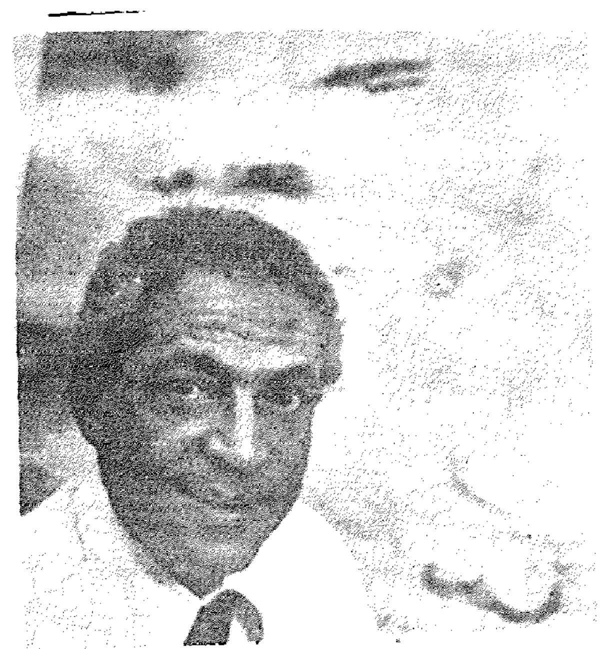
1970, p. 4442) هاتين الاستراتيجيتين بأنهما نشدان الفعالية، ونشدان الحقيقة. ويحاول الباحثون عن الفعالية أن يستثمروا حياتهم ورساميلهم في المشروعات والأماكن التي يستطيعون أن يستفيدوا منها استفادة قصوى في المدى القصير. وتؤدي مثل هذه السياسة إلى هجرة المهنيين من القرية إلى المدينة، ومن المنطقة الفقيرة في المدينة إلى المنطقة الغنية فيها. ومن هنا، نجد تجمعا كبيرا من الأطباء في رأس بيروت، وعددا قليلا منهم في الدورة والبقاع أو جنوب لبنان (٧٨ بالمئة من مجموع الأطباء اللبنانيين موجودون في بيروت). وعلاوة على ذلك فإن الأطباء يهاجرون بأعداد كبيرة من العراق ومصر ولبنان إلى فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة وكندا. أما الباحثون عن الحقيقة فإنهم يحاولون إنفاق حياتهم ورأسمالهم في مشاريع ومجالات تمليها عليهم الاحتياجات والعدالة الاجتماعيتان. والهدف من وراء ذلك هو التقليل من المظالم الاجتماعية. وحيث أن الفجوة بين الفقراء والأغنياء وبين الأثرياء والمعدمين كبيرة في المجتمعات النامية، فإن الباحثين عن الفعالية يساهمون في توسيع هذه الفجوة وترسيخها. ولذلك يرى الباحثون عن الحقيقة أن استراتيجية البناء على القوى الراهنة في حد ذاتها أمر غير مسؤول وجائر اجتماعيا. وليس باستطاعة المرء، في المدى البعيد، إنشاء مجتمع مبني على قواعد قوية ووطيدة دون أن يتبنى سياسة يتم فيها نشر التنمية في المجتمع بأسره. وفي رأي الباحث عن الحقيقة أن الحلول الفعالة القصيرة الأجل تفضي إلى مزيد من عدم العدالة الاجتماعية والصراع الطبقي (مثال ذلك إيران). وهكذا فإن الباحث عن الحقيقة يقرر أن يعمل في صعيد مصر أو جنوب اليمن ليس لأن العمل سيعود عليه بمكافآت مالية كبيرة، بل لأن الناس هناك في أشد الحاجة إلى خدماته. ويفسر (Harding) الثورة الثقافية في الصين في ضوء ذلك، أي كمحاولة لتأمين التنمية والتحديث مع العدالة الاجتماعية.

ويمكن للمرء أن يقول دون أن يخطىء، أن لا وجود للباحثين عن الحقيقة في العالم العربي حتى نتحدث عنهم. وقد ذكر نبيل أ. شعث (Shaath 1965, p. 201) أن ٦٠ بالمئة من المهندسين الزراعيين و ٧٨,٥ بالمئة من خريجي المعهد الطبي و ٧٤ بالمئة من خريجي التجارة في مصر في أوائل الستينات كانوا يعملون في القاهرة والجيزة والاسكندرية. ويشكل مجموع سكان هذه المدن ١٨ بالمئة من مجموع سكان مصر. ولا يختلف هذا الوضع عند خريجي الجامعات في الدول العربية الأخرى. وقلة هم المهندسون الزراعيون الذين يعيشون ويعملون مع المزارعين الذين هم في أمس الحاجة لخبرتهم بحيث يساهمون في تطوير الزراعة ونوعية الحياة الريفية.

وما من شك في أن للباحثين عن الفعالية من العرب حججا ممتازة يتحججون بها للهجرة إلى المدن وإلى الولايات المتحدة. لذلك نجد أن نظام التعليم في البلدان الأقل نموا يمجد فضائل نشدان الحقيقة. وعندما يواجه الشباب التناقضات العنيفة بين المثل المطبوعة في النفس وبين حقائق نشدان الفعالية في السياسات العامة والخاصة، فإنهم يتزعزعون بعنف وينعزلون بالتدريج عن مجتمعاتهم. وقد أشارت الدراسات الحديثة التي لم تنشر عن النزوع إلى الهجرة، إلى أن انسلاخ الشباب عن مجتمعهم يبدأ في وقت مبكر نوعا ما في المرحلة الثانوية ويزداد خلال سنوات التعليم الجامعي. والتحقيق الذي قام به (Glaser) في أوجه هذه المشكلة يظهر في الجدول (٧) من هذه الدراسة. ويتضح من دراسة (Glaser) أن الطالب الأجنبي ينفر من العودة إلى وطنه حتى قبل أن يواجه مشكلاتها.

هجرة الكفاءات والفكر الانمائي

إن الفكر الانمائي في العالم العربي يسيطر عليه، عمليا، الفكر الغربي المبني بدوره على التركيز على الفعالية الاقتصادية للمشاريع. وخطط التنمية العربية هي مجموعة من المشاريع يعتقد أن فائدة كل واحد منها تتناسب مع كلفته. وتستخدم الصناديق العربية أساليب المصرف الدولي للانشاء والتعمير والأساليب الغربية في «تقييم المشاريع» وإجراءات اتخاذ القرارات بالنسبة لاختيار مستشاري ومقاولي المشاريع. والاعتماد شبه الكلي على «نهج تسليم المفتاح



□ الأستاذ فاروق الباز، الجيولوجي العربي الكبير، الذي كسب شهرته كمخطط علمي لرحلات ابولو إلى القمر. يعمل في متحف مؤسسة سميثسونيان للجو والفضاء.

باليد» (turnkey approach)، الذي لا يتطلب من الدولة المعنية قدرة تقنية على تخطيط المشاريع وتنفيذها، هو من وضع ناشدي الفعالية العرب الذي يسعون إلى الحصول على المكافآت المثلى في الأمد القصير. وهناك دراسات غربية وسوفياتية كثيرة تنتقد هذا الأسلوب في التفكير. بيد أن التخطيط الانمائي في العالم العربي لا يعكس أي وجه من أوجه التجربة العربية أو البحث المتقدم في هذا الموضوع.

وبإيجاز، فإن الفكر الانمائي في العالم العربي يتطلع إلى خلق «جيوب عصرية» (modern enclaves) يستطيع فيها المنتفعون بالتنمية الاقتصادية أن يمارسوا الأساليب العصرية في حياتهم. وليس هذا، بالطبع، هدفا قوميا معلنا بل هو نتيجة واضحة للسياسات العامة. ان السمة المميزة للباحث العام عن الفعالية، بالمقابلة مع الباحث الخاص عن الفعالية، هي أن الأول يحاول أن يصل إلى حلوله المثلى داخل الحدود الوطنية وتخوم «الجيب العصري». ان تطور الفكر المصري حول موضوع هجرة الكفاءات بين ١٩٦٦ و ١٩٧٤ يظهر القبول المتدرج لسلوك نشدان الفعالية على صعيد الفرد بعد ممارسته على صعيد الدولة بوقت طويل، وان ما يثير الدهشة هو أن بعض المراسلين يتساءلون عن السبب وراء وجود ٧٠ بالمئة من مشاريع «الباب المفتوح» (open doors) في القاهرة ووجود البقية في الاسكندرية والجيزة. ان الجيوب العصرية موجودة داخل المراكز الحضرية الكبرى وهي الأهداف الأساسية للتخطيط الانمائي الباحث عن الفعالية (غيث ١٩٧٨).

ان طاقة الجيب العصري على الاستيعاب هي عامل أساسي في تدفق القوى البشرية ذات المستويات العالية إلى الخارج. كما أن المستشفيات التي تتطلب خدمات موظفين طبيين متخصصين إنما تخدم طبقات محددة من المجتمع في البلدان الأقل نموا. ولا تملك حكومات البلدان الأقل نموا الموارد لتقديم هذا النوع من الخدمة لكل مواطن. ومع ذلك فإن التعليم الطبي في معظم الدول العربية مماثل للتعليم الطبي الغربي، وهكذا فإنه موجه نحو المعالجة في المستشفى بدلا من الوقاية. لذا يجب على «فائض الأطباء» أي، الأطباء الذين ليس بوسعهم أن يجدوا عملا بالمستشفى أو مرضى من الطبقة المتوسطة، أن يهاجروا إلى الخارج. وليس مطلوبا من المهندسين والعلماء أن يخططوا أو ينفذوا مشاريع «تسليم المفتاح باليد» التي لا تتطلب التقنية من قبل المستفيدين. وهنا، أيضا، ليس بإمكان الباحثين عن الفعالية أن يضيعوا جهودهم في بناء قدرات ومؤسسات وطنية، إذ أن إرسال الابن إلى اوكسفورد أو معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وإيكال مهمة تنفيذ المشاريع الجدية إلى شركات أجنبية ذات كفاءة دولية ثابتة، أمر أكثر فعالية وامنا وسرعة.

وعلى أساس هذا النهج تطرح مشكلة هجرة الكفاءات بشكل معكوس: ما علينا أن ندرسه ونفسره هو سبب بقاء عدد كبير من القوى البشرية ذات المستويات العالية في بلدانها.

هجرة الكفاءات، المركز والمحيط

لقد طور علماء اميركا اللاتينية مدرسة التبعية الفكرية القائلة بأن بلدان العالم الثالث تحكمها أقلية من السكان تشكل القطاع الحديث الذي يعتبر جزءا من النظام الرأسمالي العالمي. وليس

لتحرك القوى البشرية ذات المستويات العالية إلى داخل الجيب العصري، أو منه إلى خارجه، أو بتحركها نحو البلدان المتقدمة او منها، علاقة تذكر بالتنمية. فهذا التحرك هو في الواقع منافسة بين فئات النخبة في المركز والمحيط. والعلاقة الوحيدة بين الجيب العصري و ٧٠ إلى ٩٠ بالمئة من القاعدة السكانية هي من خلال «مفعول التسيب» (trickle effect). ان الاقتصاد التقليدي برمته يقع خارج التخطيط الانمائي أو التفكير الاجتماعي والاقتصادي السائدين.

وحسب نهج التبعية، فإنه لا يمكن تحقيق انخفاض في تدفق القوى البشرية ذات المستويات العالية إلى الخارج إلا من خلال التغيير في توزيع الدخل، وتغيير العلاقة بين القطاعين التقليدي والحديث. ونجد في الواقع ان هذه المدرسة الفكرية، متشائمة تماما بشأن إمكانية إيجاد حلول للمشكلات الاقتصادية للبلدان الأقل نموا في إطار نظام الفكر الاقتصادي الراهن[١٠].

هجرة الكفاءات والتعليم العالي

إن النظم العربية للتعليم العالي تهيء شبابها للعيش الحضري ولسد حاجات الجيب العصري. ولا تشير العمليات التربوية سوى إشارة ضئيلة إلى القطاع التقليدي للاقتصاد او حتى إلى المشاريع الضخمة التي انجزت، أو هي قيد الانجاز. كما أن افكار الأساتذة وطرق تعليمهم والكتب المستعملة هي أجنبية في معظمها. فلا عجب إذن من نزعة العزلة المرافقة للعملية التربوية، وعليه فإن الهجرة الداخلية للكفاءات والتنافر بين المجتمع بكل مشكلاته وحقائقه والقوى البشرية ذات المستويات العالية تعتبر جميعها مؤشرات للقلق الثقافي.

الهجرات الاقليمية للقوى البشرية ذات المستويات العالية

لقد أشرنا فيما سبق إلى أن ١٢ إلى ١٥ بالمئة تقريبا من مجموع القوى العربية ذات المستويات العالية قد هاجرت إلى دول الخليج والمملكة العربية السعودية وليبيا. ويفسر البعض هذا التدفق إلى الخارج بأنه انعكاس للتضامن العربي والتعاون بين العرب. وتثني البلدان



□ جامعة اكسفورد ــ انكلترا.

المصدرة للقوى البشرية ذات المستويات العالية على نفسها لمساعدة الدول العربية الشقيقة، في حين أن مواقف البلدان المضيفة تتراوح بين الارتياب والرضى. وقد آن الأوان، دون شك، للقيام بدراسات ميدانية مفصلة لوصف الحقائق بدقة. ويجب أن يلفت مجال البحث هذا انتباها كبيرا في البلدان المستوردة للقوى البشرية ذات المستويات العالية وفي البلدان المصدرة لتلك القوى على حد سواء.

استنتاجات

لقد حاولنا في هذه المناقشة لهجرة الكفاءات التأكيد على الأوجه التي تمت بأوثق الصلات إلى مجتمع نام. ويختلف مفهوم «هجرة الكفاءات» باختلاف الناس. ويبدو لي أن القضايا الجوهرية قد ضاعت في خضم المعاملات المعقدة بين الشمال والجنوب وفي استغلال القوى البشرية تجاريا. إن البلدان الأقل نموا قد تضيع وقتا ثمينا في سعيها لمعالجة المشكلة على طريقة مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية، أو حسب مدونة قواعد السلوك. وقد اتخذ عدد كبير من البلدان الأقل نموا مجموعة كبيرة من الاجراءات

لتشجيع العودة إلى الوطن مثل تأمين مناصب امتياز ومنح دراسية ومكافآت مالية وسحب جوازات السفر إلى غير ذلك. ولكن هذه الاجراءات لم تحرز سوى نجاح محدود جدا.

وقد تساءلنا في هذه الدراسة عن سبب بقاء العديد في بلادهم أكثر من تساؤلنا عن سبب هجرتهم. ومهما يحدث فإن حوالي ٨٠ بالمئة من مجموع القوى البشرية ذات المستويات العالية هم في أوطانهم، وأن حوالي ٣٠ ــ ٧٠ بالمئة من حملة الدكتوراة العرب في الهندسة والعلم قد عادوا إلى أوطانهم بمحض إرادتهم. ونحن نشعر بأن نقطة البداية لأي برنامج فعال للقوى البشرية هو في تعلم الطريقة التي تؤدي إلى زيادة إنتاجية القوى البشرية المتاحة حاليا، وطريقة دمج هذه القوى ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وطريقة تطوير المؤسسات العربية. ان عددا كبيرا من القوى البشرية ذات المستويات العالية يهاجر بدافع اليأس. وينبغي تقويم الظروف التي أدت إلى ذلك، بصرف النظر عما إذا كان اولئك الذين هاجروا من الوطن قد عادوا أم لم يعودوا. وبعد كل ما تقدم، فإنه من المتوقع أن يتخرج حوالي ١٢ مليون عربي من الجامعات بين عامي ١٩٧٩ و ٢٠٠٠. وينبغي أن تساعدنا دراسة هجرة الكفاءات على إصلاح التعليم الجامعي العربي والمؤسسات العربية وسياسات القوى البشرية في الوقت المناسب لاستخدام الموارد البشرية التي تملك مثل هذه الامكانات الضخمة استخداما أفضل.

الهوامش

(٥) مصر، سورية، العراق، لبنان، الأردن، السودان، المملكة العربية السعودية، تونس، ليبيا والكويت. ولم تتوافر معلومات مفصلة عن الاحدى عشرة دولة عربية الأخرى.

(٦) حسب تقدير أعدته جامعة القديس يوسف ببيروت، تلقى ٦٢ بالمئة من الأطباء الذين انضموا إلى الجمعية الطبية اللبنانية بين عامي ١٩٧١ و ١٩٧٧ تعليمهم بالخارج. المصدر: (L'Orient-Le Jour 1978 .

(٧) للحصول على محضر الاجتماع وقائمة بدراسات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية انظر: UNCTAD (1978).

(٨) منذ بداية الحرب في لبنان في عام ١٩٧٥ لفتت عدة مقالات في الصحافة اللبنانية الانتباه إلى هجرة القوى البشرية من جميع الفئات، ولم يتم إلى الآن اي جمع رسمي للوثائق.

(٩) مثلا: Mejia (1975)، انظر ايضا: Kidd (1970)، والفصول التالية وثيقة الصلة بهجرة الكفاءات العربية:

- George B. Baldwin, «The General Picture in the Middle East», pp. 261-268.
- A.B. Zahlan, «Migration Patterns of the Graduates of the American University of Beirut», pp. 269-297.
- Charles V. Kidd, «Migration into Britain and Western Europe: An Overview», pp. 505-507.
- Michel Bouvier and Marie-France Desbruyères, «France: Immigration of Scientific and Medical Personnel», pp. 533-562.
- Geoffrey Oldham and Oscar Gish, «Migration of Professionally Qualified Manpower from the Developing Countries to Britain», pp. 563-633.
- The Committee on the International Migration of Talent, «Modernization and the Migration of Talent: Overall Conclusions and Recommendations», pp. 667-724.

انظر ايضا: زين (١٩٨٢) وربيع (١٩٧٢) و:
- Glaser (1978); Tapinon (1974); Zahlan (1972).

(١٠) انظر مثلا:
Herrera et al. (1976) and Herrera (1978)

المراجع العربية:

ـ جامعة عين شمس ١٩٦٧: **تقويم جامعة عين شمس، ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨**. القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس.

ـ جلال، صلاح ١٩٧١: «جسر بين القاهرة وعلمائها المهاجرين». **الأهرام**، ٢٥ كانون الثاني (يناير).

ـ ربيع، محمد ١٩٧٢: **هجرة الكفاءات العلمية**. الكويت، جامعة الكويت.

ـ رشاد، حمدي ١٩٦٩: **دليل المهاجرين للخارج**. القاهرة، المطبعة الانجلو مصرية.

ـ زين، الياس ١٩٧٢: **هجرة الأدمغة العربية**. بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ سامي، محمود ١٩٦٩: **الأهرام**، ٢٣ نيسان (ابريل).

ـ سعيد، رشدي ١٩٧٢: «نزيف الهجرة والأوهام المتصلة به». **الأهرام**، ٦ تشرين الثاني (نوفمبر).

ـ **الطليعة** ١٩٧٣، (القاهرة) نيسان (أبريل).

ـ غيث، أسامة ١٩٧٨: «توزيع المشاريع الناجمة عن سياسة الباب المفتوح في مصر». **الأهرام**، ٢ آب (اغسطس).

ـ مطاوع، عبد الوهاب ١٩٦٩: «خمسون الف مصري في الخارج». **الاهرام**، ٢٠ نيسان (ابريل).

ـ ١٩٦٧، «نداء إلى شعوب العالم الثالث: اميركا تسرق علماءكم». **الصياد**، ٢٤ آب (اغسطس)، عدد ١١٩٧، مجلد ٢٤.

ـ هويدي، فهمي ١٩٦٩: «هجرة الخبراء والتقنيين بين عوامل الجذب والدفع». **الأهرام**، ٤ تموز (يوليو).

المراجع الأجنبية:

Abdel-Jaber, Taysir. 1978. *The Brain Drain from the ECWA Countries.* Beirut, August, pp. 21-22 (E/ECWA/57).

Amin, Galal. 1974. *The Modernization of Poverty.* Leiden: E.J. Brill, Pubs.

Bahig, Ahmed Fathy. 1971. "Graduate Study Missions to the United States As Serving the National Interest of the United Arab Republic (Egypt)." Ph.D dissertation. Catholic University of America. Washington, D.C.

Bouvier, Michel, and Desbruyeres, Marie-France. 1970. "France: Immigration of Scientific and Medical Personnel." In *The International Migration of High-Level Manpower: Its Impact on the Development Process*, edited by Charles V. Kidd. New York: Praeger.

Cairo University Prospectus. 1970. Cairo: Cairo University Press.

Daily Star. 1969. "Egypt Will Ask Countries to Return Students After Courses Are Finished." 5 August.

Dedijer, Stevan. 1961. "Why Did Daedalus Leave?" *Science*, Vol. 133.

Egypt between Now and the Year 2000. 1974. Cairo: n.p.

France. Ministère de l'Education. 1977. *Les étudiants: effectifs des étudiants dans les universités, année scolaire 1975-1976.* Paris, pp. 56-62.

France. Ministère du Travail. 1977. *Les étrangers au recensement de 1975, migrations et sociétés.* Paris.

Glaser, William. 1978. *The Brain Drain.* Oxford: Pergamon Press.

Harding, Harry. 1970. *Modernization and Mao: The Logic of the Cultural Revolution.* Santa Monica, California: Rand, August.

Herrera, Amilcar O. 1978. "An Approach to the Generation of Technologies Appropriate for Rural Development." In *Technology Transfer and Change in the Arab World*, edited by A.B. Zahlan. Oxford: Pergamon Press.

Herrera, Amilcar O., et al. 1976. *Catastrophe or New Society, a Latin American World Model.* Ottawa: IDRC.

Kidd, Charles, ed. 1970. *The International Migration of High-Level Manpower: Its Impact on the Development Process.* New York: Praeger.

Kuraitem, Anwar, and Hamdi, Midhat. 1966. *Brain Drain from the United Arab Republic.* Cairo: Department of Missions, Ministry of Higher Education.

Al-Malih, Sabah Yusef, and Al-Ikabi, Ibrahim. N.d. *Higher Education in Iraq, 1960/61-1969/70, Trends and Developments.* Baghdad: Department of Educational Planning, Ministry of Planning.

Mejia, Alfonso. 1975. *Multinational Study of the International Migration of Physicians and Nurses.* Geneva: World Health Organization.

Oldham, Geoffrey, and Gish, Oscar. 1970. "Migration of Professionally Qualified Manpower from the Developing Countries to Britain." In *The International Migration of High-Level Manpower: Its Impact on the Development Process*, edited by Charles U. Kidd. New York: Praeger.

L'Orient. 1971. "Le rapport de l'U.S.J. sur la crise de l'université." 21 March.

L'Orient-Le Jour. 1974. "Un problème crucial: l'exode des cerveaux arabes." 17 March.

———. 1978. "Le rapport triennal de l'U.S.J. sur la crise de l'université." 19 November.

Al-Said, Mostafa Al-Said. 1960. *The Expansion of Higher Education in U.A.R.* Cairo: Cairo University Press.

Shaath, Nabeel. 1965. "Education, High-Level Manpower, and the Economic Development of the United Arab Republic." Ph.D. dissertation, University of Pennsylvania, Philadelphia.

Shakrani, Ali M. 1971. "Iraqi Highly Skilled Manpower in the United States Labour Force." *IDCAS Bludan Conference, 1971.*

Tapinos, Georges. 1974. *L'économie des migrations internationales.* Paris: Colin.

United Nations Conference on Trade and Development (UNCTAD) Secretariat. 1975. *The Reverse Transfer of Technology: Its Dimension, Economic Effects, and Policy Implications.* Geneva (TD/B/C.6/7).

———. 1978. *Report of the Groups of Governmental Experts on Reverse Transfer of Technology, Geneva, 27 February-7 March 1978.* Geneva (TD/B/C.6/28).

United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization (UNESCO). 1971. *UNESCO Statistical Yearbook, 1970.* Louvain, Belgium.

U.S., Congress, House, Committee on Government Operations. 1967. *The Brain Drain into the United States of Scientists, Engineers, and Physicians.* Staff Study, Research and Technical Programmes Subcommittee, July.

———. 1968. *The Brain Drain of Scientists, Engineers, and Physicians from the Developing Countries into the United States, Hearing.* 23 January.

U.S., National Science Foundation. 1973. *Immigrant Scientists and Engineers in the United States.* 73-302. Washington, D.C.: Government Printing Office.

———. (Relevant years). *Scientists and Engineers from Abroad.* Washington, D.C.

Waardenburg, Jean-Jacques. 1966. *Les universités dans le mônde arabe actuel.* Vol. 2. Paris: Mouton & Co.

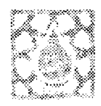
Watanabe, S. 1969. "The Brain Drain from Developing to Developed Countries." *International Labour Review.* Vol. 99.

Whelan, Joseph G. 1974. *Brain Drain: A Study of the Persistent Issue of International Scientific Mobility.* Washington, D.C.: Government Printing Office.

Zahlan, A.B. 1972. "The Arab Brain Drain." *M.E.S.A. Bulletin.* Vol. 6, No. 1.

———. 1973. "The Social Responsibility of the Arab Scientist." In *The Arab Today: Alternatives for Tomorrow,* edited by E. Said and F. Suleiman. Columbus, Ohio: Forum.

———. 1977. "The Brain Drain Controversy." In *Proceedings of the International Population Conference.* Vol. 5.



الخليفة الزاهد

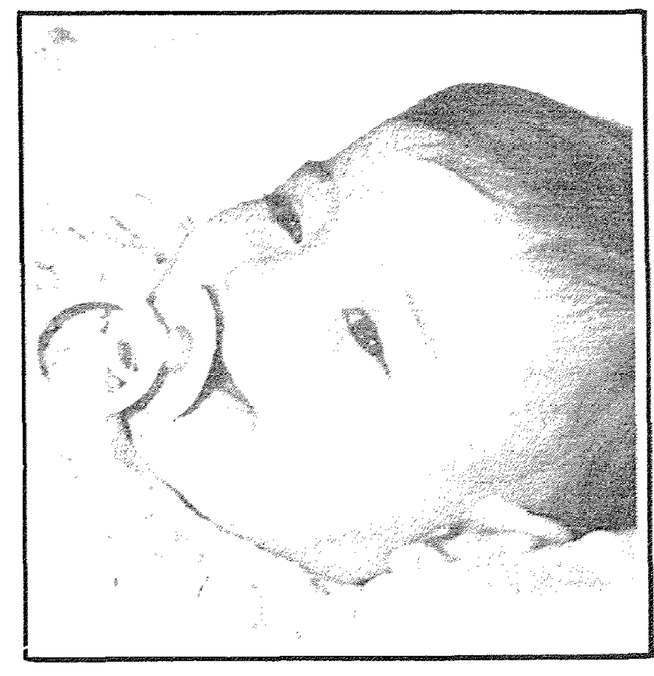
□ كان عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه أزهد خلفاء بني أمية في الدنيا، وأعد لهم في الحكم، وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

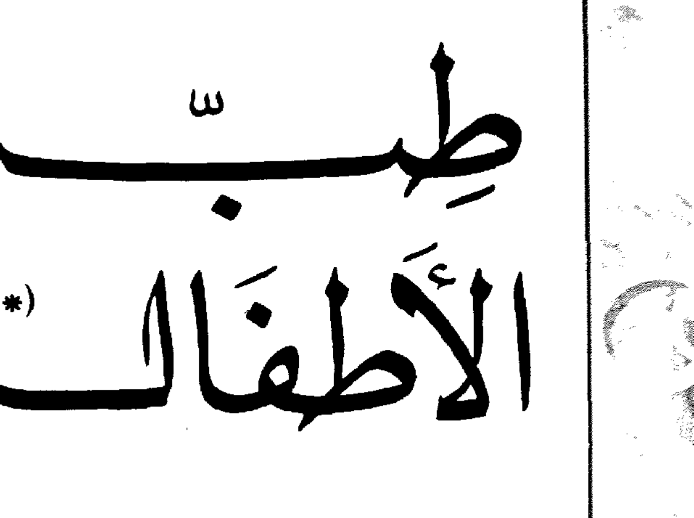
من كان حين تمس الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً مرغماً حدثا
تجهزي بجهاز تبلغين به ... يا نفس قبل الردى لم تخلقي عبثاً

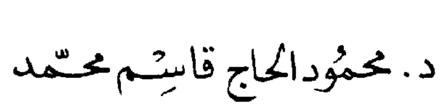
أشد خلق الله

□ قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أشد جنود ربك عشرة: الجبال الرواسي، والحديد يقطع الجبال، والنار تذيب الحديد، والماء يطفىء النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح تقطع السحاب، وابن آدم يغلب الريح، يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته، والسكر يغلب ابن آدم، والنوم يغلب السكر، والهم يغلب النوم، فأشد خلق الله عز وجل الهم.

عرض وتقييم للمؤلفات العربية في







أبدع الأطباء والتربويون والعلماء العرب والمسلمون في الأمور المتعلقة بالطفل: نشأته، تطوره، معالجة أمراضه وتربيته. وسجلوا ذلك فيما خلفوه لنا من مخطوطات عربية صارعت عوادي الزمن واستطاع النزر اليسير منها أن يبقى ساطعا في كتب مطبوعة او مخطوطة بحاجة إلى دراسات جيدة.

وكان لنا شرف المساهمة بدراسات متواضعة حول هذا الموضوع في مؤلفنا «تاريخ طب الأطفال عند العرب» وفي كتاب «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان» لأحمد بن محمد البلدي الذي قمنا بتحقيقه، إلا أننا نعتقد بأن تراثنا في هذا الحقل لا زال بحاجة إلى دراسة موضوعية تحليلية لا يمكن أن تقوم بجهد فردي وإنما بعمل جماعي يقوم به عدد من العلماء والباحثين والأطباء.

وان تواجد هذه النخبة الخيرة في هذه الندوة فرصة سانحة لكي نرسي القواعد الأساسية لكيفية إحياء هذا التراث وجمعه وانتقاء الصالح منه للحفاظ عليه ودراسته حتى نتمكن في النهاية من طرح استقراء علمي عربي لطب الأطفال عند العرب والمسلمين، ومن ثم نكون قد حققنا لأنفسنا ولأجيالنا القادمة من أطباء الأطفال والمربين انتماء «علميا» لتقوم حياتنا العلمية والطبية المعاصرة على أسس من جهود علمائنا وأطبائنا السابقين دون تفريط في امتدادها التاريخي.

□ د. محمود الحاج قاسم محمد: «عضو الجمعية الدولية لتاريخ الطب».

(*) بحث القي في الندوة العالمية عن «الطفل في الطب العربي» طرابلس ــ الجماهيرية العربية الليبية ــ في الفترة ١٥ ــ ٢٠ مارس/ ١٩٨٢.

حاولنا في هذه الدراسة الاحاطة بكل ما كتب باللغة العربية في طب الأطفال من قبل الأطباء العرب والمسلمين حتى بدايات القرن العاشر الهجري (بداية تخلف الحضارة الطبية العربية الاسلامية). وفي استعراضنا لتلك المؤلفات وجدنا بأن أهمها واشهرها خمس وأربعون مؤلفا بين مخطوط ومطبوع فيها ما هو بشكل كتاب مستقل وبعضها فصول ضمن مؤلفاتهم الموضوعية.

الكتب التي لا زالت مخطوطة حسب التسلسل الزمني لمؤلفيها:

١ ــ مقالة في الجنين وكونه في الرحم ــ ليوحنا بن ماسويه.
٢ ــ مواضيع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر/ لثابت بن قرة.
٣ ــ مقالة في صفة كون الجنين ــ لثابت بن قرة.
٤ ــ رسالة في الجدري والحصبة ــ لثابت بن قرة.
٥ ــ مقالة في كون الجنين ــ لحنين بن اسحاق.
٦ ــ كتاب في اللبن/ الجنين ــ لحنين بن اسحاق.
٧ ــ المولودون لسبعة أشهر لحنين بن إسحاق.
٨ ــ كتاب في اللبن/ لأبي بكر بن زكريا الرازي.
٩ ــ كتاب المنصوري/ لأبي بكر بن زكريا الرازي.
١٠ ــ المعالجات البقراطية/ لأحمد بن محمد الطبري.
١١ ــ مقالة في الجدري والحصبة والحميقاء/ لأحمد بن أبي الأشعث.
١٢ ــ رسالة في أوجاع الأطفال/ لابن مندويه الأصفهاني.
١٣ ــ رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء الفيل ــ لعلي بن رضوان.
١٤ ــ مقالة أن جالينوس لهم يخلط في اقاويله في اللبن على ظن قوم لعلي بن رضوان.
١٥ ــ كتاب في الأغذية/ لأبي مروان عبد الملك بن زهر.
١٦ ــ رسالة في أوجاع الأطفال/ لابن النفيس.
١٧ ــ جامع الغرض في حفظ الصحة ودفع المرض/ لابن القف.

إن بعض هذه المؤلفات مفقودة وبعضها لم يتهيا لنا الاطلاع عليها. والمخطوطات التي قمنا بدراستها كانت على التوالي:

١ ــ الأرجوزة في الطب/ لابن طفيل.
٢ ــ مقالة في الجنين وكونه في الرحم/ ليوحنا بن ماسويه.
٣ ــ المنصوري/ للرازي.
٤ ــ المعالجات البقراطية/ لاحمد بن محمد الطبري.
٥ ــ رسالة في أوجاع الأطفال/ لابن مندويه الأصفهاني.
٦ ــ كتاب في الأغذية/ لابن زهر.

اما الكتب المطبوعة فاننا استطعنا دراستها جميعا وهي حسب التسلسل الزمني لمؤلفيها كما يلي:

١ ــ فردوس الحكمة/ لعلي بن زين الطبري.
٢ ــ الذخيرة في علم الطب/ لثابت بن قرة.
٣ ــ كتاب المولودين/ لحنين بن اسحاق.
٤ ــ الحاوي في الطب/ للرازي.
٥ ــ كتاب في الجدري والحصبة للرازي.
٦ ــ رسالة في امراض الأطفال والعناية بهم/ للرازي.
٧ ــ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين/ لعريب بن سعد القرطبي.
٨ ــ سياسة الصبيان وتدبيرهم/ لابن الجزار القيرواني.
٩ ــ كامل الصناعة الطبية/ لعلي بن العباس المجوسي.
١٠ ــ رسائل أخوان الصفاء.
١١ ــ تدبير الحبالى والأطفال والصبيان/ لأحمد بن محمد البلدي.
١٢ ــ التصريف لمن عجز عن التأليف/ للزهراوي.
١٣ ــ القانون في الطب/ لابن سينا.
١٤ ــ الأرجوزة في الطب/ لابن سينا.
١٥ ــ تقويم الأبدان/ لابن جزلة البغدادي.
١٦ ــ المختارات في الطب/ لابن هبل البغدادي.
١٧ ــ حي بن يقظان / لابن طفيل.

١٨ ــ العمدة في الجراحة/ لابن القف.
١٩ ــ تحفة المورود بأحكام المولود/ لابن القيم الجوزية.
٢٠ ــ تذكرة أولي الألباب/ لداود الأنطاكي.

وهناك كتب مطبوعة في تربية وتعليم الطفل كان لا بد من دراسة بعضها لما لها من علاقة في بناء شخصية الطفل وتقويمه النفسي والتربوي وهي:

١ ــ رسالة السياسة/ ابن سينا.
٢ ــ احياء علوم الدين/ الغزالي.
٣ ــ رسالة أيها الولد/ الغزالي.
٤ ــ احصاء العلوم/ الفارابي.
٥ ــ تدبير الأخلاق وتطهير الأعراق/ ابن مسكويه.
٦ ــ آداب المتعلمين/ محمد بن سحنون.
٧ ــ الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين/ القابس القيرواني.
٨ ــ جامع شتات العلم وفصله/ القرطبي الأندلسي.
٩ ــ مقدمة ابن خلدون.

والآن وبعد الاستعراض السريع للمؤلفات العربية في طب الأطفال لا بد من وقفة قصيرة عند كل واحد من تلك المؤلفات الأساسية والتي حالفنا الحظ في الاطلاع عليها لتقييمها من الناحية العلمية والتاريخية لاعطاء كل صاحب حق حقه وللوصول للحقيقة الدامغة في تبيان فضل الأطباء العرب والمسلمين ومدى مساهماتهم في هذا الفرع المهم من فروع الطب. وسوف نتناول تلك المؤلفات حسب التسلسل الزمني لمؤلفيها.

١ ــ فردوس الحكمة

مؤلفة أبو الحسن علي بن سهل رين الطبري (ولد سنة ٧٨٠ أو ٧٧٠ في مدينة مرو من أعمال طبرستان). يعتبر هذا الكتاب أقدم تأليف جامع لفنون الطب بالعربية، وهو مقتبس عن الكتب الطبية اليونانية والهندية.

خصص الطبري الباب الأول والثاني من المقالة الرابعة للتحدث عن تربية الأطفال وحفظ الصحة وتربية الصبي إذا ترعرع، وهي بمجموعها منقولة عن جالينوس.

٢ ــ مقالة في الجنين وكونه في الرحم

مؤلفة يوحنا بن ماسويه (ولد في سنة ١٦١هـ/ ٧٧٧م وتوفي في سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م). لا زالت مخطوطة، اطلعنا على النسخة الخطية منها والموجودة في مكتبة المتحف العراقي ضمن مجموعة برقم (١٣٢١٢) مكتوبة سنة (٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م).

لهذه المخطوطة أهمية تاريخية من حيث كونها أول مؤلف مستقل في علم الأجنة باللغة العربية. أن هذا المؤلف مقتبس في مجموعة عن كتاب الأجنبية لأبقراط وآراء جالينوس في هذا الموضوع.

٣ ــ كتاب الذخيرة في علم الطب

لثابت بن قرة المتوفي سنة ٢٨٨/ ٩٠٠م.
يحوي الكتاب فصلاً قصيرا في أوصاف الحليب.

٤ ــ كتاب المولودين

(أو كتاب فيمن يولد لثمانية أشهر على طريقة المسئلة والجواب) لحنين بن اسحق العبادي (المولود في الحيرة عام ١٩٤هـ/ ٨١٠م).
اعتمد في تأليفه على كتاب أبقراط في المولودين لثمانية أشهر وإن كان ليس له ترجمة حرفية. حاول فيه تعليل سبب عدم إمكانية عيش المولودين لثمانية أشهر بشكل منطقي بالنسبة لزمانه، إلا أن العلم الحديث لا يوافقه فيما ذهب إليه.

٥ ــ الحاوي في الطب

تأليف أبي بكر محمد بن زكريا الرازي (المولود في الري جنوب طهران في حدود ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م والمتوفي فيها ٣١٣هـ/ ٩٢٥م).
على الرغم من كون الحاوي سجلا لمشاهدات الرازي ليس إلا، فاننا نجد فيه تدوينا للملاحظات السريرية لأول مرة في تاريخ الطب، يبتدىء الحاوي بفصل عن العناية بالوليد. ونجد في أجزائه المختلفة كثيرا من الملاحظات عن أمراض الأطفال على سبيل المثال تحدث عن كيفية مساعدة الطفل على النوم والاسترخاء والتقيء



□ الطبيب العربي ثابت بن قرة

والاختلاجات والحصبة والجدري، والكزاز، والحصى المتولد في الصبيان وأمور كثيرة أخرى متعلقة بالأطفال جاءت متفرقة هنا وهناك.

٦ ـ المنصوري/ للرازي أيضا

المقالة الرابعة «في تدبير الأطفال». يتكلم هنا الرازي بشكل موجز عن كيفية العناية بالوليد ثم كيفية الرضاعة والفطام وعن اختيار المرضعة وتدبيرها ثم يتكلم عن معالجة الصبيان وكيفية العناية بهم، وفي موضع آخر شرح الوقاية من كبر الخصية في الأولاد وكبر الثدي في البنات.

٧ ـ رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم

ألفها الرازي في حدود ٩٠٠م. وهي تعتبر باتفاق المؤرخين أول مؤلف مستقل في طب الأطفال. حيث فصل فيها الرازي بين طب الأطفال والأمراض النسائية لأول مرة في تاريخ الطب على خلاف من سبقوه حيث كانوا يدمجون طب الأطفال مع الأمراض النسائية في مؤلفاتهم.

ان هذه الرسالة لا توجد منها على علمنا أية نسخة باللغة العربية الآن، ولا نعلم على وجه

التحقيق فيما إذا كان الرازي ألفها باللغة العربية أم الفارسية كما يقول رادبل. وإن كنا نميل إلى كونها ألفت باللغة العربية لأن المعروف عن الرازي أنه لم يؤلف أي كتاب طبي بأية لغة غير العربية.

ترجمت هذه الرسالة قديما إلى العبرية ثم إلى اللاتينية والايطالية والانكليزية. وقام بترجمتها عن الايطالية مؤخرا رادبل (Samuel X. Radbill) إلى الانكليزية ونشرها في مجلة الأطفال الأميركية عام ١٩٧١م، وأن هذه الترجمة تعتبر أول وأكمل ترجمة مطبوعة باللغة الانكليزية وهي الترجمة التي اعتمدنا عليها في ترجمتنا للرسالة إلى العربية. الرسالة تحوي أربعة وعشرون بابا وتبحث في مختلف أمراض الأطفال ومعالجتها وهي (السعفة، الجرب، كبر الرأس، انتفاخ البطن، العطاس، السهر، السعال، الصرع، جريان السم والصديد في الأذن، أمراض العين، أمراض الأسنان، تقرحات الفم، القيء، الاسهال، السعال، الحكة والنفاط، الديدان، بروز السرة، الفتق، حصى المثانة، شلل الأطفال). إضافة للقيمة التاريخية للرسالة من حيث كونها أول مؤلف في طب الأطفال فان لها قيمة علمية أيضا حيث أنها تتضمن آراء ونظريات الرازي في طب الأطفال مكتوبة بطريقة جديدة مخالفة لمن سبقه من الأطباء اليونانيين وبعض الأطباء العرب، فقد تناول أمراض الأطفال بصورة عامة وليس كما تناوله السابقون له بتقسيم أمراض الأطفال حسب أعمارهم أو كما سموه (أسنان الطفل).

٨ ـ كتاب في الجدري والحصبة/ للرازي

نال هذا الكتاب شهرة عظيمة في أوروبا فترجم للاتينية وغيرها من اللغات عدة مرات.

للكتاب قيمة تاريخية وعلمية من حيث كونه الأول من نوعه فقد صور الرازي فيه مرضى الجدري والحصبة تصويرا علميا صحيحا وفرق بينهما لأول مرة في تاريخ الطب عندما وصف كلا على حدة بصورة تفصيلية خلافا لمن سبقه من الأطباء اليونان والعرب إذ أنهم كانوا يعتبرون المرضين واحدا.

والرازي فرق بين المرضين في كتابه هذا في ثلاثة مواضع.

(أ) في الفصل الثاني حين ذكر أوقات انتشار المرضين كلا على انفراد.

(ب) في الفصل الثالث أعطى الدليل القاطع بأن الحصبة والجدري ليسا مرضا واحدا.

(ج) في الفصل الرابع عشر وصف الطفح لكلا المرضين كلا على حدة في أسلوب علمي يعتبر قمة المعرفة بالنسبة لزمانه.

٩ ـ المعالجات البقراطية

لأحمد بن محمد الطبري، لا نعرف بالتحديد سنة ولادته ووفاته إلا أنه عاصر ركن الدولة الذي ملك (من سنة ٣٢٠هـ ـ ٣٦٦هـ).

أن هذا الكتاب هو أحد أقدم ما وصل إلينا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في هذا الموضوع باللغة العربية وهو ليس كتابا مستقلا بطب الأطفال إلا أنه خصص جزء كبيرا منه للتحدث عن علل الأطفال وتدبيره حين يولد، وآداب المرضعة وتدبيرها. وهذا الجزء يتكون من ستين بابا تكلم في الأبواب من الأول حتى الثامن والخمسين عن أمراض الأطفال ومعالجتها والباب التاسع والخمسين تناول فيه آداب المرضعة وتدبيرها. وأفرد الباب الأخير للتحدث عن كيفية العناية بالطفل وتدبيره من الولادة وكيفية تغذيته وتربيته حتى تنبت أضراسه.

أما الأمراض التي ذكرها فكانت على التوالي (الجرب والأمراض الجلدية الأخرى، أمراض الأنف، أمراض العين، البكاء، الخرخرة انطباق المري، تعوج الرقبة، العطاس، أورام المعدة، السرطان، اضطرابات الهضم، القراقر، أنواع القيام (الاسهال)، المغص، نفث الدم، الجدري، والحصبة، الديدان، خروج المقعدة، تورم الخصية، تورم الأربتين.

١٠ ـ سياسة الصبيان وتدبيرهم

لأحمد بن الجزار القيرواني (ولد سنة ٢٨٥/ ٨٩٥م وتوفي سنة ٣٧٧هـ. يعتبر هذا الكتاب أكمل تأليف مستقل مطبوع في طب الأطفال باللغة العربية.

أن أكثر محتويات الكتاب تناولها ابن سينا في

□ الصفحة الأولى من رسالة ابن مندوية في أوجاع الأطفال. مكتبة النجف العراقي ٣٧٧٠.

كتاب القانون في الجزء الأول وفي قسم (التعليم الأول)، وعرض هذه الموضوعات في نظام وأسلوب مشابه لنظام وأسلوب ابن الجزار ولا يستبعد أن يكون ابن سينا قد اطلع على الكتاب ونقل عنه، فنحن نعثر أحيانا على بعض الجمل التي هي نقل حرفي لما في سياسة الصبيان كما يقول محقق الكتاب يحتوي الكتاب على اثنين وعشرين بابا.

يتكلم ابن الجزار في الستة الفصول الأول عن كيفية تدبير الأطفال حين خروجهم من الرحم، في صفة المرضعة، في صفة الضئر المحمود والمذموم، في الأطعمة والأشربة التي تدبر بها المرضعة ليكون لبنها صحيحا، في سبب قلة اللبن وتغير لونه، في تدبير المرضعة القليلة اللبن في رؤوس الصبيان، الداوس، كبر الرأس وصغره، ورم اليافوخ، انتفاخ البطن، داء العطاس، الصرع، السهر، الرطوبة السائلة من آذان الصبيان، الحول، وجع نبات الأسنان، قروح الفم، السعال، القي، الاختلاف، الدود، نتوء السرة، حصى المثانة).

الباب الواحد والعشرون: ناقص من المخطوطة.

الباب الأخير: أفرده للتحدث عن طباع الصبيان وتربيتهم.

١١ ــ خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين

ألفه عريب بن سعد الكاتب القرطبي سنة ٣٥٢هـ، وهو كتاب نفيس يبحث في علم الولادة وطب الأطفال على السواء.

هناك من يعتبره أقدم من كتاب المعالجات البقراطية لأحمد الطبري إلا أنه لا يمكن الجزم بذلك حيث أننا نجهل تاريخ ولادة ووفاة الطبري وعريب كما نجهل تاريخ تأليف كتاب المعالجات البقراطية.

يحتوي الكتاب خمسة عشر بابا.

يبحث المؤلف في الخمسة الأولى منها في علم الأجنة من ابتداء خلق الانسان إلى غاية كماله وعن كيفية تكون المنى وأسباب العقم وعن الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى وأفرد الباب السادس للتحدث عن مدة الحمل وحدوده وعن المولودين لسبعة أشهر، وتكلم في الأبواب الثلاثة التي أعقبت ذلك عن كيفية العناية بالحامل ومعالجتها، وعن أسباب الاسقاط وعلاجه وكيفية الولادة وتسهيل ذلك وكيفية العناية بالمولود الجديد، وكيفية استحمامه، وتدبير النفساء وعن استخراج المشيمة، وعن تكون اللبن ورضاع المولود وحفظ صحة المرضع.

أما القسم المتبقي من الكتاب فخصصه لطب الأطفال ومنهجه في ذلك كسابقيه فقد قسم أسنان المولودين (أجزاء حياتهم) حسب أعمارهم، تكلم في كل جزء من الأجزاء عن كيفية نمو الطفل وأعضاءه وحواسه وحركاته والأمراض التي تصيبه في كل دور وكيفية علاج ذلك. وأخيرا عن تأديب الطفل وتعليمه. والأمراض/ التي ذكرها بصورة عامة كانت القلاع، القيء، السهر، الفزع، ورم السرة، الرواس (كبر الرأس)، صفر الرأس، مصيص اللثة، الاسهال، الحميات، علة الصبيان (الاختلاجات، ورم الحلق، الربو، الحصاة، الديدان، البول في الفراش، عسر التبول، الجدري والحصبة، احتلام الغلمان.

١٢ ــ كامل الصناعة الطبية

لعلي بن العباس المجوسي (من أبناء القرن العاشر الميلادي) يعتبره البعض من أحسن الكتب الطبية باللغة العربية حتى ظهور قانون ابن سينا ومنهم من يساويه بالقانون جودة حتى اليوم، خصص علي بن العباس في الجزء الثاني من كتابه ثلاثة أبواب لطب الأطفال.

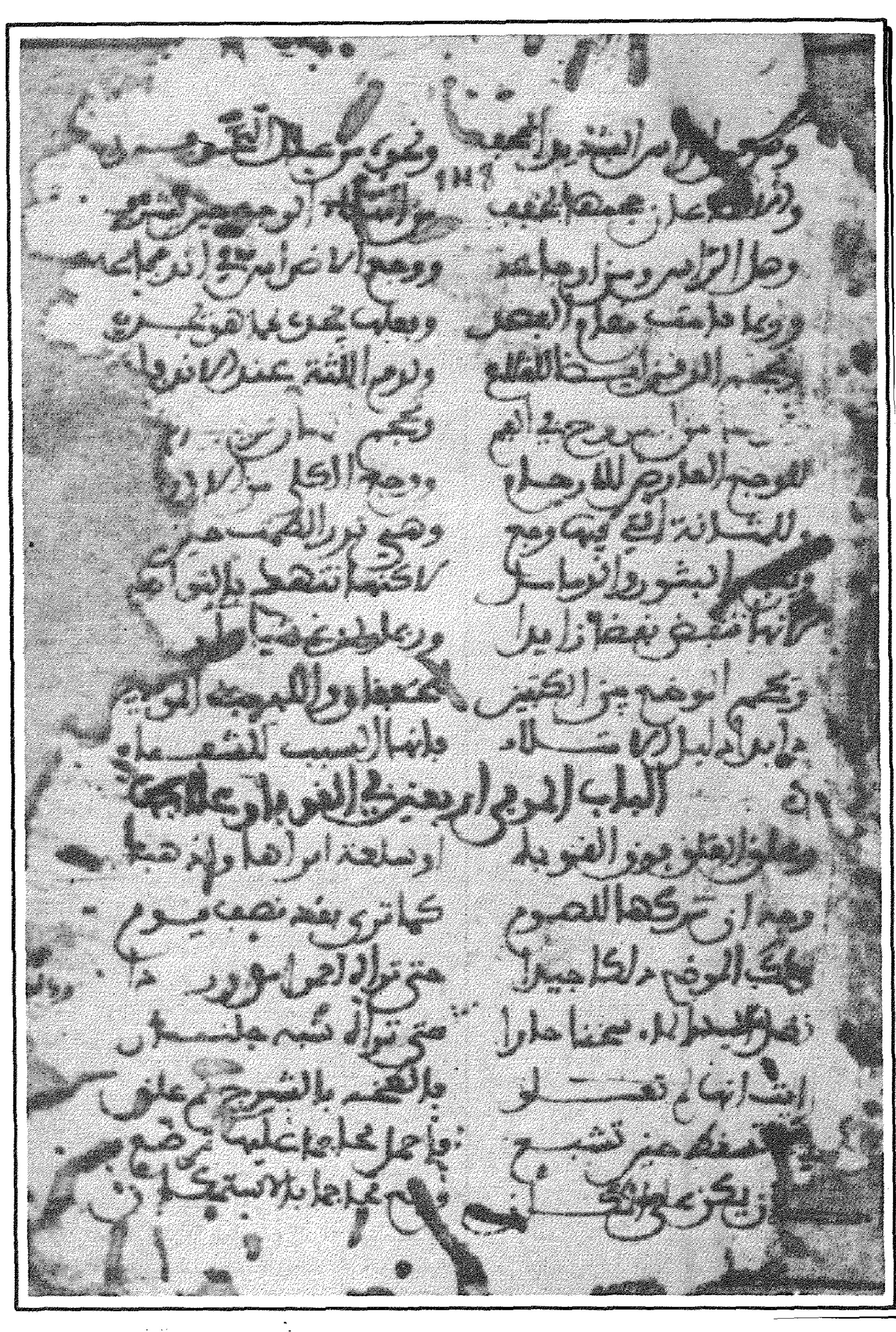
الباب العشرون/ في تدبير أبدان الأطفال ويبحث فيه كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وبعض الأمراض التي يصاب بها ومعالجتها.

الباب الحادي والعشرون/ في تدبير الظئر/ ويبحث فيه عن شروط المرضعة وكيفية العناية بصحتها.

الباب الثاني والعشرون/ في تدبير الصبيان الذين تجاوزوا حد الرضاع/ ويبحث فيه كيفية العناية بالطفل وتربيته حتى سن اثنا عشر سنة.

١٣ ــ رسائل أخوان الصفا

(ألفت في مطلع القرن الرابع الهجري من قبل جماعة سرية).



□ احدى الصفحات من مخطوطة كتاب «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان» لأحمد بن محمد البلدي.

الرسالة الخامسة والعشرون/ في «مسقط النطفة» تبدأ الرسالة في التحدث عن مدة الحمل ثم تطور نمو الجنين في الرحم والتغيرات التي تحدث فيه شهرا بعد شهر، وعن موعد الولادة.
الرسالة الثانية والخمسون/ جاء فيها ذكر خمسة فصول قصيرة لها علاقة بالحامل متى كان الحمل، ومتى تلد، وفي اختيار وقت الحمل، وفي موت الجنين في بطن أمه، وحال المولود في بطن أمه.

وأساس علمهم كله مبني على التنجيم وقراءة الطالع حيث أنهم يعتقدون بأن كل ذلك مرتبط بشكل أساسي بالكواكب السيارة السبعة ومسار أفلاكها.

١٤ ـ تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم

لأحمد بن محمد بن يحيى البلدي (كان حياً قبل سنة ٣٦٨هـ).
ان هذا الكتاب في نظرنا يعتبر اكمل وأحسن ما كتب في بابه ليس بالنسبة لزمانه فحسب بل حتى عصر النهضة العلمية الأوروبية بسنوات، لاحتوائه آراء الأطباء الذين سبقوه وعاصروه اضافة لحصيلة ضخمة من خبراته وتجاربه في كيفية العناية بالحامل وعلم الولادة ومعالجة الأمراض النسائية. والعناية بالطفل من الناحية الجسمية والنفسية والتربوية، ومعالجة أمراضه المختلفة.
الكتاب يتكون من ثلاثة مقالات:
المقالة الأولى/ في تدبير الحبالى والأطفال والأجنة ومداواة ما يعرض من الأعراض والأمراض فيهم وهي تشتمل على سبعة وخمسين بابا تبحث في علم الأجنة وكيفية العناية بالأم الحامل وعلامات الحمل والولادة والأمراض النسائية.
المقالة الثانية/ في تربية الأطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم وهي تشتمل على ثمانية وأربعين بابا. تبحث في العلامات الدالة على صحة المولود والعناية به عند الولادة في اختيار المرضعة والعناية بها، في العناية بالطفل من ناحية استحمامه، نومه وفي فطام الطفل وتعويده على الأغذية، في أسس تربيته وتوجيهه خلقيا ومهنيا.
المقالة الثالثة/ في الأوجاع والأمراض الحادثة بالأطفال والصبيان ومداواة كل واحد منها وما ذكره المتقدمون من الأطباء والفلاسفة فيها وفي مداواتها وهي تشتمل على واحد وستين بابا تبحث في مختلف أمراض الأطفال ومعالجتها وهي (قروح الرأس، ورم الدماغ، السهر والتفزع، التشنج، الكزاز، السكتة، الصداع، الصرع، الرمد، بياض العين، الحول، رطوبة وأورام وقروح الأذن، اللحم النابت في الأذن، ديدان الأذن، الرعاف، الزكام، القلاع، مصيص اللثة، اورام الحلق الخوانيق، اخراج العظم من حلق الصبي، السعال، الربو، القيء، العطش، ورم المثانة فيمن يبول في الفراش، الديدان، المغص، الاختلاف، في خروج مقعدة الصبي، خروج سرة الصبي، البثور والقروح، القوبا الثواليل، سحج الفخذين، الحميات، الجدري والحصبة.

١٥ ـ التصريف لمن عجز عن التأليف

لأبي القاسم خلف الزهراوي (كان مولده ٩٣٦م ووفاته سنة ١٠١٣م) نجد في هذا الكتاب آراء الزهراوي في جراحة الأطفال والتي تبين بصورة جلية مبلغ احاطة الأطباء العرب بهذا الفرع المهم من فروع الجراحة.

١٦ ـ رسالة في أوجاع الأطفال

لأحمد بن مندويه الأصفهاني المتوفي سنة ٤١٠هـ/ ١٠١٩م. وهي رسالة مخطوطة لا جديد فيها يذكر وكل ما جاء فيها حول أمراض الأطفال تكرار لما قاله السابقون من الأطباء العرب والمسلمين.

١٧ ـ القانون في الطب

لأبي علي الحسين بن سينا (ولد في بخارى سنة ٣٧١/ ٩٨٠م. في الجزء الأول منه قسم خاص عن تربية الأطفال وامراضهم سماه ابن سينا (التعليم الأول في التربية) وهو أربعة فصول:
الفصل الأول/ في تدبير المولود كما يولد إلى أن ينهض/ في هذا الفصل نجد آراء ابن سينا وآراء من سبقوه في الأمور الواجب اتخاذها في رعاية المولود حديث الولادة.

□ احدى الصفحات من مخطوطة «الارجوزة في الطب» لابن طفيل.

الفصل الثاني/ يتكلم هنا عن كيفية الرضاعة، وعن اللبن، وشروط المرضعة الجيدة، والفطام.

الفصل الثالث/ تحدث هنا عن أمراض الأطفال وعلاجها وهي (أورام ولذع اللثة، انتفاخ العين، بياض في الحدقة، سلاق، وجع وسيلان الأذن، سوء التنفس، السعال، الزكام، ورم الحلق، استطلاق البطن، القيء، الفواق، المغص، ضعف المعدة، خروج المقعدة، الزحير، الديدان، البكاء، عدم النوم، ريح الصبيان، الأحلام، المفزعة.

الفصل الرابع/ خصصه لتدبير الصبيان إلى سن الصبا وفيه يستعرض أصول التربية الخلقية والنفسية للأطفال وآراءه في التعليم والتوجيه المهني في المستقبل.

أما في بقية أجزاء القانون الأخرى فإننا نقع هنا وهناك على ملاحظات أخرى عن أمراض الأطفال فمثلا عن التبول في الفراش، علة الصبيان (التشنجات)، الحصبة والجدري، الخنثى، الخ).

١٨ ـ الأرجوزة في الطب/ لابن سينا

في الأجوزة ست وخمسون بيتا سرد فيها ابن سينا آراءه بشكل موجز في مسألة العناية بالأم الحامل والولادة والعناية بالجنين أثناء الحمل والطفل عند الولادة واختيار المرضعة الملائمة بأسلوب شعري سلس ممتع لم يسبقه إلى ذلك أحد من قبل في هذا الفرع.

١٩ ـ رسالة السياسة (أو في سياسة الرجل ولده)، لابن سينا

وهي رسالة قيمة في التربية والتعليم شملت آراء ابن سينا في مسألة اختيار الاسم الحسن والمرضعة الجيدة للطفل وكيفية تأديبه وعقابه وأسس تعليمه وصفات المؤدب ومنهجه التربوي وتربيته لكسب العيش.

٢٠ ـ احياء علوم الدين

للامام أبو حامد الغزالي (ولد عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م وتوفي ٥٠٥هـ/١١١١م. فيه قسم بعنوان (بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم) يسرد فيه الغزالي آراءه القيمة في تعليم الطفل وتربيته الخلقية والجسمية.

٢١ ـ رسالة أيها الولد للغزالي أيضا

يقوم في هذه الرسالة مبادىء تربوية وآراء فلسفية علمية ووصايا رائعة لا تقف حدود فائدتها عند الطفل بل تتعداه إلى الحدث والصبى والشاب.

٢٢ ـ تقويم الأبدان في تدبير الانسان

مؤلفه ابن جزلة البغدادي المتوفي سنة ٤٩٣هـ. يفرق ابن جزلة في هذا الكتاب بين أمراض الأطفال والشباب والشيوخ على شكل جداول مقارنة. إلا أنه لا يحوي جديدا لم يذكره الآخرون.

٢٣ ـ المختارات في الطب

لأبي الحسن علي بن هبل البغدادي (المتوفي سنة ٦١٠هـ) الكتاب يحوي ثلاثة فصول لها علاقة بالأطفال. حيث سرد في فصل «خلق الانسان» علم الأجنة بالنسبة لزمانه. وفي فصل «في تدبير المولود» ابتدأ بتقديم النصائح للحامل للحفاظ على الجنين من أي مكروه ولتسهيل ولادته. ثم تكلم عن كيفية استقبال المولود والعناية به عند الولادة وكيفية تغذيته ونومه. وصفات الحليب الجيد وشروط المرضعة وكيفية تغذيتها وكيفية تعويد الطفل على الأكل وفطامه والعناية به عند بروز أسنانه ومشيه.

وفي الفصل الذي يلي ذلك تحدث عن مداواة أمراض الأطفال وفي الفصل الذي بعد ذلك/ تكلم عن كيفية العناية بغذاء الطفل وتربيته بعد أن يكبر وكيفية اختيار المعلم الجيد وتعويده الخصال الحميدة وتوجيهه الوجهة الصحيحة بالنسبة لمستقبله. أن في كتابات البغدادي في هذا الكتاب الكثير من الأفكار العلمية القيمة والآراء التربوية السديدة.

٢٤ ـ كتاب الأغذية

لأبي مروان عبد الملك بن زهر (١٠٩٤ ـ ١١٦٢م) في هذا الكتاب فقرتان قصيرتان لها علاقة بالأطفال الأولى ذكر ما يحفظ

الأجنة في الأجواف والثانية القول في تدبير الطفل.

٢٥ ــ حي بن يقظان

قصة فلسفية لابن طفيل فيها إشارات لمسألة خلق الجنين وغذاء الطفل وتربيته.

٢٦ ــ العمدة في الجراحة

لأبي الفرج بن القف (١٢٣٢ ــ ١٢٨٦م)/ تكلم في بعض فصول الجزء الثاني عن أمور تتعلق بطب وجراحة الأطفال ذكرها متفرقة هنا وهناك ومن بين ذلك في الفصل الثاني من المقالة الرابعة عشرة تكلم عن علاج الحصبة وفرقه من علاج الجدري.

وفي الفصل السادس من المقالة التاسعة عشر تكلم عن أنواع وعلاج الماء الذي يجتمع في رؤوس الصبيان.

وفي الفصل العشرين والذي يليه من نفس المقالة تكلم عن علاج من يولد من الأطفال وكمرته (ذكره) ومقعدته غير مثقوبة وعن تطهير الأطفال وفي الفصل الحادي والثلاثين تكلم عن الأصابع الزائدة والملتصقة.

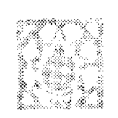
٢٧ ــ تحفة المودود في أحكام المولود

لابن القيم الجوزية (ولد ٦٩١هـ وتوفي ٧٥١هـ) يبحث ابن القيم في هذا الكتاب في الأبواب الخمس عشرة الأولى في الناحية الشرعية في أحكام المولود.

وفي الباب السابع عشر والثامن عشر نجد حشدا وخلاصة لآراء الأطباء في بعض ما يتعلق بطب الأطفال حتى زمانه إضافة لآراءه.

٢٨ ــ تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب

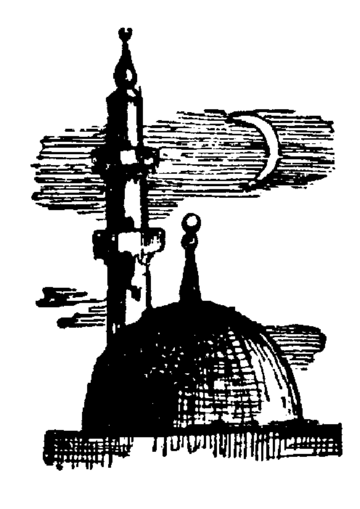
لداود الأنطاكي (من أطباء القرن العاشر الهجري) يحوي الكتاب إشارات لبعض أمراض الأطفال مثل أم الصبيان وكلاما عن كيفية العناية بالمولود حديث الولادة وتركيب الحليب وعن الفطام.



الدهر والأصحاب

□ لقي عالم من العلماء راهباً من الرهبان، فقال له: يا راهب كيف ترى الدهر؟. قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمال، ويباعد الأمنية، ويقرب المنية. قال: فما حال أهله؟ قال: من ظفر به نصب، ومن فاته تعب. قال: فما الغنى عنه؟. قال: قطع الرجاء منه. قال: فأي الأصحاب أبر وأوفى؟. قال: العمل الصالح. قال: فأيهم أضر وأبلى؟. قال النفس والهوى. قال: فأين المخرج؟. قال: في سلوك المنهج. قال: وفيم ذاك؟. قال: في خلع الراحات وبذل المجهود.

بعد طعن عمر بن الخطاب *



خرج عمر[1] بن الخطاب يوماً يطوف في السوق، فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ـ وكان نصرانيا ـ فقال: يا أمير المؤمنين: أعدني[2] على المغيرة بن شعبة، فان عليّ خراجا كثيرا. قال: وكم خراجك؟ قال: درهمان في كل يوم. قال: ما صناعتك؟ قال: نجار، نقاش، حداد، قال: فما أرى خراجك بكثير على ما تصنع من الأعمال، قد بلغني انك تقول: لو اردت ان اعمل رحا تطحن بالريح فعلت، قال: نعم، قال: فاعمل لي رحا. قال: لئن سلمت لأعملَن لك رحا يتحدث بها من بالمشرق والمغرب، ثم انصرف عنه.

فقال عمر: لقد توعدني العبد انفا، ثم انصرف عمر الى منزله، فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار فقال له: يا أمير المؤمنين: اعهد، فانك ميت في ثلاثة ايام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله عز وجل، التوراة. قال عمر: الله! إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة! قال: اللهم لا: ولكني اجد صفتك وحليتك، وانه قد فني أجلك ـ وعمر لا يحس وجعا ولا المًا.

فلما كان من الغد جاء كعب، فقال: يا امير المؤمنين: ذهب يوم، وبقي يومان، ثم جاءه من غد، فقال: ذهب يومان: وبقي يوم وليلة، وهي لك الى صبيحتها.

فلما كان الصبح خرج عمر الى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالا، فاذا استوت جاء هو فكبر، ودخل ابو لؤلؤة في الناس، في يده خنجر له رأسان، نصابه[3] في وسطه، فضرب عمر ست ضربات؛ احداهن تحت سرته، وهي التي قتلته.

فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا: نعم يا امير المؤمنين؛ هو ذا. قال: تقدم فصل بالناس. فصلى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل، فأدخل داره.

ولما احس الناس قرب موته قالوا له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت! قال: ان تركتكم فقد تركككم من هو خير مني، وان استخلفت فقد استخلف عليكم من هو خير مني، ولو كان ابو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته، فإن سألني ربي، قلت: سمعت نبيك يقول: «انه امين هذه الأمة». ولو كان سالم مولى ابي حذيفة حيا لاستخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: إن سالما يحب الله حبا، لو لم يخفه ما عصاه[4].

قيل له: فلو انك عهدت الى عبد الله بن عمر؛ فإنه لذلك اهل؛ لدينه وفضله وقديم اسلامه، فقال: بحسب آل الخطاب ان يحاسب منهم رجل واحد عن امة محمد، ولوددت اني نجوت من هذا الأمر كفافا[5]، لا لي ولا عليّ.

ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ لو عهدت! فقال: قد كنت اجمعت[6] بعد مقالتي لكم ان اولي رجلا أمركم ارجو أن يحملكم على الحق ـ وأشار الى علي ـ ثم رأيت الا اتحملها حيا وميتا. فعليكم بهؤلاء الرهط الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض:

سعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب؛ وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام؛ وطلحة الخير.

وقال لعبد الرحمن ادع عليا وعثمان والزبير وسعدا وقال: انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا — وكان غائباً — فإن جاء وإلا فاقضوا أمركم. انشدك الله يا علي إن وليت من امور الناس شيئا ان تحمل بني هاشم على رقاب الناس! أنشدك الله يا عثمان إن وليت من امور الناس شيئا ان تحمل بني ابي معيط على رقاب الناس! انشدك الله يا سعد ان وليت من امور الناس شيئا ان تحمل اقاربك على رقاب الناس؛ قوموا فتشاوروا، ثم اقضوا امركم، وليصل بالناس صهيب.

ثم دعا ابا طلحة الأنصاري، فقال: قم على بابهم فلا تدع احدا يدخل اليهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالأنصار الذين تبوءوا الدار والايمان: ان يحسن الى محسنهم، وان يعفو عن مسيئهم، وأوصي الخليفة من بعدي بالعرب؛ فانهم مادة الاسلام: أن يأخذ من صدقاتهم حقها فتوضع في فقرائهم، واوصي الخليفة من بعدي بذمة محمد رسول الله: أن يوفي لهم بعهدهم، اللهم هل بلّغت! تركت الخليفة من بعدي على انقى من الراحة.

يا عبد الله بن عمر: اخرج فانظر من قتلني؟ فقال: يا أمير المؤمنين: قتلك ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد لله سجدة واحدة، يا عبد الله بن عمر: اذهب الى عائشة، فسلها ان تأذن لي ان ادفن مع رسول الله وأبي بكر، يا عبد الله بن عمر: إن اختلف القوم فكن مع الأكثر، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن، يا عبد الله: ائذن للناس.

فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار فيسلمون عليه ويقول: أعن ملأٍ(٧) منكم كان هذا؟ فيقولو: معاذ الله! ودخل في الناس كعب، فلما نظر اليه عمر قال:

فاوعدني كعب ثلاثا اعدّها
ولا شك ان القول ما قال لي كعبُ
وما بي حذارُ الموت إني لميّتٌ
ولكن حذارُ الذنب يتبعه الذنبُ

ثم فاضت روحه، رحمه الله.

(*) تاريخ الطبري: ٥ — ١٢، العقد الفريد: ٢ — ٢٥٦.

(١) عمر بن الخطاب: ثاني الخلفاء الراشدين، المضروب بعدله المثل، اسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وبويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر، وقتل سنة ٢٣هـ.

(٢) اعداه: اعانه.

(٣) نصاب السكين: ما يقبض عليه.

(٤) هذه الجملة تدل على تقرير عدم العصيان على كل حال، وعلى ان انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف اولى (المغني، ص٢٠٢، ج ١).

(٥) الكفاف: الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة اليه، وهو نصب على الحال، وقيل: اراد مكفوفا عن شرها.

(٦) أجمعت: عزمت.

(٧) أي مشاورة من اشرافكم وجماعتكم.

حول الثنائية في الحركة الوطنية السودانية

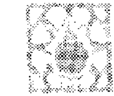
عفاف عبد الماجد أبو حسبو



□ سعد زغلول

اتصفت الحركة الوطنية في السودان بقيادة الخريجين في عهد الحكم الثنائي بصفة الثنائية (Dudlity) والمقصود بالثنائية هنا هو وجود تيارين أو فكرتين وطنيتين متصارعتين واحدة تنادي بالذاتية السودانية المنفصلة عن مصر وتطالب بالاستقلال للسودان ورفعت شعار (السودان للسودانيين) والفكرة الأخرى تنادي بوحدة وادي النيل تحت التاج المصري.

والمتأمل لتاريخ السودان الحديث الذي بدأ ببداية الحكم الثنائي عام ١٨٩٨ يبدو له جليا أن هذه الثنائية كان لا بد لها من أن تظهر وتشطر الحركة الوطنية إلى شطرين متضادين ــ استقلالي واتحادي ــ وفي هذا المقال نستعرض العوامل الرئيسية التي أدت لظهور هذه الثنائية...



في المقام الأول تستوقفنا طبيعة الحكم الثنائي ذاتها التي وصفها أحد قادة الحركة الوطنية بأنها (هجين) غريب لم يسبق له مثيل[1]. فدولتي الحكم الثنائي حين ابرمتا اتفاقية عام ١٨٩٨ لم تحددا بوضوح لمن ستكون السيادة على السودان.. مصر لأنها، حسب قولها في المفاوضات المتكررة عقب الفتح، افترضت أن السيادة على السودان ستكون لمصر فقط على أساس أن إعادة الفتح تم أساسا لاعادة السودان الذي هو جزء من مصر منذ حكم محمد علي باشا وأن كون «دراويش» المهدية قد استولوا عليه لعدد من السنين لا يعني أن سيادة مصر على السودان قد توقفت أو أن السودان لم يعد مقاطعة من مقاطعات مصر.. كما أن حملة الفتح قد مولت بالأموال المصرية وقام بها جيش مصري في أغلبه.

أما إنجلترا فقد كانت حجتها المتكررة في المفاوضات التي تلت الحرب بينها وبين مصر أن السيادة على السودان يجب أن تكون للسودانيين لأنهم شعب مختلف تمام الاختلاف عن الشعب المصري وأن السودان لا يمكن أن يضم لمصر إلا إذا أعلن السودانيون أنفسهم عن رغبتهم في ذلك بعد الاحتكام لهم.. كانت هذه العقبة الرئيسية في المفاوضات الانجليزية/ المصرية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى وحتى عام ١٩٥٣ حين تنازلت مصر عن إصرارها على حق السيادة على السودان وأقرت بمبدأ الاحتكام للسودانيين في استفتاء عام حول الاستقلال أو الاتحاد مع مصر.

انطلاقا من هذا المفهوم المتضارب لمسألة السيادة عملت كل من دولتي الحكم الثنائي على التدليل على صحة رأيها حول هذا الموضوع: بريطانيا بتشجيع قيام الفكرة الاستقلالية لدى الخريجين ومصر بتشجيع الفكرة الاتحادية.. ودخلت الدولتان في منافسة عنيفة لكسب الطبقة المثقفة من السودانيين فكان طبيعيا أن تؤثر هذه المنافسة العنيفة على حركة الخريجين الوليدة والتي كانت قد بدأت أولى علاماتها عقب حوادث عام ١٩١٩ في مصر.. كان الخريجون على قلة عددهم قد أنشأوا (نادي خريجي مدارس السودان) ـ نادي الخريجين ـ عام ١٩١٨..

وفي عام ١٩٢٠ تأسست جريدة الحضارة الناطقة باسم زعماء الدين الثلاثة ـ السيد/ عبد الرحمن والسيد/ علي المير غني والشريف الهندي ـ والممثلة أيضا لوجهة النظر الحكومية.. استهلت الصحيفة مولدها بسلسلة من أربع مقالات للسيد حسين شريف رئيس التحرير وقريب السيد عبد الرحمن ـ وعنوان المقالات «المسألة السودانية» وقد تولى السيد حسين شريف في هذه المقالات الرد على الوفد المصري الذي سافر إلى مؤتمر السلام عقب الحرب العالمية الأولى ليعلن مطالبه على الدول الكبرى المجتمعة ومن ضمن المطالب الاستقلال لمصر والاعتراف بالسيادة المصرية على السودان.

تولت الحضارة الرد على حجة الوفد المصري في سلسلة المقالات تلك والتي يمكن تلخيصها في: أن السودان ومصر فعلا دولتان شقيقتان تربط بينهما روابط الدين واللغة ولكن العواطف لا ينبغي أن تغلب على المصالح الوطنية وأنه صحيح أن مصر هي الدولة الرائدة في الشرق ولكنها عاجزة عن أن تحكم نفسها فكيف بحكم الآخرين.. وأنه إذا استبعدنا مصر لعدم قدرتها لا يبقى أمامنا سوى الشريك الآخر لدولتي الحكم الثنائي، أي بريطانيا.. واستطرد يقول أن بريطانيا قد أثبتت كفاءتها في العديد من الدول التي تحكمها وأنه من الخير للسودان أن يستمر تحت حكمها حتى يتهيأ السودانيون لتولي إدارة شؤون بلادهم ويصبح السودان للسودانيين.

كانت هذه هي المرة الأولى التي تظهر فيها دعوة «السودان للسودانيين» من المعسكر الموالي لبريطانيا والمؤلف من الزعماء الدينيين وكبار الخريجين وحكومة السودان الممثلة لبريطانيا.

أما مصر فقد حاولت هي الأخرى دعم موقفها عن أن السودان جزء من مصر وحاولت هي أيضا استمالة الشباب السوداني المثقف على أساس أن السودان ومصر بلدان عربيان مسلمان يرزحان تحت نير الحكم البريطاني وأنه لا سبيل لواحدة منهما في الخلاص من بريطانيا دون معاونة الأخرى وقد ساعد مصر في محاولتها تلك أن الشباب السوداني المثقف لم يكن له من وسائل للاتصال بالعالم الخارجي إلا عن طريق مصر وبريطانيا وقد كانت النزعة العربية



□ السيد علي الميرغني.

والاستعمار الذي يعاونه يجعلهم يقرأون أمهات الكتب العربية والاسلامية وكل ما كتب عن امجاد العرب ونهضتهم وحتى في اختيارهم للأدب الانجليزي نجدهم يتخيرون الكتابات الثورية أمثال (كتاب الشهر اليساري) وما كانت تخرجه أقلام الفابيين (The Fablans) من دعوات تحررية. كان طبيعيا إذن أن يتأثر بعض شباب الخريجين بالدعوة المصرية والأفكار التي ظهرت عقب الحرب ومبادىء ويلسون الداعية لحسن تقرير المصير والحكم الذاتي فظهرت في دوائر الشباب المثقف السوداني الجمعيات السياسية الداعية إلى (وحدة وادي النيل) عقب الحرب ومن أشهر هذه الجمعيات (جمعية اللواء الأبيض) التي قدمت دليلا على تفاعل الشباب السوداني بما يحدث في مصر وذلك بتحريكها للمظاهرات في السودان حتى تطورت إلى ثورة عام ١٩٢٤. والمتأمل لتاريخ السودان السياسي قبل الاستقلال يلاحظ أن اشتداد العداء الوطني لبريطانيا ممثلة بحكومة السودان كان دائما يأتي عقب تصادم المصريين في مصر مع بريطانيا. فحركة عام ١٩٢٤ في السودان أتت كامتداد لحركة سعد زغلول في مصر عام ١٩١٩ كما أن تحقيق الاستقلال للسودان جاء عقب الانقلاب العسكري المصري عام ١٩٥٢ والاطاحة بالنظام الملكي الموالي لبريطانيا.

ولكل من مصر وبريطانيا مصالح عديدة في السودان غير ما كانت الدولتان تعلنانه وسنحاول هنا ذكر الأسباب الرئيسية.. بالنسبة لبريطانيا السبب الأساسي في تمسكها بالسودان هو موقعها الاستراتيجي.. فالسودان يمكن أن يكون بديلا لمصر في حالة فقدان الأخيرة ويمكن لبريطانيا عن طريق السودان أن تربط مصالحها المتعددة في جنوب أفريقيا مع الشرق الأوسط والشرق الأقصى. وحتى أن لم تفقد بريطانيا مصر تظل اهمية السودان قائمة لأنه عن طريقه يمكن التحكم في مصر التي أصبح خطرها يتزايد يوما بعد يوم عن طريق التحكم في مياه النيل المصدر الوحيد للحياة في مصر.

وهناك أيضا مصلحة اقتصادية بجانب الأهمية الاستراتيجية فبريطانيا قد اكتشفت في زراعة القطن منجما لتشغيل رؤوس الأموال البريطانية بفائدة كبيرة خاصة بعد النجاح الكامل الذي لقيه مشروع الجزيرة.

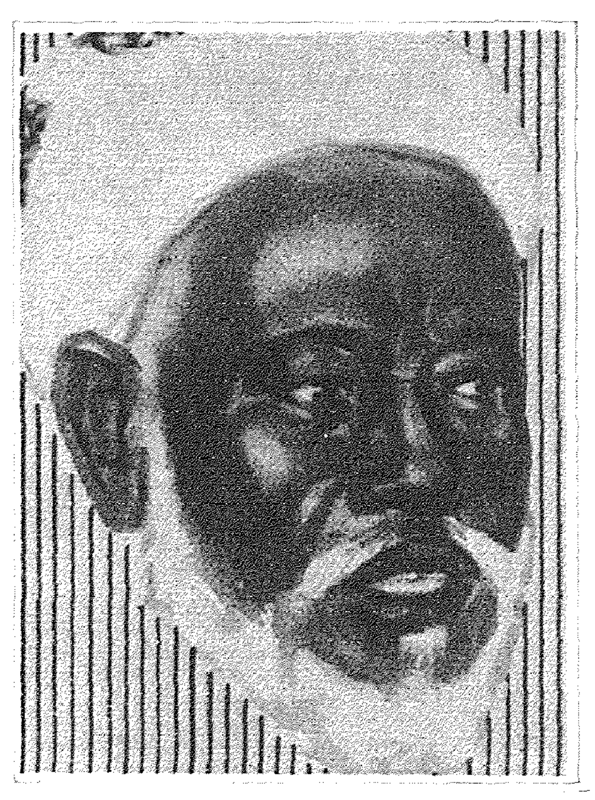
وهناك سبب آخر في تعلق بعض الاداريين البريطانيين الذين عملوا بالسودان بها.. فحين تم إعادة فتح السودان وجدته بريطانيا في حالة يرثى لها من فعل المجاعات والحروب في عهد المهدية فعملت حكومة السودان على خلق إدارة منظمة ونجحت في ذلك وفق توفير الحماية للمواطنين عن طريق إنشاء مراكز البوليس وتوزيعها على جميع الأماكن كما نجحت حكومة السودان في إبعاد نظام الامتيازات الأجنبية ولذلك أصبح بعض الاداريين البريطانيين يرون في السودان مثالا ناجحا للادارة البريطانية ومن هنا كانت معارضتهم لأي قول ينادي بوحدة السودان مع مصر وفي بعض الأحيان معارضتهم أيضا لبعض القرارات التي أصدرتها الحكومة البريطانية بخصوص السودان.

أما مصر فإن السودان كان بالنسبة لها يعني مصالح عديدة ولكن تعتبر مياه النيل وحاجتها المتزايدة لها هي العامل الأساسي في تمسكها بالسودان خاصة وأن مصر بلد زراعي في المقام الأول.. وقد كان قيام مشروع الجزيرة يشكل

تهديدا مباشرا لكمية مياه النيل التي تصل لمصر ومن هنا كان هجوم الوطنيين المصريين على المشروع ووصفه بأنه (مؤامرة استعمارية) وقد وجدت مصر إثباتا لشكوكها وتخوفها من استغلال مياه النيل في السودان للضغط عليها في الانذار الذي وجهه اللورد النبي لمصر عقب قتل السير لي ستاك في القاهرة عام ١٩٢٤، فقد أنذر اللورد مصر من ضمن الانذارات بأن حكومة السودان سوف تزيد الرقعة المزروعة في الجزيرة إلى مساحة غير محدودة.. وحين سئل اللورد النبي عن السبب الذي دعاه إلى إدخال الفقرة الخاصة بزيادة الأرض المزروعة في إنذاره لمصر اجاب (أنها قد ضمّنت حتى نبرهن لمصر أننا يمكن أن نحكمها عن طريق السودان)[٢].

وبجانب مياه النيل نجد أن لمصر مصلحة اخرى هامة في ضم السودان، فمصر كانت تعاني من ارتفاع متزايد في السكان وقد ذهلت الحكومة المصرية عقب إجراء تعداد سكاني عام ١٩٢٧ من الارتفاع السكاني ولذا تقرر أن الحل الوحيد لمثل هذه المشكلة هو فتح باب الهجرة للسودان وتبعا لهذا نجد أن مصر أصبحت تصر في جميع المفاوضات مع إنجلترا عقب إجراء التعداد على حق المصريين في الهجرة للسودان دون قيد او شرط وفعلا ضمن هذا الحق في اتفاقية عام ١٩٣٦م.

بجانب وجود شريكين متنافسين في الحكم نجد أن واحدا من الأسباب الرئيسية الأخرى المساعدة على انقسام حركة الخريجين هو وجود طائفتين دينيتين متنافستين ــ طائفة الأنصار وطائفة الختمية.. وزعيميهما معروفان بالعداء لبعضهما البعض منذ ظهور المهدية ومحاولتها تدمير الطوائف الكبيرة الأخرى وعلى رأس هذه الطوائف الختمية.. وقد هرب معظم زعماء الختمية إلى مصر.. وطائفة الختمية كانت من مساندي الحكم التركي الأصل والسبب في مساندتها يرجع أولا إلى طبيعتها الاسلامية الدينية التي لا ترى ضيرا في أن تحكم السودان تركيا ــ مقر الخلافة الاسلامية ــ كما أن السودان أصبح يحكم لأول مرة حكما مركزيا وحّد البلاد إلى حد ما بعد أن كانت مقسمة إلى ممالك صغيرة لا رابط بينها.. اذن بقيام المهدية،



□ السيد عبد الرحمن المهدي.

كان طبيعيا أن يركز الحكم الجديد على تدمير الحليف القوي للعهد الذي سبقه وهو طائفة الختمية.

وقاست هذه الطائفة حتى مجيء الحكم الثنائي، فكان طبيعيا أن يهب زعماء الختمية لمعاونة الحكم الجديد على الانقضاض على الأنصار. ومن جانبها فإن دولة الحكم الثنائي شجعت الختمية بكل قوتها وبمختلف الطرق لتكون سلاحا مضادا لأي حركة انصارية كما أن حكومة السودان ــ التي تسيطر عليها بريطانيا بمفردها دون مصر ــ كانت تتخوف من قيام حركة إسلامية قد تنبع من تركيا أو الحجاز او غيرهما من دول الشرق الاسلامي ولذلك وجدت الحكومة أن تقريب طائفة دينية كبيرة مثل الختمية تبعد عنها الشكوك فيما يتعلق بنواياها تجاه الاسلام والمسلمين، كما أن طائفة الختمية سوف تساعد الحكم الجديد في التقرب إلى المواطنين وعدم انقيادهم للحركات الاسلامية الخارجية.. ولكن مع بداية الحرب العالمية الأولى دخلت تركيا الحرب كحليف لألمانيا ودعت الدول الاسلامية أن تحذو حذوها «لمحاربة الكفرة المستعمرين» ــ أي الحلفاء.. حينئذ قررت

حكومة السودان أن تسارع بطلب المعونة من جميع زعماء الطوائف الدينية في السودان في محاربة الدعوة التركية.. وهنا لم تستطع حكومة السودان أن تتجاهل السيد عبد الرحمن المهدي والعدد الهائل من الأتباع خلفه ـ الأنصار.. فوجهت له الدعوة مثلما وجهتها لغيره من زعماء الدين والمشايخ.. وكانت هذه المرة الأولى التي تتخلى فيها الحكومة عن سياسة التجاهل للأنصار كطائفة، واعتبرت دعوة السيد عبد الرحمن شبه اعتراف رسمي بطائفته وبزعامته لهذه الطائفة.

منذ ذلك الحين استعانت الحكومة بالسيد عبد الرحمن عددا من المرات، كما استغل السيد عبد الرحمن حاجة الحكومة له لبناء عدد من المشاريع الزراعية التي درت عليه ثروة ضخمة وساعدته على جمع طائفته المشتتة.. هنا بدأ الصراع مرة أخرى بين المهدية والختمية واستطاعت حكومة السودان الاستفادة من هذا الخلاف فساعدت على إبقاء النار مشتعلة بين السيدين عن طريق تقريب هذا وإبعاد ذاك تارة ثم العكس.. وقد وجدت حكومة السودان أن هذه السياسة أفضل من سياسة تدمير طائفة تدميرا كاملا وإبقاء الأخرى لحفظ التوازن. وقد كان سلاحها في ذلك العامل الاقتصادي أو الرخص الزراعية التي كانت تمنح للسيدين.

وفي الثلاثينات، وبعد أن ظهرت قوة الطبقة السودانية المثقفة عقب حوادث عام ١٩٢٤ وإضراب طلبة كلية غردون عام ١٩٣١ وبعد أن اتضح للسيدين أن الخريجين يمكن أن يكونوا حليفا قويا تهابه الحكومة، نقل السيدان منافستهما إلى دوائر الخريجين واستعملا في ذلك جميع الوسائل.. وقد أدى هذا إلى انشطار الخريجين إلى شقين أحدهما بقيادة أحمد السيد الفيل، أحد أوائل الخريجين ويسانده السيد علي الميرغني والغالبية من شباب الخريجين، والمعسكر الآخر بقيادة محمد علي شوقي وهو أيضا من كبار الخريجين ويلتف حوله عدد آخر من الخريجين خاصة أبناء الأسر الأنصارية.. وقد تبنى معسكر الفيل (الفيلست) دعوة «وحدة وادي النيل تحت التاج المصري» وفيه تكونت نواة الأحزاب الاتحادية التي ظهرت في الأربعينات.. كما تبنى الشوقيست شعار «السودان للسودانيين» وفيه تكونت نواة الأحزاب الاستقلالية التي ظهرت فيما بعد.

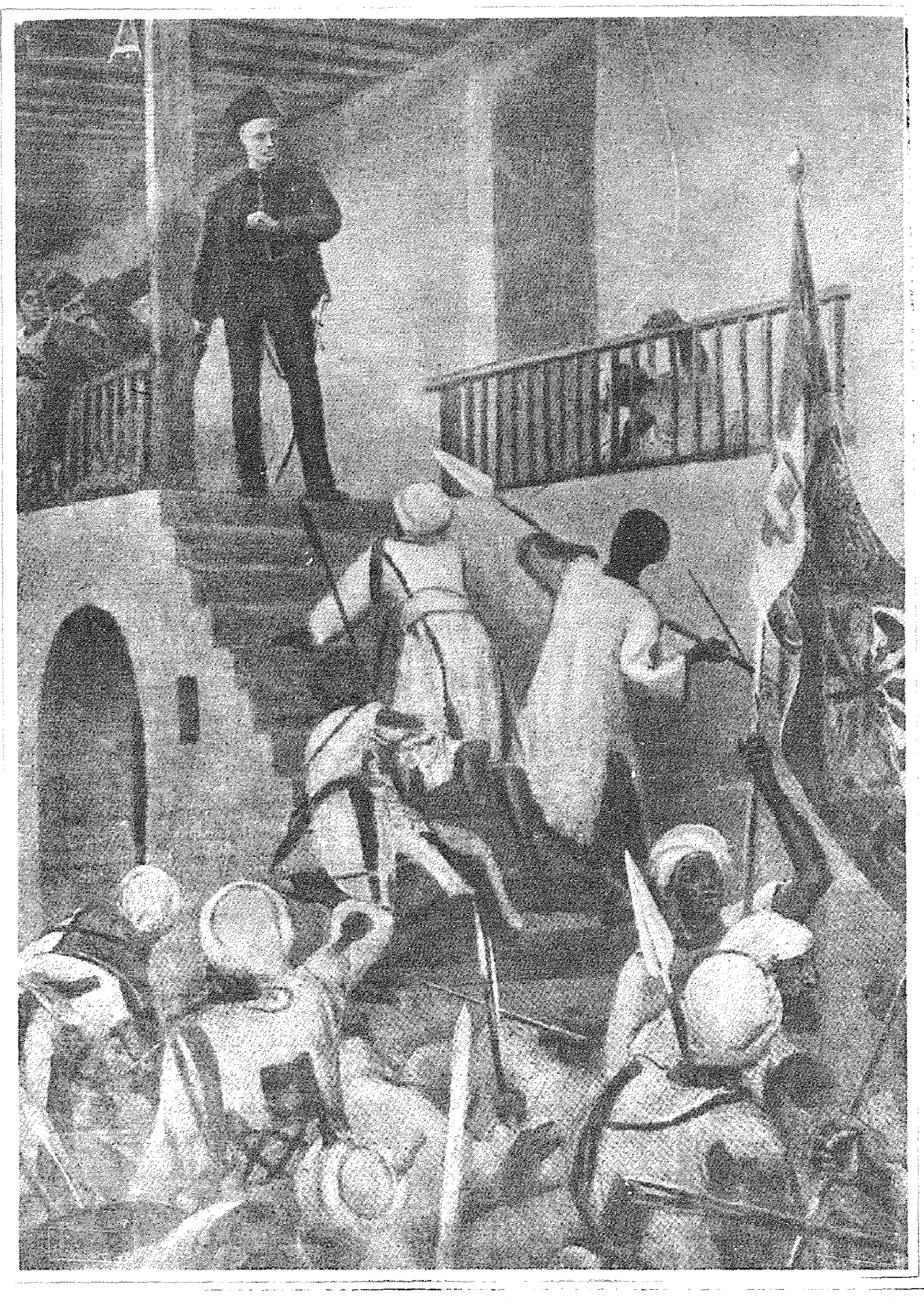
وقد نجح الخريجون الموالون للسيد عبد الرحمن في السيطرة على نادي الخريجين منذ عام ١٩١٨ وحتى قيام مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨ وذلك لأنه كان يساعدهم بالمال والنفوذ الشخصي، أما الفيلست فقد منوا بالهزيمة المرة تلو الأخرى وذلك لأن السيد علي كان حريصا على أن لا يتدخل في الأمور العامة وخاصة السياسية إلى الحد الذي قد يلفت إليه نظر الحكومة وقد كان مبدأه دائما أن «لأتباعه مطلق الحرية»[٣] وأن «الداخل علّي يخلع كل رداء إلا رداء الطائفة».

وقد تصعدت المنافسة داخل مؤتمر الخريجين حتى تفتت المؤتمر إلى أحزاب في الأربعينات فظهر حزب الأمة والأشقاء ومجموعة الأحزاب الاتحادية والاستقلالية.

إذن المنافسة بين السيدين كانت ثاني العوامل الرئيسية المسببة لظهور (الثنائية) في حركة الخريجين الوطنية.

وبجانب هذين العاملين الرئيسين هناك العوامل التي نجدها عادة في جميع المجتمعات والحركات الوطنية التي تظهر مثل المنافسة بين الأشخاص والاختلاف في العقليات والمبادىء والمثل بين الجيل القديم والجيل الحديث.. وفي السودان وضح الاختلاف في الرأي حول مستقبل السودان بين كبار وشباب الخريجين بشدة خاصة بعد ثورة ١٩٢٤ أو بالتحديد في أوائل الثلاثينات.. فكبار الخريجين هم الجيل القديم من أوائل الخريجين ممن احتلوا أعلى المناصب الحكومية للسودانيين وذلك بحكم انهم أوائل الخريجون وهم أيضا من كبار السن بالنسبة لمن بعدهم من الخريجين ولذلك نجدهم من دعاة التطور الدستوري المتأني تحت رعاية بريطانيا.. وقد أدت دعوتهم تلك لأن يتهمهم صغار الخريجين بارتباط تلك الدعوة بحكومة السودان وبريطانيا وأنها ليست إلا إرضاءا للحكام طمعا في الاحتفاظ بمراكزهم والتقرب للحكومة.

وقد استعان كبار الخريجين في منافستهم لبعضهم البعض بمساندة السيدين لتقوية



□ غوردون يواجه المصير: في هذه الصورة التاريخية، نرى غوردون واقفا على درج منزل قصره، عندما احاط به الثوار، واقتحموه.. وتقدم احدهم فرمى سهمه إلى قلب غوردون.. فلقي حتفه.



□ يوزباشي قاسم السيد خلف الله، من ابطال حركة عام ٢٤، وإلى جانبه اليوزباشي عبد الفراج محمد، احد المجاهدين

نفوذهم بين شباب الخريجين وفعلا نجحوا في أوائل الثلاثينات في شطر الخريجين شطرين انضم كل منهما إلى زعيم من كبار الخريجين فظهر إلى الوجود الفيلست والشوقيست.. ولكن كما حاول كبار الخريجين استقطاب الشباب في المنافسة المحتدمة لتقوية النفوذ كذلك كانت فكرة الشباب في الثلاثينات استغلال الصراع الشخصي القائم بين كبار الخريجين لتحقيق اهدافهم.

فالقسم الذي تجمع حول شوقي من الشباب كان يؤمن فعلا بأن للسودان ذاتيته المستقلة عن مصر وكينونته الخاصة به وبأن السودان يجب ان يكون فعلا للسودانيين لا لمصر أو إنجلترا.. هذا القسم من الشباب اختار شوقي زعيما له لأنه كان يتمتع بمساندة السيد عبد الرحمن كما ان شباب هذا المعسكر كان ينتمي إلى أسر ذات صلة بالمهدية ومعظمهم شعروا بالمرارة تجاه مصر خاصة عقب حوادث عام ١٩٢٤.. أما القسم الآخر من الشباب فقد اختار الفيل زعيما له وواجهة لدعوة وحدة وادي النيل، وأغلبية شباب هذا المعسكر ينتمون إلى أسر ختمية.

إذن قرار شباب الخريجين باستغلال المنافسة القائمة بين كبار الخريجين ساعد على انشطار حركة الخريجين الوطنية إلى التيارين المتضادين الاستقلالي والاتحادي.

ونجد أن طبيعة السودان الاجتماعية والجغرافية بمساحته الواسعة وقبائله المتعددة والمختلفة تمام الاختلاف عن بعضها البعض، وتغلب عصبية الانتماء الطائفي على المصلحة الوطنية قد هيأت المناخ المناسب في نفسية السودانيين ــ حتى الخريجون منهم ــ للانقسامات والتحزبات وقد استغلت بريطانيا هذا الضعف لخلق التيارين المتصارعين داخل حركة الخريجين وكانت من أهم وسائلها في ذلك خلق المنافسة بين الطائفتين الكبيرتين حتى امتدت هذه المنافسة إلى دوائر الخريجين وايضا خلق طبقة من كبار الموظفين من الخريجين الأوائل حتى تصبح لهم مصلحة في استمرار الحكم الثنائي على ما هو عليه دون تغيير، ومن هنا كانت مناداتهم بدعوة السودان للسودانيين، واستمرار الحكم الثنائي تحت رعاية بريطانيا لحين تحقيق الحكم الذاتي.



□ اللورد كتشنر.

ولكن هناك من يعتقد أن ظهور فكرتين او تيارين متصارعين وسط الخريجين كانت له بعض الحسنات فقد أدى هذا إلى احتدام المنافسة بين الشريكين الحاكمين كل يحاول استمالة العدد الأكبر من الطبقة المستنيرة من الخريجين وذلك عن طريق تقديم التنازلات والعروض، ومن هنا كان ظهور الجمعية التشريعية والمجلس الاستشاري كدليل على أن حكومة السودان ــ الممثلة لبريطانيا ــ تسير فعلا في طريق التطور الدستوري المؤدي للحكم الذاتي ومن هنا أيضا كان تنازل مصر عن مبدأ السيادة المصرية على السودان عام ١٩٥٣ لكسب رضاء السودانيين في الاستفتاء على الاتحاد والاستقلال، وهناك قائل بأن التيار الاتحادي كان تيارا مفتعلا ولم يكن الايمان بوحدة وادي النيل حقيقيا، بل كان خطوة نحو تحقيق الاستقلال الكامل للسودان ولهذا لم يتردد الاتحاديون في التصويت للاستقلال عند إعطائهم الفرصة.. ولقد كان التيار الاتحادي بمثابة صمام أمان للحركة الوطنية وذلك بمنع الاستقلاليين من تقديم تنازلات دون قيد أو شرط للمستعمر وذلك خوفا من اتهامات ومراقبة الاتحاديين كما ساعد التيار الاستقلالي وازدياد قوته في نهاية الأربعينات على أن تتنازل مصر عن دعواها بالسيادة المطلقة على السودان فتمت بذلك اتفاقية عام ١٩٥٣ بعد أن عرضتها مصر على الأحزاب الاستقلالية.

ومهما كانت حسنات (الثنائية) التي حكمت الحركة الوطنية في السودان فلا بد أن نتذكر دائما أن الاتحاد في الحركات الوطنية قوة لها ولا أحد يعرف ماذا كان سيكون تاريخ الحركة الوطنية في السودان لو لم تنقسم.. لربما كان السودان استقل قبل الهند لو عرفت الحركة الوطنية كيف تشعل هي نار المنافسة بين الشريكين في الحكم على كسب رضاءها بدلا من أن تتركها لتستغل التقسيم الطائفي الموجود والمنافسات الشخصية. ●

الهوامش

(١) احمد خير في مقابلة مسجلة بتاريخ سبتمبر ١٩٧٤.
(٢) مكي عباس ــ المسألة السودانية ــ الفصل السابع.
(٣) من مقابلات مع عدد من المعاصرين للحركة الوطنية: أحمد خير ــ علي حامد الهادي ابو بكر.



«إنني رجل قد وضعت تحت تصرف عقلي واختباري وبياني، فإن استفادت الأمة من عملي فذلك ما يجعلني سعيداً، وإلا فهو واجب قد أخذته على نفسي، فأنا أقوم به لأريح ضميري».

سعد زغلول

«قالوا تصان البلاد ويحر الملك بالبروج المشيدة، والقلاع المنيعة والجيوش العاملة والأسلحة الجيدة، قلنا نعم هي احراز وآلات لا بد منها للعمل فيما يقي البلاد، ولكنها لا تعمل بنفسها، ولا تحرس بذاتها فلا صيانة بها، ولا حراسة إلا ان يتناول أعمالها رجال ذوو خبرة وأولو رأي وحكمة يتعهدونها بالاصلاح زمن السلم، ويستعملونها فيما قصدت له زمن الحرب».

محمد عبده

● لجنة للعناية بشؤون التراث العربي الاسلامي في الكويت

ضمن اهتمامات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية في الكويت بشؤون التراث العربي الاسلامي شكلت الوزارة مؤخرا لجنة خاصة للعناية بأمور التراث العربي الاسلامي وإحياء منتخبات منه عن طريق تحقيقها ونشرها.

تعمل اللجنة (تتبع لجنة الموسوعة الفقهية بالوزارة) برئاسة الدكتور محمد سليمان الأشقر الخبير بالموسوعة الفقهية وتضم في عضويتها كلا من: الدكتور عبد الستار عبد الكريم ابو غُدة مقرر الموسوعة، والدكتور عجيل النشمي العميد المساعد في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الكويت، والأستاذ عبد الحفيظ منصور الباحث في معهد المخطوطات العربية، والأستاذ عبد الحميد البسيوني الباحث في قسم التراث العربي التابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت.

تهدف اللجنة إلى تنسيق الجهود في نشر التراث وتأمين وسائل دراسته وفهرسته ووضعه في متناول الباحثين، وذلك عن طريق إعداد خطة لنشر التراث العربي في الوزارة وترشيح كتب للتحقيق أو المراجعة أو الطبع، مع الاهتمام بدراسة ما تتطلبه العناية بالتراث الاسلامي لا سيما المخطوطات والوقفيات ووضع السياسة العامة والوسائل العلمية في هذا المجال.

هذا وكانت اللجنة قد عقدت أول اجتماع لها في شهر اكتوبر (تشرين الأول) الماضي.

● معهد التراث العلمي العربي في حلب يعقد مؤتمره الثامن في إبريل المقبل

يبدأ معهد التراث العلمي العربي في الحادي عشر من إبريل (نيسان) المقبل ولمدة يومين المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب، كما يحتفل بذكرى مرور ثمانية قرون على ميلاد الطبيب ومؤرخ الطب العربي ابن ابي أصيبعة.

يهدف المؤتمر إلى تقديم أبحاث أصيلة لم تنشر سابقا في موضوعات تاريخ العلوم الأساسية والعلوم الطبية عند العرب.

كما يهدف المؤتمر الذي سيعقده المعهد في جامعة حلب بالتعاون مع الجمعية السورية لتاريخ العلوم إلى إبراز مساهمة الحضارة العربية في إغناء الحضارة الانسانية، وبيان مكانة العلوم العربية، ومدى ما أسهم به العلماء العرب في تقدم العلوم، إضافة إلى إلقاء الضوء على حياة وأعمال الطبيب والمؤرخ أحمد موفق الدين بن أبي أصيبعة.

من المتوقع أن تدور أبحاث ومناقشات المؤتمر خلال يومي الانعقاد على:

— تاريخ العلوم الأساسية، وتشمل: الرياضيات — الكيمياء — الفيزياء — النبات — الحيوان — الجيولوجيا.

— تاريخ الفلك والتنجيم.

— تاريخ الطب والطب البيطري والصيدلة والعلوم الطبيعية.

— تاريخ التكنولوجيا والصناعات العربية وتشمل: الهندسة الميكانيكية — الهندسة الهيدروليكية — الهندسة المعمارية — الهندسة المدنية — الهندسة الحربية — الصناعات الكيميائية.

— وهناك موضوعات تتعلق بالاحتفال بذكرى مرور ثمانية قرون على ميلاد الطبيب والمؤرخ أحمد موفق الدين بن ابي اصيبعة.

وكان معهد التراث العلمي العربي في حلب قد عقد عدة مؤتمرات علمية متخصصة أهمها:

— المؤتمر الأول للجمعية السورية لتاريخ العلوم أثناء انعقاد الندوة العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب في الفترة الواقعة ما بين ٥ — ١٢ نيسان ١٩٧٦.

— المؤتمر السنوي الثاني للجمعية في الفترة الواقعة ما بين ٦ — ٧ نيسان من عام ١٩٧٧.

— المؤتمر السنوي الثالث للجمعية في الفترة الواقعة ما بين ١٢ — ١٣ نيسان من عام ١٩٧٨.

— المؤتمر السنوي الرابع للجمعية أثناء انعقاد الندوة العالمية الثانية لتاريخ العلوم في الفترة الواقعة ما بين ٥ — ١٢ نيسان ١٩٧٩.

— المؤتمر السنوي الخامس للجمعية في الفترة ما بين ١٣ — ١٤ أيار من عام ١٩٨١.

— المؤتمر السنوي السادس للجمعية في الفترة الواقعة ما بين ١٤ — ١٥ نيسان من عام ١٩٨٢.

— المؤتمر السنوي السابع للجمعية في الفترة الواقعة ما بين ١٣ — ١٤ نيسان ١٩٨٣.

ومن الجدير بالذكر أن المعهد بدأ في العاشر من ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٣ ولمدة خمسة أيام الندوة الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب والتي انعقدت في الكويت بمشاركة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لبحث موضوع: «إسهامات العلماء العرب في علوم النبات والري والفلاحة».

● معهد التراث العلمي العربي يبدأ بمنح دبلومات جديدة في تاريخ العلوم العربية

بدأ معهد التراث العلمي العربي في حلب هذا العام الدراسي (١٩٨٣/١٩٨٤) بمنح دبلومات جديدة في تاريخ العلوم العربية، وذلك في المجالات التالية:

— دبلوم الدراسات العليا في تاريخ العلوم الطبية.

— دبلوم الدراسات العليا في تاريخ العلوم الأساسية.

— دبلوم الدراسات العليا في تاريخ العلوم التطبيقية.

ومدة الدراسة لنيل هذه الدرجة العلمية سنة واحدة.

● كتب جديدة في معهد التراث العلمي العربي بحلب

يوشك معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب أن ينتهي من طباعة عدد من الكتب منها:

— أقرباذين القلانسي، تحقيق الدكتور محمد زهير البابا.

— بغية الطلاب في شرح منية الحساب لمحمد احمد بن غازي المكناسي، تحقيق الدكتور محمد سويسي.

— المجلد الثاني من موسوعة حلب المقارنة لخير الدين الأسدي (أدب — اجتماع — لغة).

● تحقيق مجموعة من الكتب في لجنة التراث بأكاديمية المملكة المغربية

ضمن اهتمامات وزارة الثقافة المغربية في إحياء التراث العربي وبعثه ونشره عقدت لجنة التراث لأكاديمية المملكة المغربية اجتماعا لها في التاسع والعشرين من شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ لبحث موضوع خطة نشر المخطوطات هناك، حضر الاجتماع كل من محمد باحنيني وعبد الرحمن الفاسي وابراهيم الكتاني ومحمد بنشريفة.

● مجلة المجمع العلمي الهندي

صدر المجلد الخامس من «مجلة المجمع العلمي الهندي» التي أسست سنة ١٣٦٦هـ/ ١٩٧٦م وهي مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية والحضارة الاسلامية ودراسة المخطوطات العربية. وتصدر عن المجمع العلمي الهندي بجامعة عليكرة الاسلامية في الهند بإشراف الدكتور مختار الدين أحمد أمين عام المجمع.

والمجلة التي تصدر باللغة العربية يسرها أن تتلقى البحوث المبتكرة والأصيلة في مجال تخصصها على العنوان التالي:

Dr. Mukhtar El Deen Ahmad Majallat Al-Majma Al-Ilmi Al-Hendi, Muslim university Aligarh India.

● ترميم بعض المخطوطات اليمنية

□ تتعاون الهيئة العامة للآثار ودور الكتب اليمنية في صنعاء مع هيئة الآثار اليابانية على ترميم عدد من المخطوطات اليمنية. تضم هذه المخطوطات ٦٣٠ مصحفا مكتوبا على الرق، و ٣٥٠ مصحفا مكتوبا على الورق عثر عليها عند إصلاح الجدار الغربي للجامع الكبير في صنعاء سنة ١٩٧٢ وعلم أن العمل في الترميم سيستمر ثلاث سنوات.

«المهنة: فنان — رسام» هكذا كان أدولف هتلر يقدم نفسه في السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى. حين كان طالباً، كان يكرس سراً معظم وقته الدراسي، بعمل تخطيطات. فإذا سئل عما يعتزم أن يمتهن في المستقبل، قال بثقة: سأكون رساما كبيرا. ولما كان يتيما فقد استغل هذه الموهبة للكسب، في فيينا وميونيخ، راسما لوحات ينقلها عن بطاقات بريدية.

لوحات رسمها هتلر تغزو أنحاء العالم

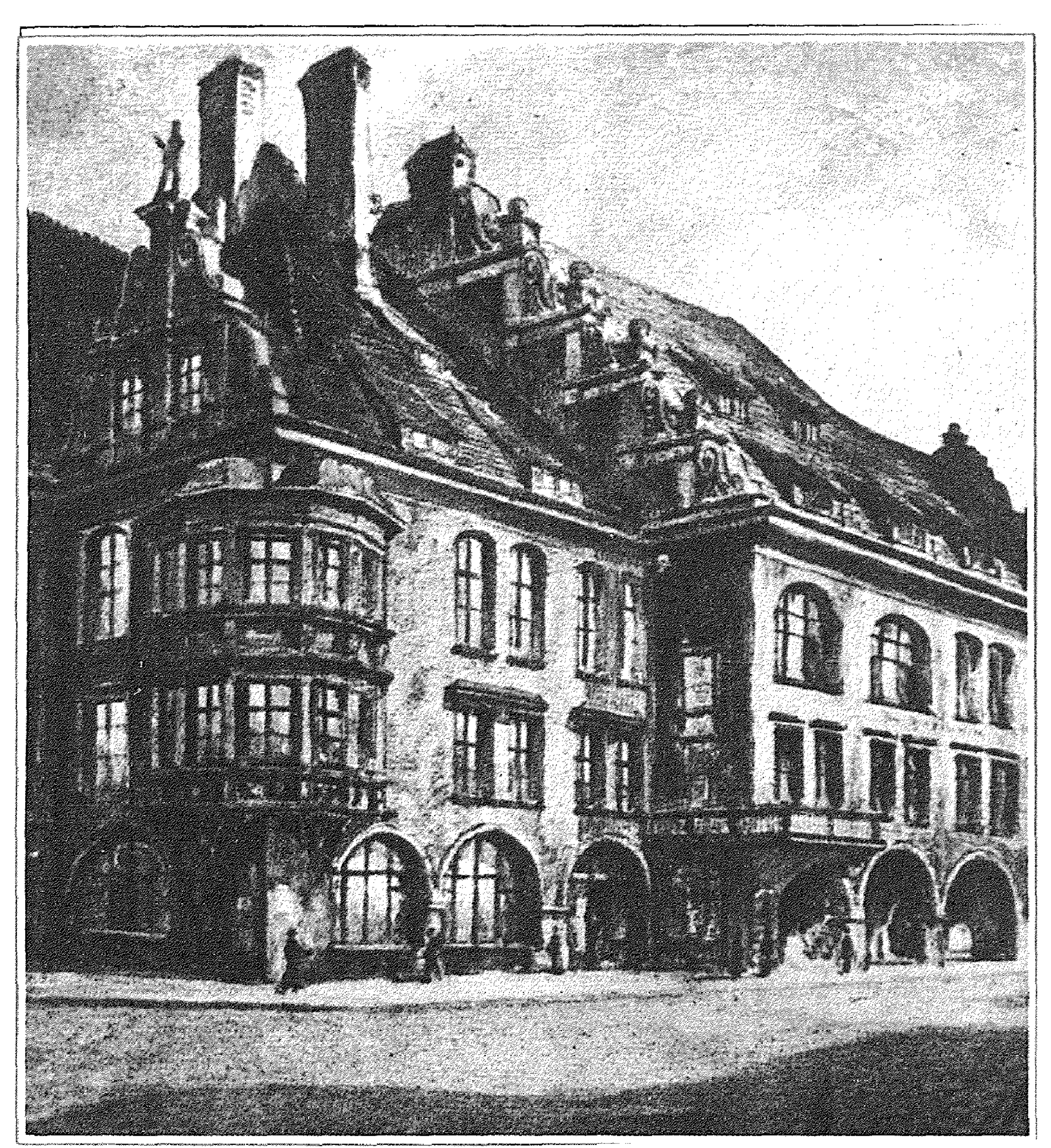


د. رياض العالي

تفرغ أميركي من تكساس، اسمه بيلي ف برايس، وهو مؤرخ عصامي، لجمع أعمال الفوهرر المنسية. وقد ساعده أستاذان في تاريخ الفن: الماني اسمه أوغست بريساك، ونمساوي اسمه بيتر جاهن، فوجد ٧٢٣ رسما ولوحة رسمها هتلر بين عامي ١٨٩٩ و ١٩٤٣. وقد نشر صورها في مجموعة «Adolf Hitler Als Maler und Zeichner» (رسام ومصور). وقد صدرت عن دار أمبر فيرلاغ في ميونيخ. وقد وجد برايس خلال البحث، مجموعات سرية من رسوم هتلر، في كل أنحاء العالم. تملك الحكومة الأميركية نفسها أربعة مناظر من غنائم الحرب. وقد ارتفع سعر بعض هذه الأعمال، حديثا، إلى ٢٥٠٠٠ دولار. يتنازعها هواة الذكريات التاريخية. وكان البرت سبير، مفتش عام مباني برلين، قد احتفظ بعدة مشاريع ومصورات هندسية، لمستقبل «رايخ الألف عام المقبلة». كان هتلر يقول: «لولا الحرب لكنت أحد كبار مهندسي المانيا، إن لم اكن أعظمهم».

رسم ٣٠٠ لوحة بالأكواريل

ترك هتلر مدينة لنز في النمسا، بعد موت امه، وقصد فيينا في أيلول عام ١٩٠٧. كان حلمه في الثامنة عشرة أن يصبح رساما فنانا. وتقدم مرتين، دون أن ينجح، إلى مدرسة الفنون الجميلة. فقد قرر الأساتذة أن الرسوم التي قدمها لا تدل على «كفاءة» ملحوظة. في نهاية عام ١٩٠٩، استنفد كل إرثه البسيط، واضطر إلى ترك غرفته المستأجرة، وانتقل إلى ملجأ من لا ملجأ لهم في ميدلينغ. وهناك لقي شخصا يدعى رينولد هانيش، الذي رآه يرسم في غرفة المطالعة، فدعاه إلى التحالف معه، فيرسم هتلر، ويسوق هانيش. تم الاتفاق، فراح هتلر يرسم كل يوم لوحة بالأكواريل، فيبيعها هانيش ويتقاسمان الثمن. لم يكن هتلر يرسم نماذج، وإنما كان يستوحي أو ينقل بطاقات البريد، التي تحمل مناظر معروفة، كالتماثيل، أو روائع البناء القديم، وما اشبه. وقد وجد الزبائن في اللوحات مادة تزيينة جيدة، كانوا

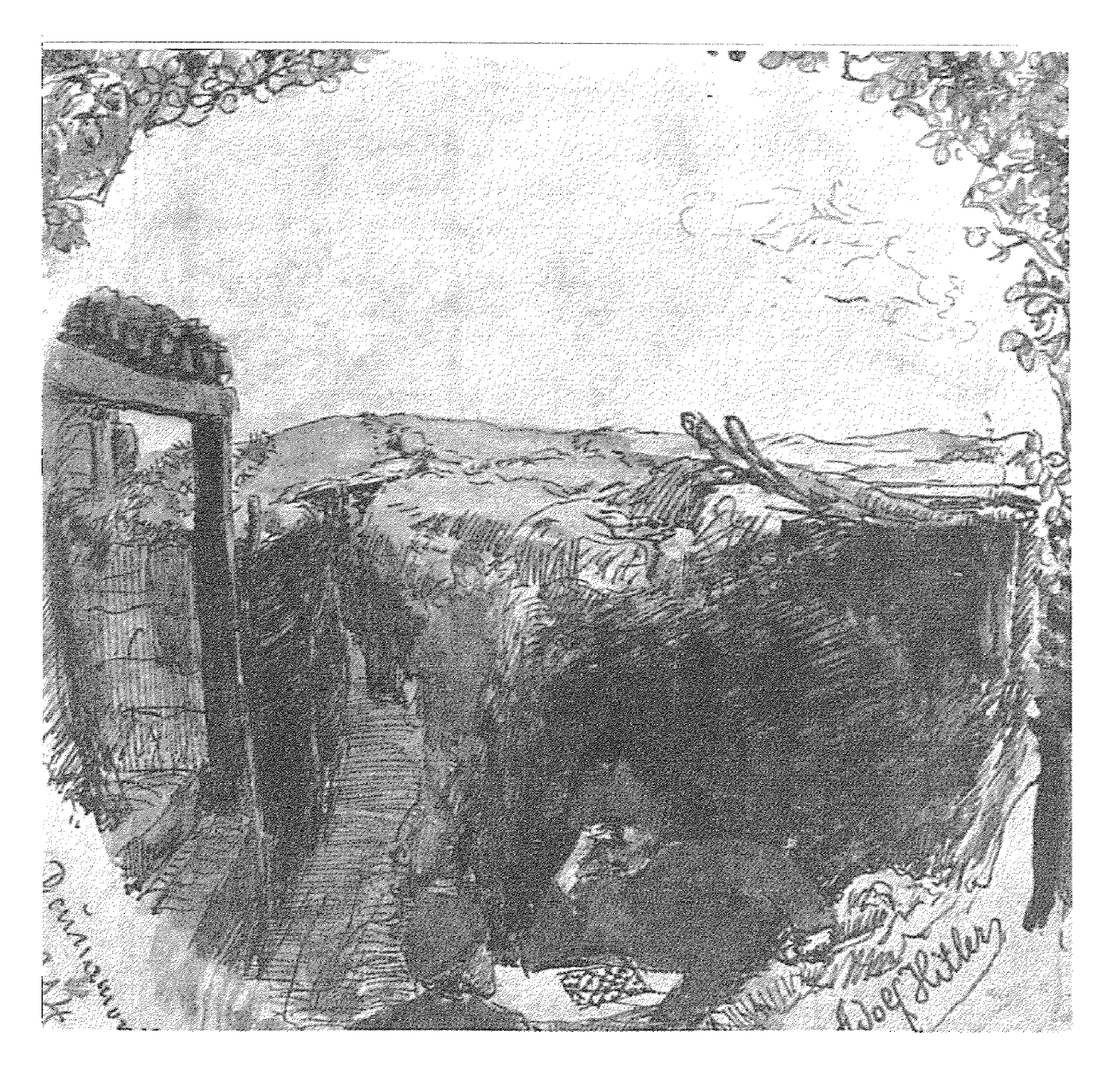


□ حانة الساحة في ميونيخ (١٩١٣).

يضعونها في الخزائن الزجاجية أو على المقاعد، جريا على نمط ذلك العصر.

الزهور، العائلة، الحرب

ما لبث هتلر أن انفصل عن هانيش الذي حاول «استغلاله». ولم يطب له المقام في فيينا، التي بدت له، خلال بؤسه، عاصمة كل أنواع الفساد. في ٢٤ أيار، حل في ميونيخ مدينة الفن، حيث كان كاندنسكي وكلي يقومان بثورتهما الفنية. أما هو فظل أمينا لمثله الأعلى: كانت لوحاته تترجم إيحاءاته، وذوقه الفني. وقدم إلى ليوندنغ، ضاحية لنز، حيث يرقد أبواه، لوحة ساذجة للعذراء وطفلها، تحيط بها الزهور، الشبيهة بزهور لوحاته بالأكواريل. وقد وجدت هذه اللوحة لدى تاجر في فيينا، وجدها المستشار فون بابن، وكان يومذاك سفيرا لألمانيا في النمسا، وقدمها إلى الفوهرر في عيده الخمسيني. في آب ١٩١٤ جند هتلر، وبعد تدريب سريع أرسل إلى الجبهة في تشرين الثاني. وقد صور الخنادق في دوومون، التي لم يعد إليها بعد ذاك.



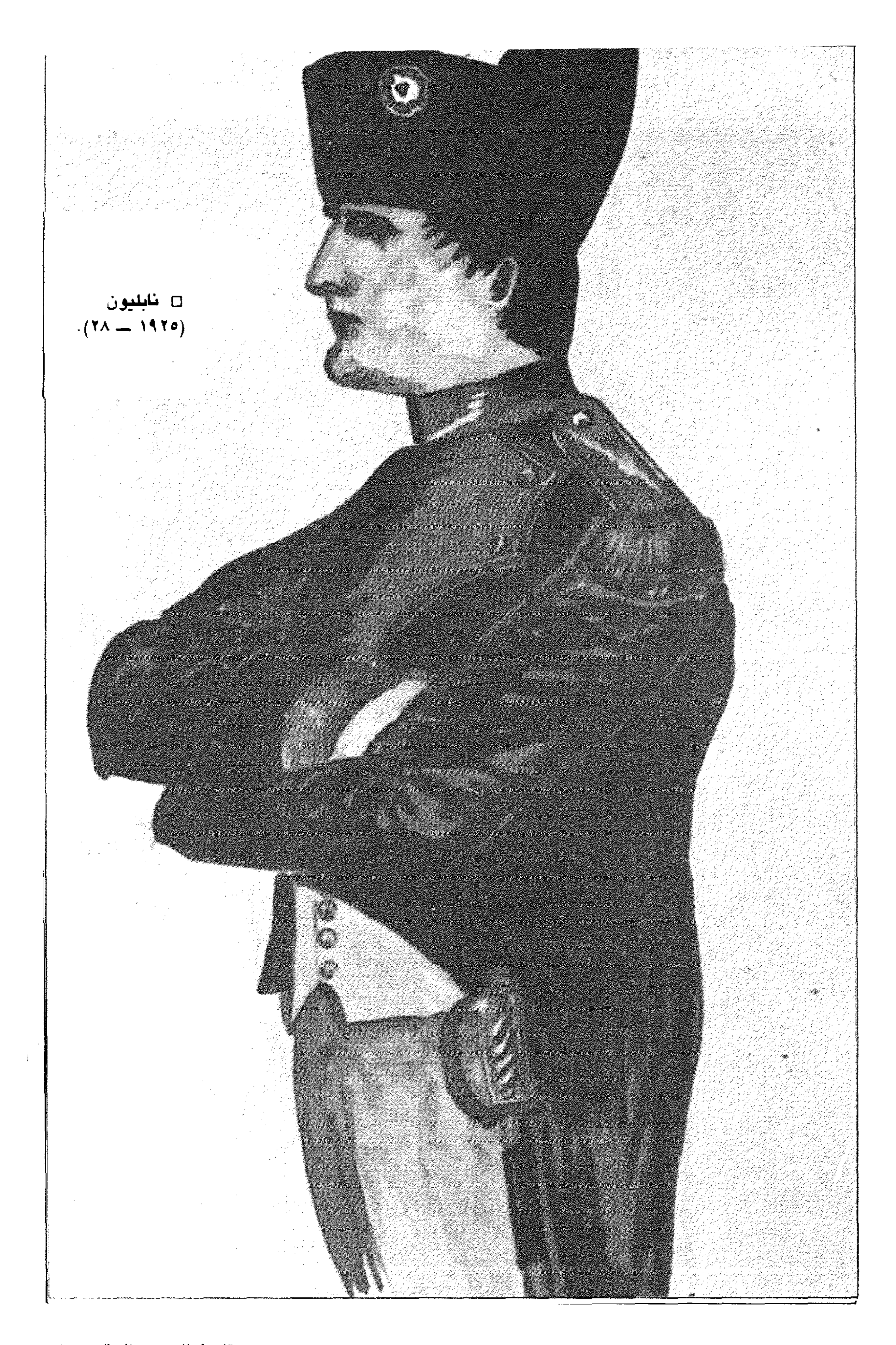
□ خنادق دوومون (١٩١٤).

ايفا براون وجيلي ابنة أخته

جند هتلر نفسه، بعد الحرب، للسياسة، وكان لا يعود إلى أقلامه وريشه إلا نـادرا. وقد أسس الحزب الوطني ــ الاشتراكي، وقام بانقلاب فاشل، فسجن في حصن لندسبرغ، فانصرف فيه إلى الكتابة، وكتب «كفاحي». وبدأ يسير على طريق تسلم السلطة. واستدعى إلى ميونيخ ابنة أخته جيلي روبال، وكان عمرها ١٩ سنة. كان يحبها حبا جما ويدللها، ولكنها ثارت ضد حكمه. ويقال إن هتلر رسمها وهي عارية، رسوما فاضحة. ولكن الواقع أنه رسم لوحة واحدة، فقد انتحرت عام ١٩٣١ ليل ١٧ أيلول. تخلى عن الرسم زمنا، ولم يعد إليه إلا حين رسم إيفا براون، مع العلم أن لوحات إيفا المنسوبة إليه غير موقعة.

يرسم نابليون الذي كان معجبا به

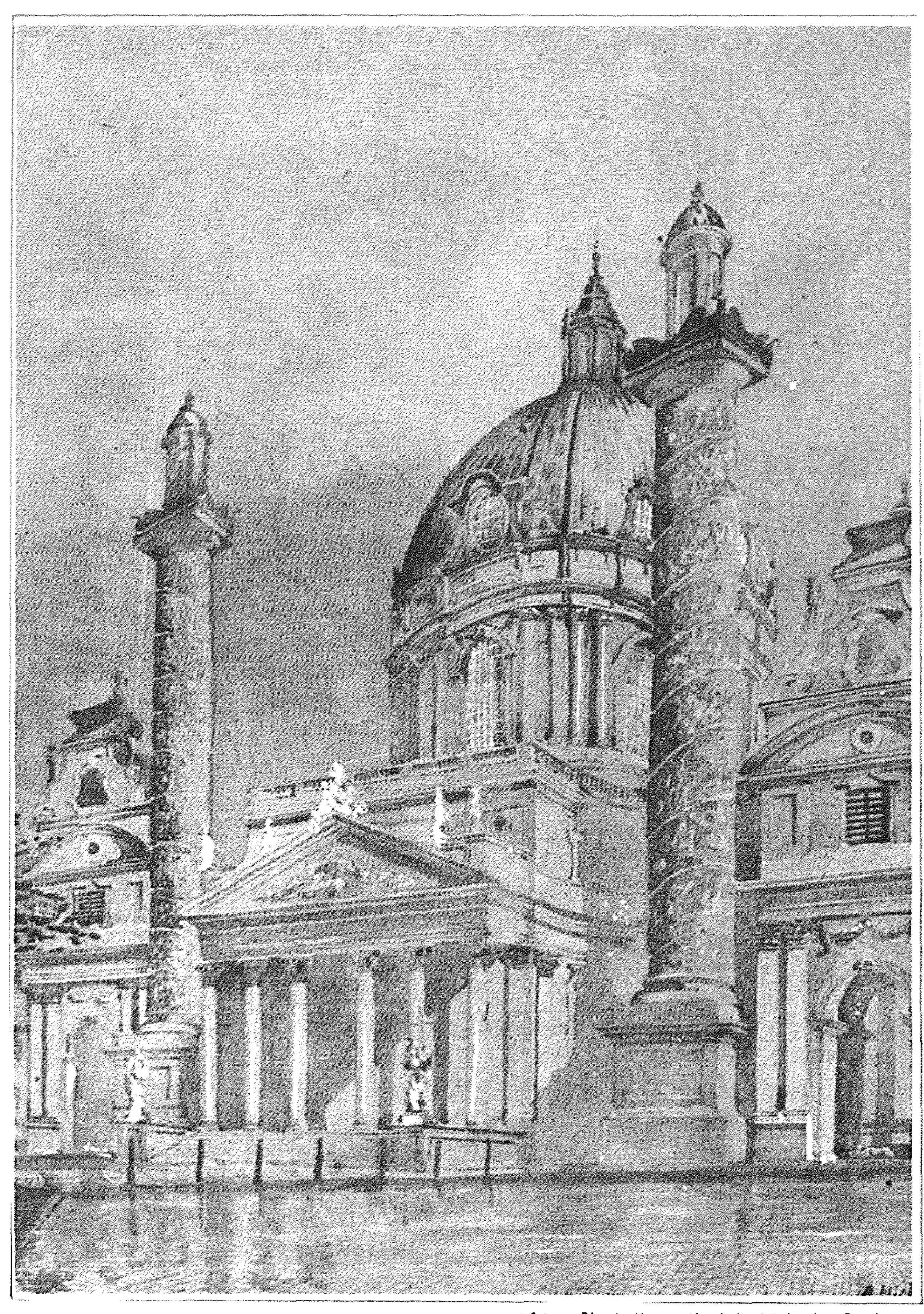
أعجب هتلر بفتوحات نابليون الأوروبية، منذ دخل عالم السياسة. وحين زار باريس عام ١٩٤٠، زار



□ نابليون
(١٩٢٥ ــ ٢٨).



□ لوحة «غريتل سليزاك» ابنة مغني التينور ليوسليزك (١٩٣١)



□ كنيسة سان شارل في فيينا بعد العاصفة (١٩١٠)

□ بحيرة الملك في بافير (١٩١١).

قبره تعظيما له، ووقف في الأنفاليد، وقبعته على صدره، مستغرقا في تأمل طويل. وبعد زمن أعاد إلى فرنسا رفات ابن نابليون «الصقر» ويقال إنه كان يتمنى، حتى آخر لحظة، أن يموت في ٥ أيار، يوم وفاة نابليون، فيما كانت برلين تحترق.

في نهاية العشرينات، رسم هتلر صورة شخصية لنابليون، وصورة أخرى نادرة لمغنية الأوبرا غريتل سليزاك، ابنة أحد كبار مغني التينور في فرقة أوبرا فيينا. وكانت تقاسم هتلر حب فاغنر. وكانت حاشية هتلر تعتقد أنه سيتزوجها. وقد أهداها اللوحة بمناسبة عيد الميلاد.



□ إنك تقرأ كتب التاريخ لتستفيد من أعمال الناس، وما وقع لهم، وما صدر منهم، وما كان من نتائج أعمالهم وتقرأ سير العظماء لتتشبه بهم، وتدرك موضع عظمتهم. وتقرأ الطبيعة والكيمياء لتستفيد من استكشاف قبلك لقوانين الطبيعة، فالحياة كلها تجارب، والتجارب مدرسة للانسان والاستفادة منها أهم سبل النجاح في الحياة.

أحمد أمين



ساطع الحصري

توفي في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٦٨

يعد «أبو خلدون»، ساطع الحصري، أحد دعاة القومية العربية الذي أعطوا كل حياتهم الفكرية لها، والذين خاضوا في سبيلها كثيراً من معارك الفكر والقلم، ولذلك لم يكن غريبا أن يترك العديد من المؤلفات دفاعا عن فكرته، والذود عنها.

وفي مقدمة هذه المؤلفات:

«العروبة أولاً» و «دفاع عن العروبة» و «ما هي القومية؟»، و «حول القومية العربية»، و «الاقليمية، جذورها وبذورها».

أما الأفكار الرئيسية التي عرضها «الحصري» في هذه الكتب فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

ـ القومية مرتبطة أوثق ارتباط باللغة. والأمة جماعة قائمة على اللغة والتاريخ.

ـ فاللغة هي روح الأمة، والتاريخ هو ذاكرتها وشعورها ووعيها.

ـ والقومية هي السمة الطبيعية العريقة للانسان والمجتمعات الانسانية.

ـ وقد بدأت الفكرة القومية تحكم التاريخ منذ بدايات القرن التاسع عشر.

ـ ويرى «أبو خلدون» أن الصراع الأساسي في الوطن العربي هو في جوهره صراع بين القومية والاقليمية، وأن النصر معقود في النهاية للقومية.

وهكذا يتبين أن «ساطع الحصري» قد ركز السمات الأساسية للقومية في اللغة والتاريخ مستبعدا غيرها من العناصر التي يراها الآخرون ضرورية في تكوين القومية، وذلك كالأرض والدين والاقتصاد والتراث الفكري.. ولهذا دارت بينه وبين غيره من المفكرين مناقشات كثيرة ومحتدمة. ومهما يكن من أمر هذه الخلافات، وأين يكون الصواب فيها والخطأ، فإن الحلم الذي لم يغب عن خاطر هذا المفكر العربي كان هو الأمة العربية الواحدة في دولة عربية واحدة.

و«ساطع الحصري» من أصل سوري، أقام في الآستانة فترة طويلة. فكان لسانه الأول تركيا أكثر مما كان عربيا.

وقد شغل بعض الوظائف الهامة في وزارة التربية العثمانية.. وبعد سقوط امبراطورية العثمانيين بعد الحرب العالمية الأولى انتقل إلى دمشق وعمل فيها وزيرا للتربية بحكومة الملك فيصل. وعندما انتقل فيصل إلى العراق رافقه وعمل أيضا بالتربية. وكان له أثره الواضح في نشر الوعي القومي العربي.

وقد نفى «ساطع الحصري» بعد فشل الانقلاب الذي قام به «رشيد عالي الكيلاني» فعاش في دمشق وبيروت، وأخيرا انتقل إلى القاهرة، وظل يعمل موظفا بجامعة الدول العربية حتى توفي في الرابع والعشرين من ديسمبر سنة ١٩٦٨.

المشرق العربي

لقد جرت العادة على أن يقال أن الشرق الأوسط يشغل غالبا مكانا مركزيا من العالم المتمدن ككل. وقد كان الشرق الأوسط في مكان المركز خلال الشطر الأعظم من العصر الحجري الجديد وما بعد العصر الحجري الجديد. وأني أعتقد أن ذلك يرجع إلى ميزتين ماديتين:

الأولى هي النشاط المحلي العظيم فيما يتعلق بسلعة رئيسية. والثانية هي المركز المسيطر في نظام المواصلات بالنسبة للعالم المتمدن ككل. والسلعة الرئيسية الأصلية في الشرق الأوسط كانت هي القمح طبعا. القمح الذي زرع عن طريق الري في الوادي المنخفض للنيل وفي الوديان المنخفضة لنهري دجلة والفرات ووادي نهر السند.

وقد زرع القمح في مناطق كانت تغطيها الغابات والمستنقعات، كما كانت غير صالحة للحياة البشرية إلى أقصى حد قبل أن يستطيع الانسان أن يغزو الزمن هذا الغزو الخارق بالتعاون والجهود المشتركة.

وقد نهض المركز المسيطر للشرق الأوسط أصلا عن أساس ما توافر له من أقصر الطرق البرية والمائية بين اللسان الشرقي للمحيط الأطلسي وهو البحر الأبيض المتوسط واللسانين الغربيين للمحيطين الهادىء والهندي وهما الخليج والبحر الأحمر طبعا، وجميع الممرات البرية والمائية بينهما.

هذا هو الموقع الرائع المسيطر للشرق الأوسط بالنظر إلى طرق المواصلات. وقد كانت هذه الممرات البرية والمائية عن طريق الشرق الأوسط أسهل لأنه منذ بدء العصر الحجري الجليدي أو بالأحرى منذ الفترة الأخيرة للعصر الجليدي مهد جفاف شمالي أفريقيا وجنوب غربي آسيا لتجريد هذه المناطق من الأدغال والنباتات وتحويلها إلى صحاري عارية ممهدة، أصبحت أسهل مناطق للعبور على وجه الأرض. وعلى ذلك فإن مراكز الحضارة في وديان أنهار الشرق الأوسط لم تكن غنية بإنتاج القمح فحسب، ولكنها كانت غنية بإمكانات الاتصال بعضها ببعض، بفضل اكتشاف البلدان التي حولها. ونحن نعرف مدى تأثير تبادل المواصلات حين

مركز العالم من جديد

د. ارنولد توينبي

□ خيالة من العصر المملوكي

أسباب انحسار الحضارة عنه وأسباب عودتها إليه

نرى كيف تؤثر الحضارات المختلفة بعضها في البعض الآخر نتيجة لذلك، ومن الطبيعي أنه كانت هناك ملاحة نهرية داخلية في تلك المناطق بعد أن تمكن أهلوها من ترويض الأنهار فيها والسيطرة عليها.

غير أنه في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي فقد الشرق الأوسط ميزتيه العظيمتين.

فحين اكتشف سكان غرب أوروبا طريقهم البحري حول رأس الرجاء الصالح إلى الهند والصين واليابان، وحين عبروا المحيط الأطلسي بغتة فقدت الممرات البرية والمائية بين البحر الأبيض المتوسط وبين البحر الأحمر أهميتها مؤقتا. ونحن نعلم مبلغ الاثارة والصدمة التي حدثت في البندقية حين وصلتها أنباء إبحار سفينة برتغالية محملة ببضائع هندية من شاطىء الهند مباشرة إلى لشبونة في البرتغال.



□ أرنولد توينبي.

ولم تكن البندقية وحدها هي التي تلقت الصدمة ولكن القاهرة تلقتها أيضا، لأن امبراطورية المماليك في مصر وسوريا كانت تنتفع بالتجارة مشاركة مع البندقية عن طريق هذه الممرات البرية والمائية القصيرة بين أوروبا والهند.

وحين شق البرتغاليون طريقهم إلى الهند بعد ذلك بوقت قصير وغزا العثمانيون امبراطورية المماليك، بذل العثمانيون خلفاء المماليك، كما نعلم، محاولة شديدة جدا لطرد البرتغاليين من المحيط الهندي.

ووقعت هذه المحاولة بين العثمانيين والبرتغاليين على أرض إثيوبيا.

وحدثت مواقع بحرية بين الأساطيل العثمانية والأساطيل البرتغالية في المحيط الهندي.

غير أن الشقة كانت بعيدة بالنسبة لمعظم أجزاء الامبراطورية العثمانية.

فلم يلبث العثمانيون أن تخلوا عن المنافسة وعن المحيط الهندي للبرتغاليين.

وهكذا أصبح المحيط، لفترة من الزمن هو الطريق الرئيسي للمواصلات بدلا من الطرق البرية.

ثم فقد الشرق الأوسط أيضا تفوقه كمنتج رئيسي للقمح في العالم. غير أن فقدان هذا التفوق كان تدريجيا وعلى فترة أطول كثيرا.

فقد استقر نظام الري بالمياه في العراق في الوقت نفسه الذي استقر فيه تقريبا في مصر. وربما كان ذلك في سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد.

وقد سمحت الظروف باستمرار هذا النظام وتقدمه دون أزمات سياسية أو حروب فيما عدا بعض الفترات وربما حتى قيام الحروب العظمى بين الامبراطوريتين الفارسية والرومانية قبل الغزو العربي.

مناطق أخرى

وقد أدى نجاح الزراعة في موطنها الأصيل إلى انتشارها في مناطق أخرى عديدة، الأمر الذي قلل من أهمية هذا الموطن الأصلي أي وادي النيل ودجلة والفرات والأندوس.

وقد انتشرت إلى أقاليم ومناطق جديدة عديدة مثل جنوب شرق آسيا وأندونيسيا وجنوب الصين واليابان وجنوب روسيا وأوروبا وأميركا الشمالية وشمال الصين والأرجنتين وأستراليا وأجزاء أخرى كثيرة من العالم.

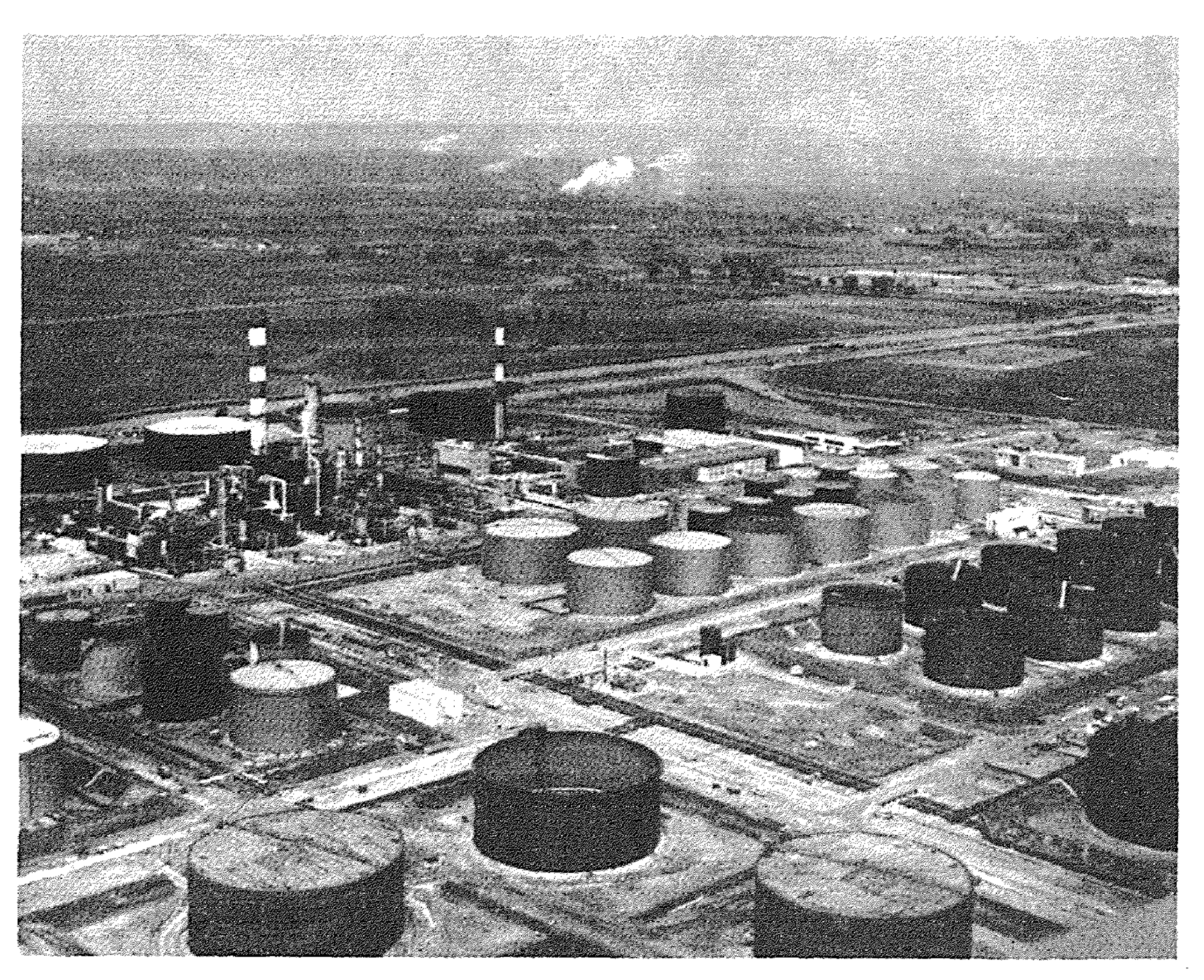
وإني أعتقد أن أحواض دجلة والفرات والأندوس لا تستطيع أن تأمل بعد الآن في أن تصبح المركز الرئيسي لانتاج الحبوب في العالم.

البترول

ومع ذلك فإنني أظن أن بعض الأجزاء المتصلة بالشرق الأوسط في عصرنا الحاضر وهي الشرق الأدنى والعراق وجنوب غرب إيران والكويت وشرق المملكة العربية السعودية... هذه الأجزاء وبعض أجزاء الشرق الأوسط الأخرى سوف تصبح مصادر مهمة لانتاج شيء يتساوى مع الحبوب ولكنه مختلف تماما في الوقت نفسه وأعني البترول. ولكننا يجب ألا نبالغ كثيرا بالنسبة للبترول لأن شأنه قد يكون شأن الفحم فتستجد أنواع من الوقود أحدث منه قبل أن تنضب موارده.

إني أعتقد أن بني البشر يتركون دائما بعض المواد قبل أن يستنفدوا الاحتياطي منها لأنهم يجدون دائما بديلا أفضل لهذه المواد.

وقد ظهر البترول موزعا ومخزونا في بلدان الشرق الأوسط حتى لقد عوض العراق وإيران مثلا عما فقدناه بسبب انهيار نظام الري والزراعة خاصة في العراق. كذلك ظهر البترول في المناطق شبه الصحراوية مثل المملكة العربية



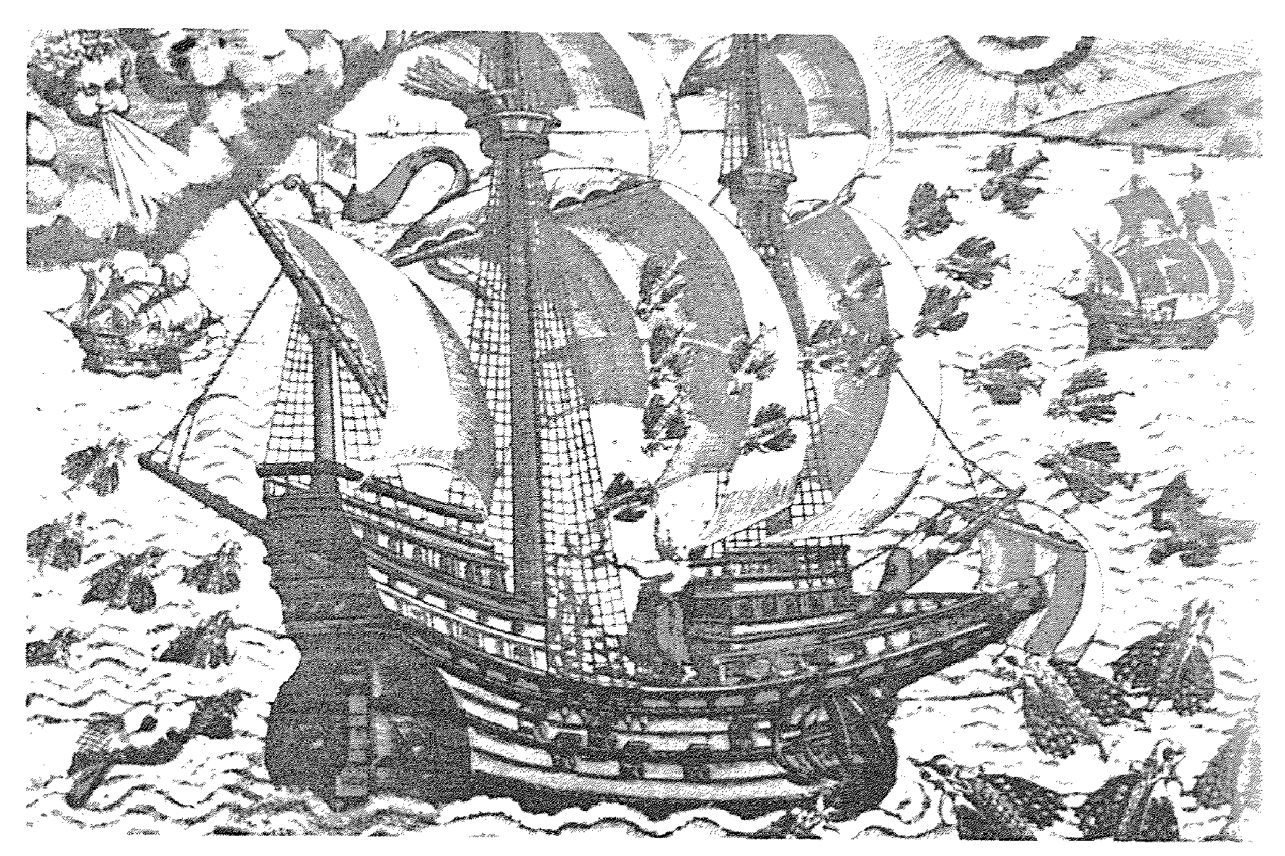
□ آبار البترول... ثروة العرب الجديدة..

السعودية والكويت بكميات كبيرة. ويستطيع (توباس) وهو خبير في احتياطي البترول أن يثبت أن احتياطي البترول في الكويت وحدها يعادل احتياطي البترول في الولايات المتحدة الأميركية كلها. وأظن أن ٧١ ٪ من احتياطي البترول في العالم كله يوجد اليوم في الشرق الأوسط. وفي الوقت نفسه استرد الشرق الأوسط مركزه الطبيعي المسيطر في نظام المواصلات العالمي ذلك أن السيطرة المؤقتة لغرب أوروبا على جنوب وشرق آسيا عن طريق الهند والصين أعادت فتح طريق قصير عبر الشرق الأوسط بين جنوب وشرق آسيا من ناحية وغرب أوروبا من ناحية أخرى.

ذلك أنه ما أن استطاعت شعوب غرب أوروبا أن تثبت أقدامها في جنوب آسيا وشرقها حتى تعبت من اضطرارها إلى الدوران حول شواطىء أفريقيا للوصول إلى هناك. وبدأت البحث عن طريق قصير بين الهند وأوروبا مرة أخرى.

وتوجد في كل مكتبة كتب للرحلات كتبها رحالة أوروبيون من فرنسا وانكلترا إلى الهند برا مارين بمصر أو بحلب عن طريق وادي الفرات. وكان هؤلاء الرحالة يعيدون فتح الطريق القديم القصير مرة أخرى وإنه وإن كان نزول نابليون في مصر عام ١٧٩٨ يعتبر حدثا سيئا من وجهة نظر معينة إلا أنه كان حدثا أفاد مصر في نهاية الشوط بأن جعلها مرة أخرى في موضع المركز من العالم. وإن نظرة نابليون ومحاولة احتلال مصر لتدل طبعا على أنه كان يعتقد أن مصر تحتل مركزا مسيطرا في العالم.

وقد كان من بين أجدادي أحد الأعمام الذي كان يعمل ربانا في إحدى تلك السفن



□ صورة ماخوذة من «اطلس مركاتور» عام ١٥٩٥ لسفينة الرحالة الشهير ماجلان الذي وصل إلى البحار الدافئة عام ١٥١٩.

الشراعية القديمة الطراز التي كانت تبحر لحساب شركة الهند الشرقية من لندن إلى كلكتا ومن كلكتا إلى لندن. وحين أبحر لأول مرة وهو في الثلاثين أو الأربعين من عمره كان عليه أن يدور حول رأس الرجاء الصالح.

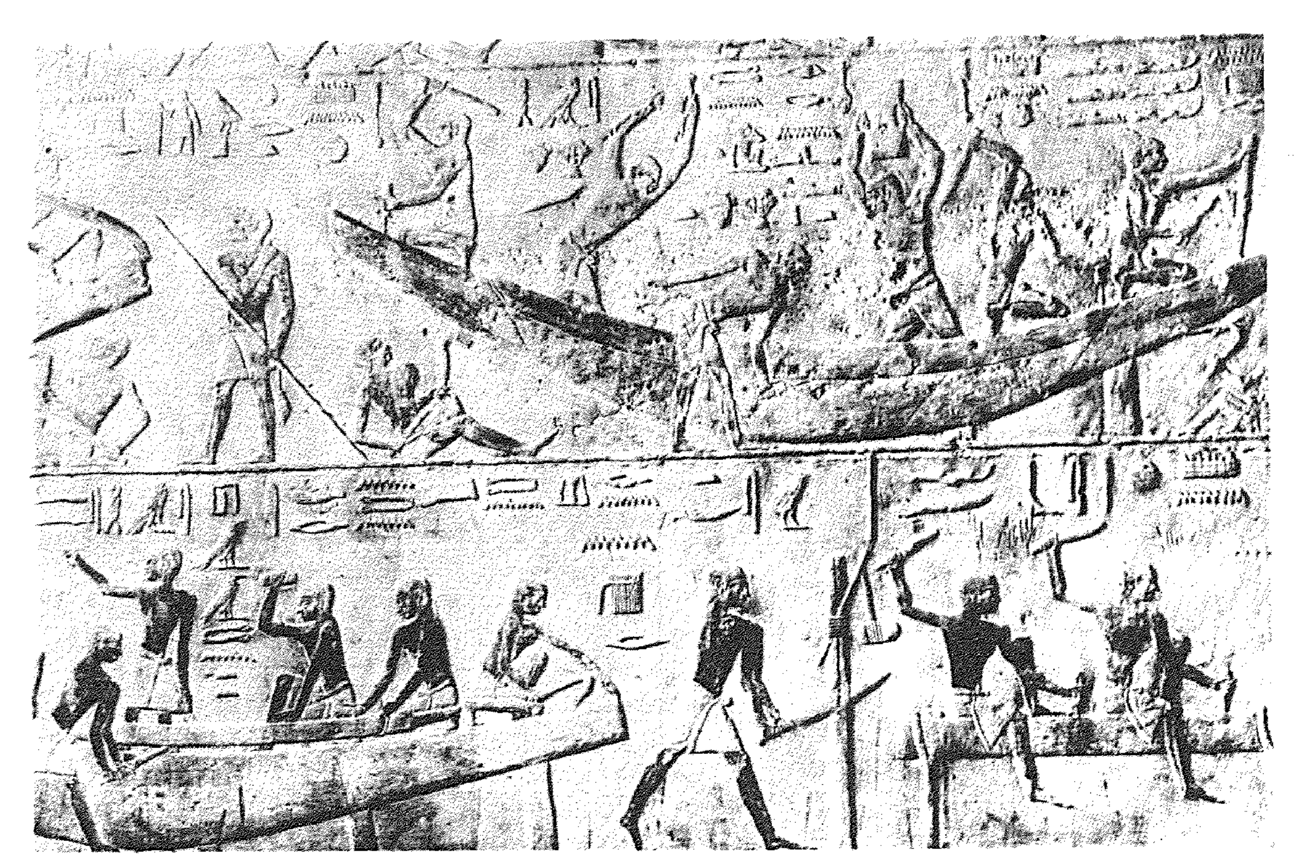
وفي عام ١٨٥٧ حين ثار جيش شركة الهند الشرقية البريطانية ضد البريطانيين في الهند وقامت الحرب في الهند كان على هذا العم من أسلافي أن ينقل القوات البريطانية إلى الهند عن طريق السفر في المحيط حول رأس الرجاء الصالح.

وكانت الرحلة تستغرق عدة شهور وكانت تمضي أسابيع دون أن تكون هناك أية أنباء. وقبل أن يتقاعد هذا العم من أسلافي عن العمل في البحر كانت مصر قد أنشأت خطا حديديا من الاسكندرية إلى القاهرة ثم إلى السويس. وفي السنة الأخيرة التي عمل فيها ربانا لتلك السفينة الشراعية كان يصل بها إلى ميناء الاسكندرية ثم ينزل إلى البر هو وركاب السفينة فيستقلون القطار إلى القاهرة حيث يتقابل هو وربان انكليزي آخر مع ركاب سفينة القادمين من الهند. وفي القاهرة يتبادلان أوراق السفينتين فيعود الربان القادم من الهند بسفينة هذا العم إلى لندن ويبحر هو بالسفينة الأخرى من السويس إلى كلكتا.

قناة السويس

وقد تقاعد هذا العم من أسلافي في عام ١٨٦٦ أي أن فرصة الابحار عن طريق قناة السويس فاتته بثلاث سنوات فقط. غير أنه عاصر الوقت الذي رأى فيه العودة إلى استخدام الطريق القصير عبر مصر بين أوروبا وجنوب غربي آسيا مرة أخرى.

ونحن لو نظرنا إلى خريطة للطرق الجوية العالمية فإننا نجد أنها تمر كلها تقريبا عبر منطقة الشرق الأوسط كما أننا إذا فكرنا في المطارات المهمة في العالم فإننا نفكر بمطارات القاهرة وبيروت واستانبول وبمباي وبغداد وطهران وكراتشي ونيودلهي. كما أن بقية الخطوط الجوية تقع على مقربة من هذه المجموعة المركزية



□ بناء السفن وصناعة الاسرة، مقبرة في بسقارة من كتاب الموسوعة المصرية، ١٩٦٠، القاهرة.
«من كتاب حضارة الشعوب والأمم»، الجزء الرابع، رولان موسنييه.

للخطوط الجوية المهمة على أمل أن تستطيع أن تشارك في يوم من الأيام في هذه الحركة العالمية المهمة للنقل الجوي.

ومهما يكن من أمر الحاجة إلى البترول والسعي وراءه في المستقبل فإنني أعتقد أنه أصبح من الواضح أن الشرق الأوسط. قد استعاد مكانته الأولى بالنسبة لطرق المواصلات. وهناك عدة أسباب لذلك. والسبب الأول في نظري هو أن أي وسائل ميكانيكية حديثة للنقل ستبقي على الأرجح في حاجة إلى محطات برية تتزود فيها بالوقود. ومن ثم فهي ستبقى مرتبطة بالأرض بالمقارنة مع السفينة الشراعية. ومع ذلك فإننا لا نعرف بعد، ما إذا كانت وسائل النقل الميكانيكية سواء السفن أو الطائرات ستستطيع أن تستغني عن التزود بالوقود في وقت قصير أو طويل.

نحن لا نستطيع أن نتعارض مع العلم. ولكننا نستطيع أن نقول بثقة أن الشرق الأوسط يقع الآن على أقصر طريق بين المركزين الرئيسيين لكثافة السكان في العالم. فالكثافة الهائلة القديمة للسكان في الهند والصين قد تضاعفت بدرجة عظيمة منذ القرن الثامن عشر كما أن أوروبا وأميركا الشمالية أصبحتا مركزا جديدا لكثافة السكان منذ القرن التاسع عشر وبين هذين الجنسين هائلي العدد من السكان في العالم يقع الشرق الأوسط على أقصر طريق. وأعتقد أن هذا يضمن للشرق الأوسط مكانته كمركز للمواصلات.

التركيب الجيولوجي

لقد كانت سوريا طوال التاريخ ما عدا القرنين الأخيرين الشاذين، بمثابة المدينة الكبيرة التي تنتهي حدودها في إيران. وأنا مثلا حين أركب السيارة في القاهرة أصل إلى أماكن رئيسية تتشعب منها الطرق. وعلى هذا الأساس فإن سوريا وإيران تشبهان هذه الأماكن التي تتجمع فيها الطرق ثم تتشعب إلى جميع الاتجاهات في أنحاء العالم. فهما لا تربطان مصر والعراق وشبه القارة الهندية بعضها بالبعض فحسب ولكنها تربطان هذه الأقاليم كلها بجميع أنحاء العالم



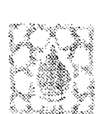
□ كولومبس

المتحضر. وإن سكان المدن في العالم القديم أي الذين كانت بلادهم تقع في وقت من الأوقات إلى الغرب في قلب الأمبراطورية الرومانية ربما يؤمنون بالمثل الأوروبي القائل إن جميع الطرق تؤدي إلى روما. غير أن ذلك ليس صحيحا فإنني أعتقد أن نصف طرق العالم تؤدي إلى مدينة حلب وهي نقطة البداية للطريق عبر سوريا. كما أن النصف الآخر لطرق العالم يؤدي إلى مكان آخر في أفغانستان وهو المكان الذي كان الممر دائما من وسط آسيا ومن الاتحاد السوفياتي إلى جنوب شبه القارة الهندية.

ولقد احتلت شعوب الشرق الأوسط مكانا متفوقا سابقا في التاريخ. ذلك أن تطور الزراعة في الشرق الأوسط وفي أحواض أنهار المنطقة أتاح الفرصة لنشوء المراكز الاقتصادية التي تؤدي بدورها إلى قيام المدن. كما أن طرق المواصلات البرية والنهرية وصلاحية المنطقة للسفر عبرها قد أدت إلى ازدهار التجارة. وهكذا تيسر للشرق الأوسط أن يحقق المكسبين العظيمين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية. وإنه لما يستحق الاهتمام أن تنظيم المسافات وتقريبها لا يزال هو العامل المسيطر من الناحية الاقتصادية والناحية التكنولوجية في عالم اليوم. وهذا يعني أن الشرق الأوسط كان هو البادىء في المجالين الاقتصادي والاجتماعي بالاتجاهات التي لا تزال ذات أهمية دائمة حتى يومنا هذا. فهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي تنشأ عن صناعة البترول مثلا والتي نسميها الحضارة لا تزال هي التي تشكل الاتجاه المستمر دواما إلى الأمام.

ويقول عالم أجناس أميركي أن الحضارة هي المضي قدما في الاتجاه إلى الأمام. فما أن ينزح الناس عن قراهم ويأتون إلى المدن حتى يبدأوا في السير ويثبتوا وجودهم في حركة متفاعلة هائلة ونحن نستطيع أن نشاهد هذا في جميع أنحاء العالم اليوم، ففي القاهرة يتألف السكان من النازحين من الريف المصري ومن الدول العربية.

بل إننا نستطيع أن نشاهد هذا أيضا في مدينة أريحا في الأردن وهي أقدم المدن إذ يرجع تاريخها إلى عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد فقد تألف سكان هذه المدينة من الذين نزحوا إليها من القرى المجاورة والذين تفاعلوا بعضهم في البعض وبدأت حركتهم المدنية أو الحضرية. وعلى ذلك فإنني أقول مرة أخرى إن منطقة الشرق الأوسط كانت هي المنطقة الرائدة والتي مهدت للأحداث العظمى التي نجد أنفسنا في غمارها الآن. ●



□ في حديث بين فولتير وأحد أصدقائه قال الصديق: إنها لشهامة منك أن تثني دائما ثناء طيبا على فلان على حين أنه لا يجد غير الذم إذا ذكرت.

فقال فولتير: لعلَّ كلينا مخطىء!

ادنا سميث في كتابها «أحسن ما أعرف»

هندنبرغ

أكبر منطاد في العالم يتحوّل إلى ركام في ثلاث دقائق

إنعام الجندي

لحظة الانفجار

عام ١٩٥٣ قررت شركة زيبلين بناء منطاد أضخم وأكبر وأسرع. ولم تكن الطائرة تحلم بمنافسة المناطيد، التي كانت تحيا أجمل أيامها.

كانت محركات المناطيد أقوى، وأدوات الطيران أكثر اتقانا، بينما البوينغ ٢٤٧ لم تكن تحمل أكثر من عشرة ركاب، ولا تقطع أكثر من ثلاثمائة كيلو متر. بينما غراف زيبلين يقطع ١٠٠٠٠ كيلومتر في طيران واحد.

صانع المناطيد

الكونت فرديناند فون زيبلين، هو الذي أعطى إسمه للمناطيد الضخمة. ولد عام ١٨٣٨ في كونستانس من عائلة بروسية. عام ١٨٦١ سافر إلى الولايات المتحدة التي كانت الحرب الأهلية تمزقها. خاب أمله في الحرب. فقرر أن يستكشف الغرب. وقد أتيح له، بهذه المناسبة، أن يقوم برحلته الأولى، في بالون عادي غير موجه.

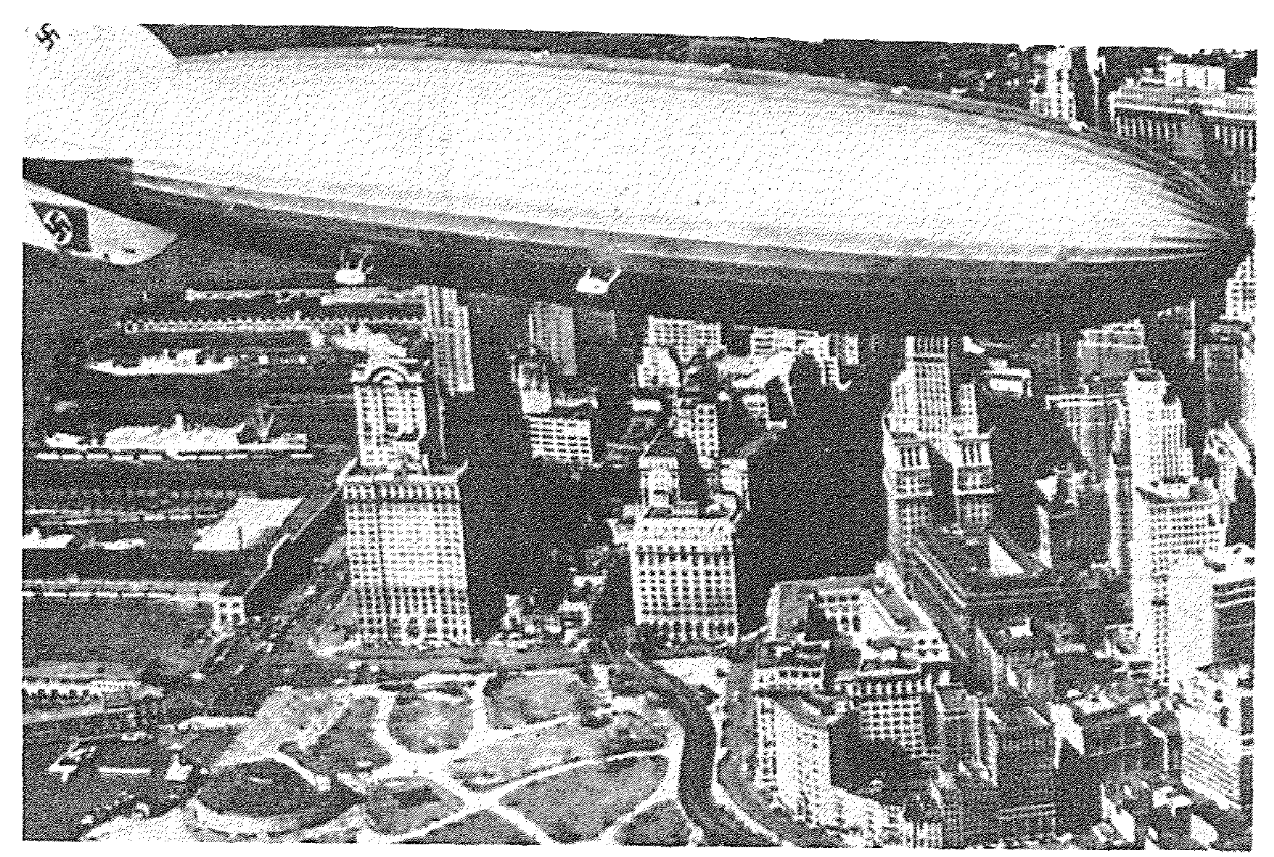
عام ١٨٧٠، خلال الحرب الألمانية ـ الفرنسية، اشتهر بإقدامه، حتى لقب «بالكونت المجنون». كان، على كل حال، يدرس، تلك الفترة مشاريع إنشاء مناطيد موجهة. كانت أوروبا كلها مشغولة بفكرة إنشاء المناطيد. وكان الفرنسي هـ. جيفار أول من سير منطادا بواسطة مروحة يحركها محرك بخاري.

التاسع عشر من تشرين الأول ١٩٣٣، كان لركاب المنطاد الألماني غراف زيبلين، الحق في غداء مناسب مكون من الشوربا، والغولاش، والأناناس، والكيرش والحلوى. وكان المنطاد يرود الفضاء فوق الأطلسي بسرعته العادية (١٢٥ كم في الساعة) وحجمه الضخم (٢٣٥ م طولا، و ٣١ م قطرا). وكانت محركاته الضخمة الخمسة (قوة ٥٠٠ ch) كل واحد، لا تنزر بأي خطر، ولا تقلق راحة المسترخين في قاعة الطعام الضخمة.

كان المنطاد يقوم برحلة اعتيادية. رحلة من ستمائة وخمسين رحلة قام بها، من بينها ١٥٠ رحلة فوق الأطلسي. عام ١٩٢٩ لم يستغرق أكثر من ٢١ يوما ليدور حول العالم. وحيث حل، كان يثير إعجاب الجماهير، الذين يتجمعون للتفرج عليه والتصفيق له.

وكان إذا عاد إلى المانيا من إحدى رحلاته يخف الجمهور الألماني ليستقبله في حماسة منقطعة النظير، ويردد نشيد: «المانيا فوق الجميع».

□ إنعام الجندي: استاذ في الأدب العربي، له العديد من الكتب في الأدب العربي والترجمات.



□ هندنبرغ يحلق فوق نيويورك. ويرى الصليب المعكوف على جناحي المؤخرة.

٢ تموز، ١٩٠٠ صعد زيبلين إلى غرفة منطاد موجه صنع حسب مخططاته. وكان طوله ١٥٠م وذا محركين على البنزين، كل منهما من أربع اسطوانات. وقد صممه عبقري آخر هو غوتليب ديملر. كان المنطاد يطير ثماني عشرة دقيقة ثم يهبط ملتصقا إلى مسند ضخم مثبت على أرض بودانسي.

اضطر زيبلين إلى وقف تنفيذ مشاريعه بسبب النقص المالي، فقد صرف أكثر من مليون مارك على المنطاد السابق.

غير أنه حصل على المال الضروري من ملك ورتنبرغ والمستشار برنهاردفون بولو. بيد أن ما حصل عليه لم يكن كافيا. لذلك أوجد «يانصيب»، وباع اصطبلاته، وصرف خدمه. وابتكر لنفسه نظام حياة فيه تقتير شديد. وصنع المنطاد (LZ2) فحطمته العاصفة. فكان (LZ3) الذي نبه الجيش الألماني إلى استخدام المناطيد من أجل الحرب.

تلك الأثناء تعرف زيبلين إلى الدكتور هوغو إيكنر، الذي غدا شريكه الأساسي، ووريثه الروحي.

١٤ آب انتهى العمل من LZ4 (١٤٢ م). وقد احتاج نفخه إلى ١٥٠٠٠ م³ من الهيدروجين. ولكنه أصيب بعطب فهبط في أكتردنجن. ولم يكد يصلح العطب حتى اشتعل فيه حريق ذهب به. وقد استاء الشعب الألماني للمصائب التي حلت بالكونت المجنون فأجرى اكتتابا جمع منه ستة ملايين مارك أهديت إلى الكونت. ١٩٠٩ بدأ استخدام البالونات تجاريا على خطوط في سماء الرايخ.

كان الألمان يتلقون، بين الحين والآخر، أنباء اختفاء بعض البالونات غير الألمانية. فالمنطاد الفرنسي «الوطن» الذي كان فخر فرنسا، فقد ليل ٣٠ تشرين الثاني ١٩٠٧ مما حدا بالحكومة الفرنسية على العدول عن المناطيد الموجهة. ووجهت الجهد لتحسين الطيران.

١٩١٤ كان أحد المناطيد يقوم باستكشاف الخطوط العسكرية الفرنسية فتحطم فوق الأشجار. واعتقلت الخيالة الفرنسية قادة المنطاد وتجهيزاته.

١٩١٦ جرت محاولات القاء قنابل على لندن بالمنطاد. وقد وصل أسطول المناطيد والقى قنابله

"All the News That's Fit to Print."

The New York Times.

LATE CITY EDITION

VOL. LXXXVI....No. 28,988. NEW YORK, FRIDAY, MAY 7, 1937 TWO CENTS

HINDENBURG BURNS IN LAKEHURST CRASH; 19 KNOWN DEAD, 14 MISSING; 64 ESCAPE

ANARCHISTS RENEW BARCELONA STRIFE; 5,000 LEAVE BILBAO

Revolters, Regaining Part of Catalan Capital, Demand Shock Troop Dissolution

SOCIALIST MINISTER SLAIN

Insurgents Reported Gaining Unresisted in Aragon as Foes Withdraw 12,000

EVACUATION IN NORTH SPED

British Warships Protect Craft Taking Women and Children From Bilbao to France

The Spanish Situation

Judge Sentences Himself By Signing Papers Unread

HUGHES SEES CHOICE IN LAW OR TYRANNY

Courts Must Be Maintained, He Tells Law Institute, or We Replace Reason by Force

TEST OF BAR TO ROOSEVELT

Stewardship Is Questioned by Laymen, He Writes in Warning of 'Critical Audience'

NOTABLES ABOARD

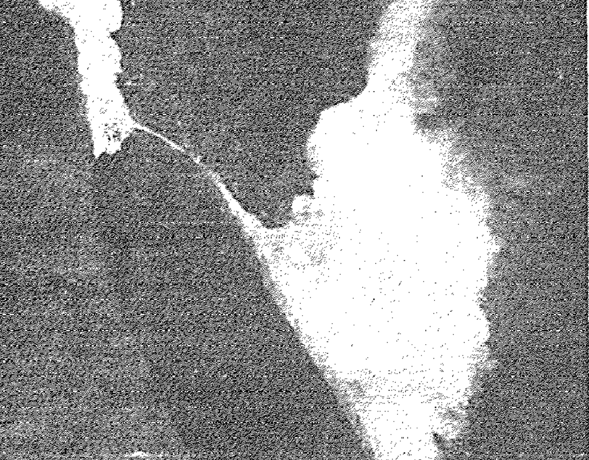
Merchants, Students and Professional Men on the Dirigible

LEHMANN IS A SURVIVOR

Veteran Zeppelin Commander Acted as Adviser on Trip—Capt. Pruss Also Safe

OSBUN SAVED 2D TIME

Sales Manager Once Escaped in Plane Crash—Many Leap From Windows



THE HINDENBURG IN FLAMES ON THE FIELD AT LAKEHURST

The giant airliner as she settled to the ground near her mooring mast at 7:23 o'clock last night

SHIP FALLS ABLAZE

Great Dirigible Bursts Into Flames as It Is About to Land

VICTIMS BURN TO DEATH

Some Passengers Are Thrown From the Blazing Wreckage, Others Crawl to Safety

GROUND CREW AIDS RESCUE

Sparks From Engines or Static Believed to Have Ignited Hydrogen Gas

By RUSSELL B. PORTER

DISASTER ASCRIBED TO GAS BY EXPERTS

Washington Sees Dangerous Combination of Hydrogen and Blue Gas as Cause

Airship Like a Giant Torch On Darkening Jersey Field

Routine Landing Converted Into Hysterical Scene in Moment's Time—Witnesses Tell of 'Blinding Flash' From Zeppelin

By CRAIG THOMPSON

GERMANY SHOCKED BY THE TRAGEDY

At First Disbelieving, Line's Officials Tell of Receiving Message of Landing

Continued on Page Ten Continued on Page Seventeen Continued on Page Nineteen Continued on Page Twenty-one Continued on Page Twenty-one Continued on Page Nineteen Continued on Page Nineteen

□ جريدة «النيويورك تايمز» تاريخ ٧ آيار ١٩٣٧.

□ غراف زيبلين مشدودا إلى عمود قاعدته.

المحرقة. وفي طريق العودة هبط أحدها في الخطوط الفرنسية.

قرر الطيران ضرب المناطيد. ولكن الطائرات لم تكن تستطيع الصعود أكثر من ٤٠٠ م بينما المناطيد كانت ترتفع إلى ٦٠٠٠ م و٧٠٠٠م أحيانا.

أواخر الحرب طورت بريطانيا طائرة ذات جناحين مزدوجين، تصعد إلى علو ٥٥٠٠ م. وقد استطاع الطيار ثقب أحد المناطيد برصاص فوسفوري، فحدث في الجو انفجار رهيب بسبب الهيدروجين، ذهب ضحيته كل طاقم المنطاد.

حوادث ما بعد الحرب

تسلم الحلفاء في نهاية الحرب، كل المناطيد الألمانية، على اعتبار أنها كانت أدوات حرب. ونصت معاهدة فرساي على منع الألمان صنع



□ قائد هندنبرغ الكابتن بروس خلال رحلته الأخيرة

المناطيد الحربية. واقيمت مراقبة على الشركة التي تصنعها.

مات الكونت زيبلين عام ١٩١٧. أما الدكتور أكنر فحرص على آلات صنع المناطيد، حتى يأتي زمان أفضل!.

وشاء الحلفاء الاستعانة بخبرة الألمان. فاحتجزوا عدة خبراء، مع مخططاتهم لصناعة المناطيد. ولكن التجربة جاءت مأساوية فتحطم (ZR2) البريطاني، ثم ديكسمود الفرنسي. وفقد الأميركان إثنين. واصطدم الايطالي «روما» بأشرطة الكهرباء والتهب، ومات فيه ٣٣ راكبا. عندئذ تخلى الأميركان عن الهيدروجين واستعانوا بالهليوم. وهو غاز غير متفجر. ولكنه أقل قدرة على حمل المنطاد (٩ مرات أقل)، ومكلف جدا.

بعث شركة زيبلين

في هذه الفترة كانت شركة زيبلين تنتج الطناجر وأواني الألمنيوم حتى لا تنقطع عن الانتاج. وكان المنطاد البريطاني (R 34) قد قطع الأطلسي دون توقف. وكان تقليدا حرفيا عن منطاد زيبلين.

كلفت أميركا شركة زيبلين صناعة منطاد لبحريتها. فكاد المنطاد (LZ 126) وطوله ٢٢٠ م، وحجمه ٧٤٠٠٠ م^3 من الهليوم. طار المنطاد بقيادة الدكتور اكنر نفسه، فقطع الأطلسي دون توقف، في ٨١ ساعة. وقد حط في مطار نيويورك بعد أن قطع ٨٠٠٠ كم. وسلم إلى البحرية الأميركية. ولكن الخبراء الألمان أمنوا الصيانة الدائمة. ووقعت شركة الدكتور اكنر اتفاقية مع شركة غوديير. وبدأ بصناعة غراف زيبلين الذي طار أول مرة في ١١ تشرين الأول ١٩٢٨ حاملا عشرين راكبا، وقطع ١٠٠٠٠كم في ١١١ ساعة. وكان استقباله في نيويورك حماسيا. كما استقبل قائده في البيت الأبيض. وعند عودة المنطاد إلى المانيا كان في استقباله هندنبورغ رئيس جمهورية ويمار.

بناء هندنبورغ

تكونت شركة الأسطول الجوي زيبلين عام ١٩٣٥ تمولها شركتان: لوفتشيفباو (٥٨ ٪) ولوفتهانزا (٤٢ ٪). وقد قامت مصهرة الشركة بصناعة كل عناصر الغلاف الخارجي، من خليط معدني، اختير لخفته وهو الدوراليوم. والغلاف مكون من ٣٦ حلقة، جمعت إلى بعضها بواسطة عوارض طولانية، بالاضافة إلى أقواس وحبال تؤمن المتانة والتلاحم. أما اتساع الأجنحة في الذيل فقرابة خمسين مترا. وقد غلف الهيكل بقماش قطني، غلف هو الآخر بقشرة من الكولوديوم المزيج بالفضة، ليعكس حرارة الشمس، ودهن باطنه باللون الأحمر ليمنع تأثير الاشعاعات فوق البنفسجة.

وجعل الهيدروجين في ستة عشر كرة، غلافاتها مصنوعة من ١٥٠٠٠٠٠ غشاء من أمعاء الثيران، اختيرت بسبب إحكام تماسكها. ولكل كرة صمام يسمح بالحصول على المقدار المطلوب من الهيدروجين. أما مجموع حجومها فهو ٢٠٠٠٠٠ م^3.

أما طول المنطاد هندنبورغ ــ وهو أضخم منطاد عرف ــ فهو ٢٤٥ م. وله أربعة محركات موضوعة على جوانبه، وكل منها في غلاف خاص، بقوة مقدارها (١١٠٠ ch) ويدير مروحة خشبية، ذات أربعة أجنحة، اتساع كل منها ٧ م.

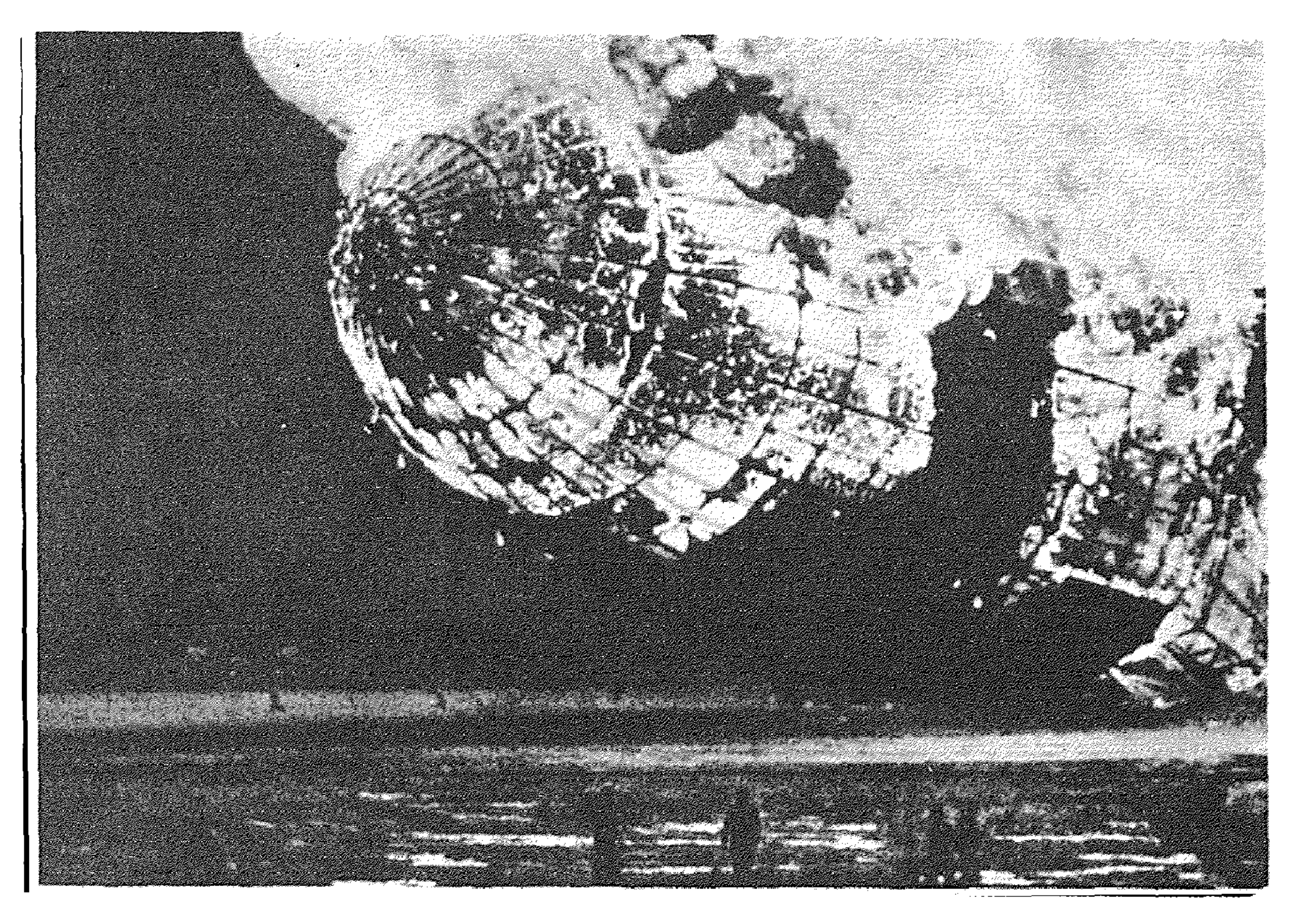
أما أماكن الطاقم والمسافرين والحمولة ففي داخل جسم المنطاد. مما كان يتيح استعمال مساحة أكبر.

وفي المنطاد ٢٥ شقة مزدوجة. وصالون واسع، وصالة طعام، وصالة مطالعة، وممران للتنزه. والكل مؤثث بذوق رفيع. مما يشعر المسافر أنه في سفينة من عابرات الأطلسي. أما غرفة الطاقم فمثبته تحت بطن المنطاد. هذا بالاضافة إلى قاعتين للسباحة.

أما الانارة فكان يؤمنها محركا ديزل، قوة كل منهما ٣٠ ك واط. وثمة خطوط هاتفية تسمح بالاتصال من طرف المنطاد إلى طرفه.

رجال ذوو خبرات نادرة

كان الطاقم من ذوي الخبرات. ويقوم على خدمة المسافرين مجموعة مدربة تدريبا نموذجيا. ويعني بالمحركات سبعة عشر ميكانيكي وثلاثة مهندسين. أما القيادة والحركة، فيقوم بها عشرون مجهزا، وكهربائيا، ومسؤولا عن المخابرات وضابطا. وكان القائد ليهمان السيد



□ امتداد النار إلى جميع الأقسام.

المطلق بعد إكنر، الذي كانت مشاغله الادارية، والعلاقات الصعبة مع سلطات الرايخ، لا تسمح له بالسفر في كل الرحلات. وقد اختاره اكنر منذ ١٩١٣ وكان ملازما ثانيا في البحرية الألمانية. وقد ساهم في الغارة على لندن، ٢ نيسان ١٩١٦. فنال وسام بطولة الحرب. وكان لطيفا جدا، رصينا، فيه كل صفات القائد. وكان رجاله جميعا على مثل طباعه، إذ كانوا يحبون مهنتهم، ويعرفون انهم نخبة تحظى بامتيازات لا يحظى بها غيرهم.

وكان المنطاد يحتاج إلى رقة وحذق في القيادة، فإذا هو شديد الطواعية. وكانت أثقاله عبارة عن مستودعات ماء موزعات على جهات المنطاد، تعدل ميلانه، وتنظم ارتفاعه. وكان تقدير الأحوال الجوية من أهم ما تعني به القيادة. غير أن هندنبرغ كان شديد الاستقرار حتى في العواصف التي تتخللها البروق والرعود. وعام ١٩٣٦ استطاع القائد ليهمان أن يتفادى عاصفة سرعتها ١٦٠ كم في الساعة، فقد انزلق في تيار مضاد بعثر العاصفة.

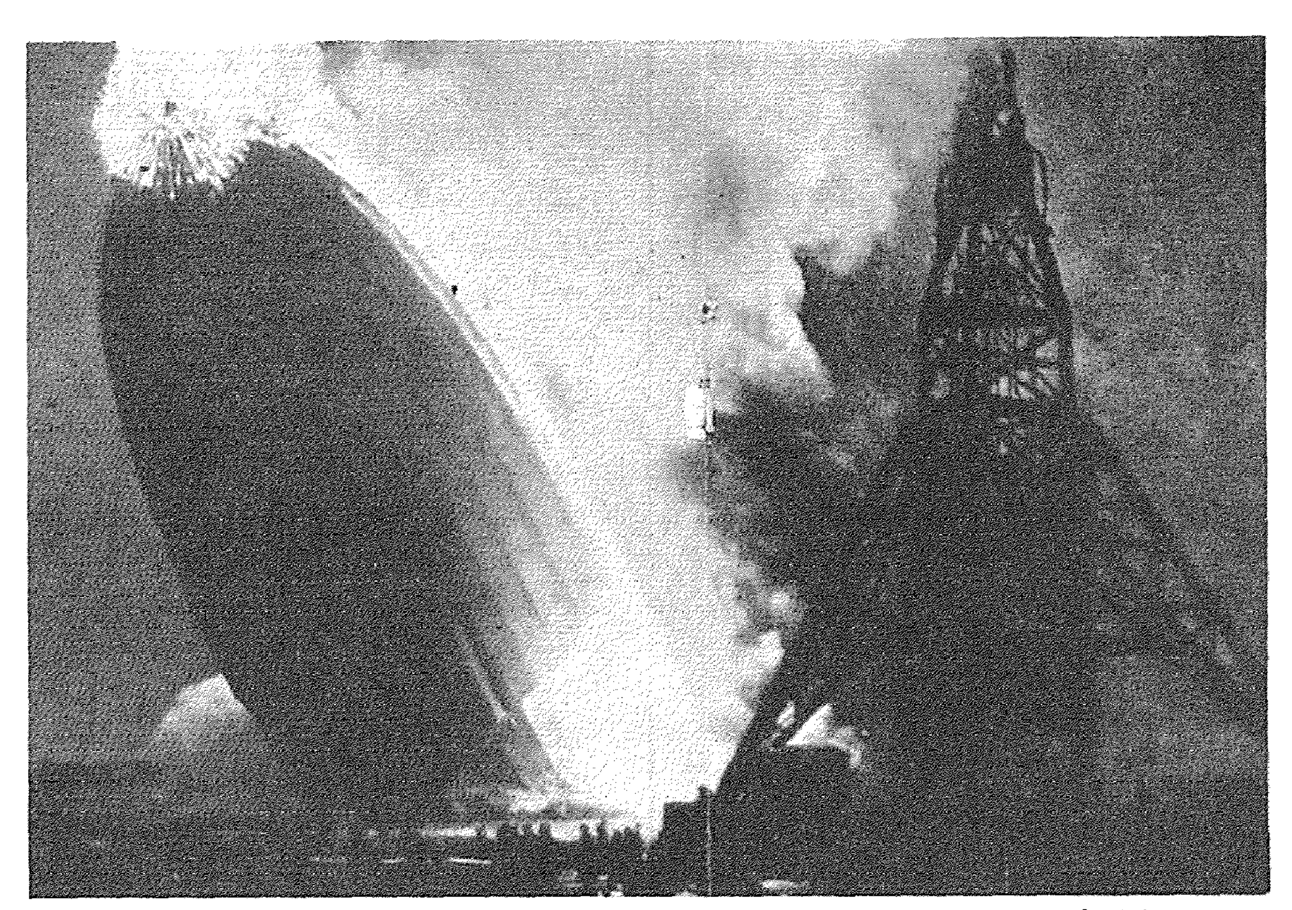
اما أدق عملية فهي هبوط المنطاد، فلا بد من ٢٥٠ رجلا ليثبتوا الحبال المرسلة من المنطاد. وقد بني عمود ضخم في لاكهورست ليثبت جهاز ربط المنطاد إلى الأرض.

رحلات هندنبرغ الأولى

قام هندنبرغ برحلات التجارب، ربيع عام ١٩٣٦. وبعد احتلال هتلر منطقة ريناني، دعي هندنبرغ وغراف زيبلين إلى رحلة دعائية. عبر فضاء المانيا كلها. فطارا فوق المدن على علو منخفض، وألقيا ملايين القصاصات لتأييد حركة هتلر التوحيدية، وأعدادا كبيرة من أعلام الصليب المعكوف. وطار هندنبرغ فوق مدينة تاننبرغ حيث يرقد المارشال هندنبرغ الذي أعطت الشركة إسمه لآخر ما صنعته من مناطيد.

أما رحلة عبر الأطلسي فقام بها هندنبرغ في ٦ أيار ١٩٣٦. وبعد ٦٠ ساعة كان فوق ناطحة سحاب مانهاتان.

ويوم افتتح أولمبياد برلين، طار المنطاد هندنبرغ فوق الملاعب.



□ إنهيار هندنبرغ.

ثم استخدم للأغراض التجارية، فكان نجاحه استثنائياً. وكانت طلبات الحجز ترد من كل أنحاء العالم، ولابد من انتظار شهور قبل الحصول على مكان. مع العلم أن أجر المقعد اربعمائة دولار، يومذاك. وكانت الرحلات تجتذب رجال الأعمال الذين كانوا يؤملون في إنشاء أعمال لهم في مختلف أصقاع العالم. وكان من أوائل من حجزوا على هندنبرغ: دوغلاس فيربانكس، وزوجته الليدي آشلي، والملاكم ماكس شمنلغ، والكندي اليوت رايت سبرينغز، والألماني أوتوفورستر وزميله فون ريختوفن «البارون الأحمر» هذا علا رجال الصحافة، والمليارديرية. كل ذلك حدا بالبحرية الأميركية على التفكير بتكليف الشركة إنشاء عدة مناطيد لحسابها.

آخر رحلاتهم

كان المسافرون في رحلة ٣ أيار ١٩٣٧ من رواد هندنبرغ الدائمين. كان ثمة صحافيان المانيان، زميلان لستيفان زفايغ. وتاجر شاي يعيش في درسو وعائلة من خمسة أشخاص، ربما مدير شركة منتجات كيميائية في مكسيكو، ودزينة من رجال الأعمال الأميركيين، وصحافي سويدي، ورسام، وعجوز تقطن روما، وطالب أميركي يدرس في السوربون، الخ... يضاف إلى هؤلاء ثلاثة ضباط بالثياب المدنية، مكلفين سريا بالمراقبة خلال الرحلة. ذلك أن الشركة تلقت مخابرات، وهواتف إنذار، تهدد بتفجير هندنبرغ. وكانت جرت محاولة تفجير على السفينة بريمان، لذلك اتخذت الاحتياطات الأمنية الدائمة، وعام ١٩٣٥ وجدت متفجرة في قاعة الطعام على غراف زيبلين.

كان على متن المنطاد عدة مسافرين مشبوهين في نظر الحكم الألماني: كالزوجين آديلت المعروفين بصداقتهما للكاتب الألماني المهاجر ستيفان زفايج، وشخص إسمه دوغلاس، وهو من العاملين في حقل الدعاية ويقطن أوروبا منذ ١٩٢٠، ويخدم في الاستخبارات الأميركية. كذلك الأكروبات اليهودي بن دوفا، الذي تزوج أميركية مشبوهة. لذلك كله فتش رجال الأمن هندنبرغ وما عليه من أدوات وحقائب تفتيشا دقيقا.

المجهز إريك سبيهل

ليلة السفر، الأحد ٢ أيار ١٩٣٧، اجتمع قسم من الطاقم، كما جرت العادة قبل كل رحلة، في قاعة من مطعم في فرنكفورت. شرب الرجال كمية كبيرة من البيـرة. وتحدثـوا عن الماضي السعيد، وغنوا أغاني حربية. وانضمت إليهم بعض النسـاء، من زوجاتهم أو صـديقـاتهم، كهيلدا شميدت، صديقة إريك سبيهل، وهو ابن قرويين من الغابة السوداء. وكان تعلم مهنـة صانع سروج. ولكنه فقد صنعته بسبب الأزمة الاقتصادية، فظل زمنا يدور من مدينة إلى مدينة بحثا عن عمل. وقد اغتبط كثيرا لاستلام هتلر الحكم فانضم إلى قوافل العاملين في المصانع، وقـد استخدمـه مصنع زيبلين. والتقى هيلدا شميدت التي كانت أكبر منه سنا، وكانت زوجة رسام، مات في صفوف الجمهوريين في إسبانيا. وكانت شيوعية على طريقتها الخاصة. وقد أعجب بها سبيهل، فمارست عليه تأثيرا متصـاعدا، وحاولت تجريده من إيمانه الكاثوليكي. وجعلته يقرأ كل الكتب التي تـركها زوجهـا، خاصـة ما يتصل بما قيل عن تعذيب النازي للرهبـان الكاثوليك.

كان سبيهل خلال السهرة هادئا جدا. وكانت معه قنبلة مربوطة إلى ساعة توقيت. وقد وضعها بين كاميرات التصوير الذي كان مشغوفا بها.

أتيح له أن يضع متفجرة قرب غرفة الغاز، فلم ينتبه إليه أحد، لأنه أحد العاملين في الشركة والمنطاد.

رحلة دون مشاكل

قبل إقلاع المنطاد، دعي ضابطان من الأمن لتفتيش هنـدنبرغ، فلم يجـدا شيئا، عـرضت الحقائب على الأشعة X. ثم أمر القائد الجديد بروس، تلميذ ليهمان، وقائد غراف زيبلين ست عشرة مرة عبر الأطلسي. عبر المانيا، فشمـال فرنسا، والمانش، ثم اتجه غـربا. وقـد حجب الضباب البحر. وقدم الفطور للركاب في قاعة الطعام، فتخللته الأحاديث والضحكات. وكـان بعض الأطفال يلهون بإشراف راهبـة. فأخـذ الضابط كوبيس منهم سيارة ترسل شرارات.



□ الدكتور اكنر باني المنطاد. يبكي لدى سماعه النبأ.

حتى اليوم الثاني كان المنطاد يطير عبر ضباب كثيف. خلال الافطار أشر أحد المحركات على تعب فيه، فأوقف. وبدلت مضخة الزيت، وانطلق يعمل على أحسن ما يرام.

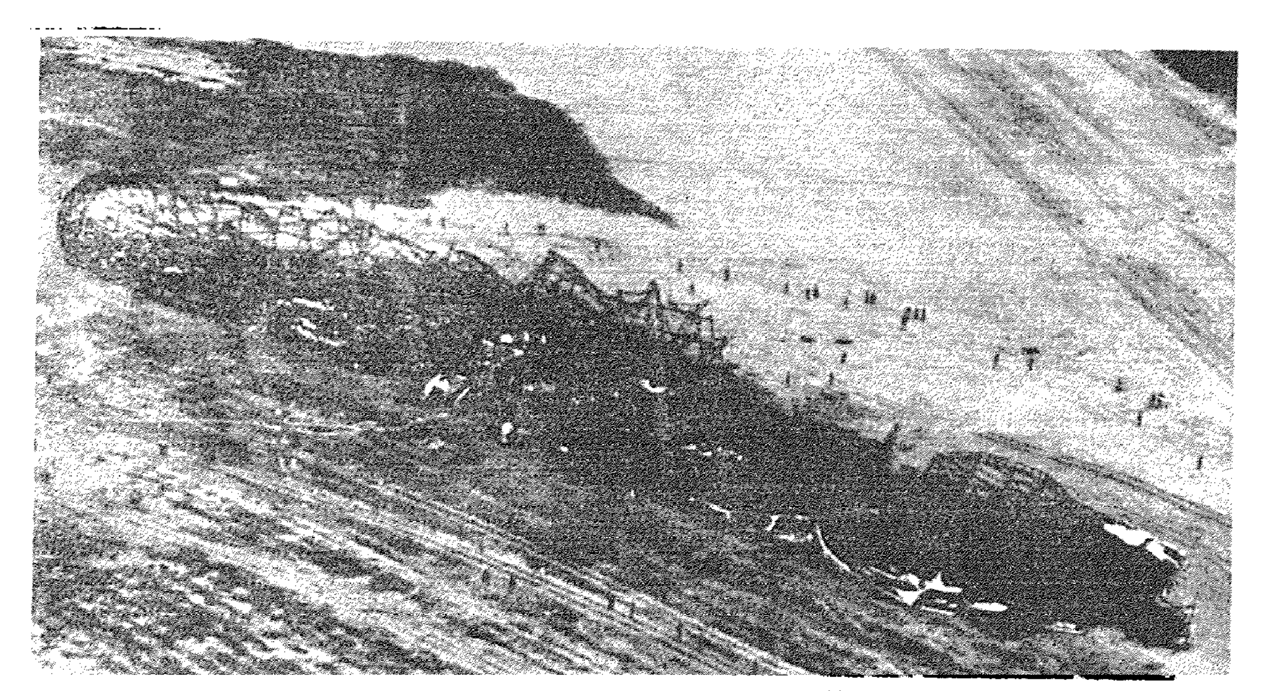
بعد الظهر، انجلت الغيـوم، وبدأ المحيـط، وبعض كتل الثلوج، وظهرت التيرنيوف فانحرف المنطاد إلى الجنوب الغربي.

المساء، أخذ ليهمان الأكورديون وأمتع ضيوفه بالعزف. وأنشدت أناشيد محبة. ثم ذهب الجميع إلى النوم. أما سبيهل فكان نومه قلقـا، ورأى أحلاما مزعجة، أخافت زميله في الغرفة.

فجر السادس من أيار، كان هندنبرغ يتخطى آخر مرحلة، ويطير فوق حدود الولايات المتحدة، ويبلغ بوسطن على علو ١٥٠ م. ظهرت نيويورك: حي التايمز، برودواي، بروكلين. وواكبت طائرات هندنبرغ فبدت كالذباب.

المأساة

الساعة ١٦. لاكهورست تحت مرمى النظر. ولكن عاصفة تجتاح المنطقة والسماء سوداء، ترسم عليها البروق خطوطا واضحة. والرعود تقطع أحاديث الركاب. ولكن هذا الوضع لا يزعج ضباط هندنبرغ. الساعة ١٨،١٢ أبلغت القاعدة القائد بروس، أن أرض المطار صالحة لهبوط



□ بقايا ركام منطاد هندنبرغ بعد الكارثة.

المنطاد، وأن العاصفة ابتعدت. غير أن الاتصال بالراديو كان يعاني تشوشا كبيرا. كان كل واحد من الطاقم في مكانه الخاص. على الأرض، اتخذ مدير عمليات المطار كل الاحتياطات الضرورية. ولا بد من العمل بسرعة لأن هندنبرغ لا يبقى طويلا على الأرض. وكان ٢٣١ ينتظرون أن تدلى حبال المنطاد لشدها إلى الأوتاد في الأرض. وكان جمهور من السينمائيين والاذاعيين ينتظر. الساعة ١٩,١٥ توقفت المحركات، وثبت هندنبرغ في الفضاء على علو ١٣٠ م. وبدأ بالهبوط وشرع في إفراغ خزانات الهواء. الساعة ١٩,٢١ دلي الحبل الأول، ثم الثاني. واندفع الرجال لتلقيهما.

لم يصدق الشهود عيونهم. لمحوا نورا أصفر شاحبا عند المؤخرة. تبعتها شعلة هائلة اجتاحت كل أطراف المنطاد، والقت به مزقا على الأرض. دقيقة واحدة كفت لالتهام كل هندنبرغ.

هرب كل الناس مذعورين. ثبت مذيع في مكانه، ذاهلا. أطلق سيلا من الكلام تقطعه العبرات. وسجل المصورون الحادث وهم ذاهلون، كما صوروا الناس الهاربين المذعورين، والذين ألقوا بأنفسهم من المنطاد، والذين كانوا يشتعلون على الأرض.

ظلت مقدمة المنطاد مرفوعة فترة، ثم انهارت دفعة واحدة. انتشرت بعد عشر دقائق رائحة كريهة، صادرة عن هيكل المنطاد. وأقبلت سيارات الاسعاف.

قتل ٣٦ شخصا بينهم القائد ليهمان وسبيهل. ولكن الكابتن بروس، الذي أصيب إصابة خطرة في وجهه، أنقذ.

عملية تخريب

اهتزت ألمانيا كلها للفاجعة التي أصابت عنصرا من عناصر اعتزازها. وأوقفت نشاطات شركة زيبلين، والرحلات التجارية. وتولت لجنة التحقيق. وبعد شهور من الاستجوابات والبحث، أعلنت أن هندنبرغ كان ضحية الكهرباء. فقد تسرب شيء من الهيدروجين، واتصل بشرارة كهربائية، فانفجر الغاز.

أما الكابتن بروس فيؤكد أن المنطاد كان ضحية عمل تخريبي.



الفلك

ومنازل الشمس في حركتها الظاهرية

الأستاذ نقولا شاهين

عندما نلقي نظرة على ما يجري حولنا في هذه الأيام، من تطورات في حياة مجتمعنا، لا نتمكن من التغاضي عن النقص الذي يحصل في حياتنا الثقافية، بينما تكثر المنشورات من كتب وصحف ومجلات، بدون أن يكون هناك ما هو جدير بالذكر في حقل تراثنا العلمي. ذلك التراث الذي كان ولا يزال معجزة للعالم فيما مضى. ولا يزال علماء الغرب ينقبون في المخطوطات التي تركها العرب والتي كانت أساساً لما نراه اليوم في حقول العلم المختلفة. أما أن العرب هم رواد عالم الأفلاك فهو أمر أثبته تاريخ العلم.

وفيما يلي دراسة للأستاذ نقولا شاهين عن منازل الشمس في حركتها الظاهرية وعن الدور الذي لعبه العلماء العرب في النهضة العلمية.

منازل الشمس في حركتها الظاهرية

تقطع دائرة البروج خط الاستواء السماوي في نقطتين. هما نقطة الاعتدال الربيعي فهي مركز الشمس في ٢١ آذار (مارس) وتكون الشمس في مركز الاعتدال الخريفي يوم ٢٣ أيلول (سبتمبر). وقد قسم الفلكيون دائرة مدار البروج إلى ١٢ قسما، كل قسم يرمز إلى ٣٠ درجة على تلك الدائرة، وأعطوا كل قسم اسما يتفق مع وضعه بين البروج. لذلك نراهم يطلقون على القسم الأول الذي يبتدىء عند الاعتدال الربيعي برج الحمل حيث يتساوى الليل والنهار. وفي هذا البرج تنزل الشمس من ٢١ آذار (مارس) إلى ٢٠ نيسان (ابريل). ثم تنتقل إلى برج الثور وتبقى هناك من ٢١ نيسان (ابريل) إلى ٢١ أيار (مايو). وبعدها تنتقل إلى برج الجوزاء وتحل فيه من ٢١ أيار (مايو) الى ٢١ حزيران (يونيو) حيث يحصل أطول يوم في السنة. وتعرف هذه البروج الثلاثة بمنازل الربيع.

اما منازل الصيف فهي السرطان أولا، وتعتد من ٢٢ حزيران (يونيو) إلى ٢٢ تموز (يوليو)، ثم الأسد وهنا تبقى الشمس من ٢٣ تموز (يوليو) إلى ٢٣ آب (أغسطس) وبعدها تنتقل الشمس إلى برج العذراء وتبقى فيه من ٢٤ آب (أغسطس) إلى ٣٢ أيلول (سبتمبر) عندما يحدث الاعتدال الخريفي ويساوى الليل والنهار.

وتنزل الشمس في الحريف في برج الميزان من ٢٤ أيلول (سبتمبر) إلى ٢٣ تشرين الأول (اوكتوبر)، وفي برج العقرب من ٢٤ تشرين

□ الأستاذ نقولا شاهين: استاذ في العلوم، معلم في الجامعة الاميركية في بيروت مدة ثلاثين عاما، مدير سابق لمرصد الجامعة الاميركية ممثل في مؤتمر الدقائق الذرية الذي رعته الأونيسكو في الجامعة السورية في دمشق سنة ١٩٥٦. تخرج على يديه طائفة من العلماء البارزين، وهو لا يزال يكتب إلى الآن علما بانه مولود في بلدة بشمزين في الكورة سنة ١٨٩٧.



□ الفلكيون العرب كما تخيلهم ابناء الغرب، في كتاب ظهر في البندقية (ايطاليا) في القرن السادس عشر. يبدو في الصورة بعض ما كان يستعمله الفلكيون العرب من اجهزة للرصد.

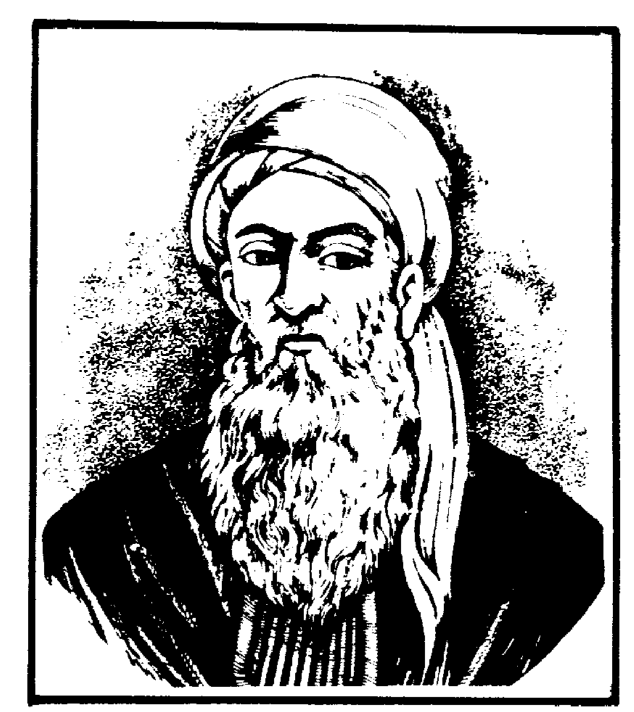
الأول (اوكتوبر) إلى ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر)، وفي برج القوس من ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) إلى ٢١ كانون الأول (ديسمبر) عندما يحصل أقصر نهار في السنة.

ومنازل الشتاء ثلاثة، أولها الجدي من ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) إلى ٢١ كانون الثاني (يناير) ويليها الدلو من ٢١ كانون الثاني (يناير) إلى ١٨ شباط (فبراير)، ثم الحوت من ١٩ شباط (فبراير) إلى ٢١ آذار (مارس)، حيث يتساوى الليل والنهار، فتكون الشمس قد أكملت دورتها السنوية وعادت إلى نقطة الانطلاق.

منازل الشمس على مدار السنة

إن ما نشاهده اليوم من ارتباط وثيق بين الأرض والشمس والقمر، هو قديم العهد وقد مر عليه نحو خمسة آلاف مليون سنة، بدون أن يطرأ تغيير جوهري على العوامل التي يقوم عليها هذا الارتباط، فالأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلومترا في الثانية، أو ١٠٨٠٠٠ كيلومتر في الساعة، وهذا يساوي ألف ضعف سرعة السيارات وعشرات أضعاف سرعة أحدث الطائرات، ونحن سكان الأرض نرافقها في هذه الرحلة السنوية حول الشمس، تشدنا إلى الأرض قوة الجاذبية فلا نفلت عن سطحها. وقد تمكن الفلكيون من تعيين الزمن لهذه الدورة بصورة دقيقة للغاية، وهي ٣٦٥ يوما و٦ ساعات و٩ دقائق و٩ ثوان.

علاوة على هذا تدور الأرض على نفسها كل ٢٤ ساعة، حاملة معها سكان الأرض ومنازلهم وكل ما على سطح الأرض من كائنات حية وغيرها. وذلك بسرعة تختلف باختلاف بعد المنطقة عن خط الأستواء، حيث تبلغ نحو ١٦٠٠٠ كيلومتر في الساعة. أما عند القطبين الشمالي والجنوبي، فأن سرعة الدوران بسبب دورة الأرض على نفسها فهي صفر، وتأخذ الازدياد كلما اقتربنا من خط الاستواء، أما النتيجة البارزة لهذه الدورة فهي الليل والنهار كما هو معروف، وقد تبين من حسابات دقيقة أن



ابن الهيثم: العالم العربي
الذي حل للعالم. مشكلة الأبصار.

اليوم قد ازداد بمقدار جزء من ألف جزء من الثانية في المائة والعشرين عاما الأخيرة التي مضت. فيما عدا هذا نعتبر طول اليوم ثابتا لا يتغير.

ويدور القمر حول الأرض دورة كاملة، ويعود إلى المركز الذي كان فيه أولاً، بالنسبة للنجوم، في مدة ٢٧ يوما وثلث اليوم تقريبا، ويقال لهذه المدة الشهر النجمي، فهو إذن يدور حول الأرض في المدة هذه وبذات الوقت يصحبها في دورتها حول الشمس. في هذه المدة يدور القمر على نفسه دورة كاملة فلا نتمكن من رؤية نصفه الخلفي، ويبقى ذلك النصف في الجانب غير المقابل للأرض.

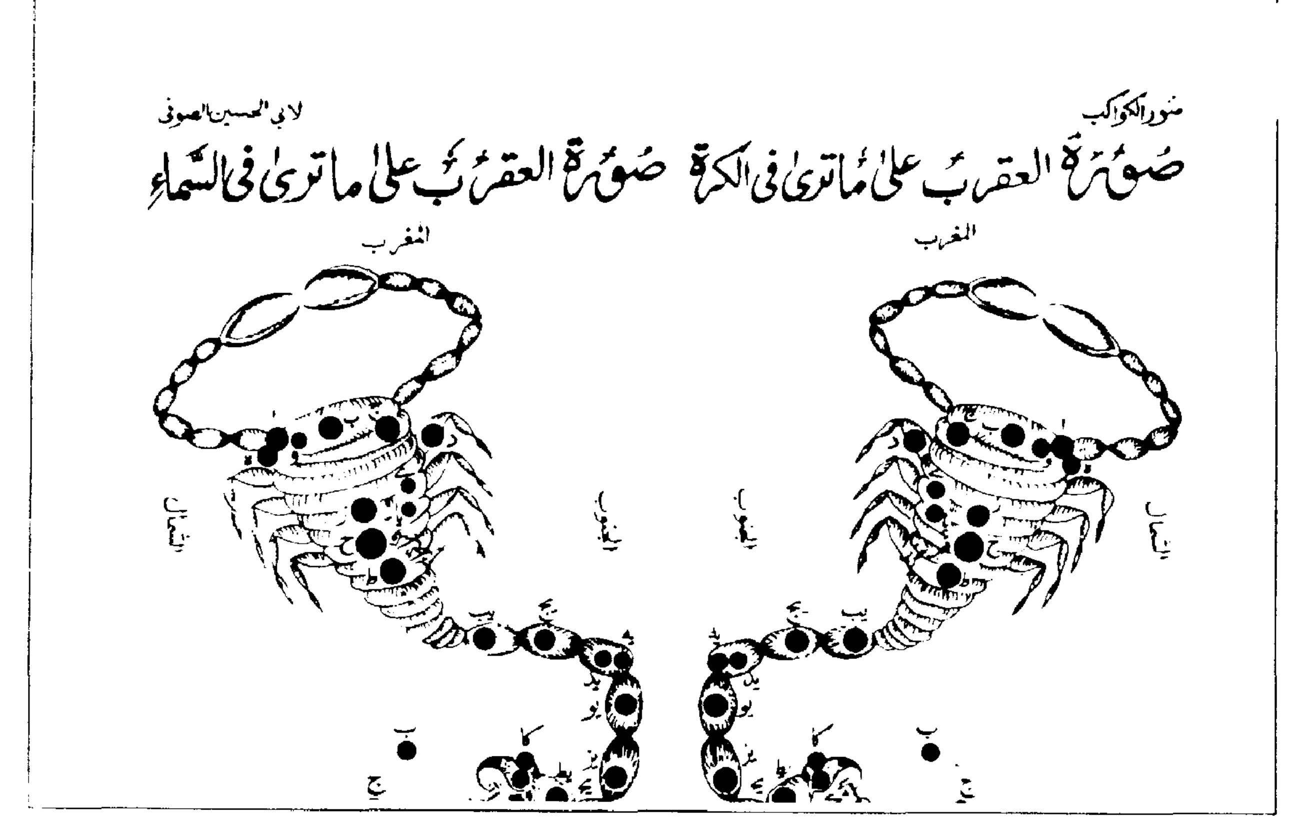
وقد تمكن علماء من تصوير نصف القمر الخلفي في عصرنا هذا بواسطة مركبات فضائية تدور حوله. أما وجوه القمر فانها تتوقف على المقدار المضاء من نصفه المواجه للأرض، أثناء مشاهدتنا إياه.

ولما كان سير القمر بين النجوم أسرع من سير الشمس، فهو يدركها ويجتازها في أزمنة تكاد تكون قانونية ومتساوية. وبما أن أوجهه تتوقف على مركزه الظاهر بالنسبة إلى الشمس، فالمدة بين وقت الهلال الفلكي والذي يليه هو الشهر القانوني ومعدله نحو ٢٩ يوماً و ١٣ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان، ومقدار اختلافه نحو ١٣ ساعة، وذلك بالنسبة إلى مباينة فلك القمر. لذلك لا يوجد شهران قمريان قانونيان من طول واحد.

ومن يراقب الشمس على مدار السنة، يجد انها تحتل مراكز مختلفة في القبة الزرقاء من وقت إلى اخر، يرافق ذلك تطورا على سطح الأرض تعرف بالفصول. أما القمر فانه يبدو لنا في أوضاعه المختلفة بشكل جلي كل شهر، فيصل إلى أبعد الحدود جنوبا، ثم إلى أبعد الحدود شمالا، ويرتد بعدها إلى حيث ابتدأ تقريبا. وقد توصل الأقدمون إلى تعيين مراكز الشمس والقمر في الأوقات المختلفة، بالنسبة إلى تجمعات النجوم المعروفة بالأبراج أو البروج. فجدير بنا أن نكون مطلعين على هذه المنازل، فالشمس والقمر هما رفيقان ملازمان لنا، والواجب يقضي بأن يكون الرفيق عارفاً بأمور رفيقه، خصوصا عندما يكون احد الرفيقين سبب حياة وأنسا للآخر، كما هي الحال بين الشمس والقمر والأرض.

دائرة البروج

الشمس هي مركز دوران الكواكب السيارة حولها، وليست حركة الشمس الظاهرة حول الأرض مرة واحدة كل سنة، إلا نتيجة دورة الأرض الحقيقية حول الشمس في تلك المدة. ولما لم يكن بامكاننا أن نشعر بحركة الأرض حول الشمس، أصبح لابد من اللجوء إلى حركة الشمس الظاهرة أو أي نجم آخر. فعندما تكون الأرض في برج الميزان، تظهر الشمس في برج الحمل. وعندما تنتقل الأرض إلى برج العقرب، تغير الشمس مركزها فتصبح في برج الثور، كما يتبين من رسم يجمع مدار البروج والأرض والشمس. ولما تكون الأرض في الميزان، نرى الميزان طالعا عند الغياب والحمل آفلا. وعند وصول الأرض إلى الحمل، نرى الحمل طالعا عند الغياب والميزان آفلا. لذلك تظهر نجوم أحيانا في الشرق، وغيرها على خط نصف النهار، وأخرى في الغرب عند غروب الشمس، فيبدو كأن للنجوم حركة من الشرق إلى الغرب مثل الشمس، أما الحقيقة فهي أن هذا حاصل عن حركة الأرض من الغرب إلى الشرق في دورتها حول الشمس. ويمكننا فهم هذه الظاهرة وتبسيطها، إذا تصورنا



عموداً في وسط بركة ماء، وقد وضع في أعلاه مصدر للضوء. فإذا دار إنسان حول البركة وجرب أن يعين مركز الضوء بالنسبة للأجسام وراءه، يجد أن الضوء يقع في مراكز مختلفة. فالإنسان هنا يمثل الأرض بدورتها حول الشمس الثابتة، والدائرة التي تجمع مراكز الضوء المختلفة، وترمز إلى دورة الشمس الظاهرية.

أما دائرة البروج التي تنزل فيها الشمس على مدار السنة، فهي منطقة في القبة الزرقاء، عرضها ١٦ درجة، يتوسطها ممر الشمس الظاهري. وهو يحتوي على اثني عشر برجاً تحمل أسماء حيوانات ما عدا برج الميزان. وفي دائرة البروج هذه تقع الكواكب السيارة الرئيسية وكذلك القمر على مدار السنة، وهي متوسطة بين صدر النصف الشمالي والنصف الجنوبي في السماء. ودائرة البروج هذه تميل على خط الاستواء السماوي بمقدار ٢٣ درجة و٢٧ دقيقة و٨ ثوان (حسب مقاييس عام ١٩٠٠) وينقص هذا الميل بمعدل ٥٠,٢ ثانية كل سنة تقريبا، إلى أن يصل إلى حد أدنى، ثم يعود فيزداد وتتكرر العملية إلى الأبد، وتتم الدورة في مدة ٢٥٨١٧ سنة تقريبا. فدائرة البروج إذن تساعدنا على معرفة موقع الشمس لكل يوم بالنسبة إلى خط الاستواء، فيكون الميل الأعظم في ٢١ آذار (مارس)، ثم يزداد تدريجيا شمالا إلى ٢٢ حزيران (يونيو)، فيبلغ ما بلغه جنوبا، ثم ينقص ويتلاشى في ٢٢ أيلول (سبتمبر). جميع هذه الأمور تبين لنا مقدار الجهود التي صرفها الأقدمون للوصول إلى هذه الدقة الفائقة في تعيين أزمنة الأحداث الفلكية.

لقد عرف الكثير من إلتقاء الأدب والعلم في الشعر العربي، فهناك مناسبات عديدة ذكر فيها الشعراء العرب بعض النجوم والبروج والكواكب السيارة، فألبسوا الأجرام السماوية حلة قشيبة زادت على نورها نورا وعلى جمالها جمالا. علاوة على هذا توفق أدباء العرب في نظم قواعد اللغة والشعر والبيان وتقاليد العرب شعرا، فسهل بذلك حفظ الوقائع لما في أبيات الشعر من ارتباط واتزان. ولم يقصر العالم الشيخ ناصيف اليازجي في هذا المضمار، فكتابه مجمع البحرين غني بهذه الأمور، ومنها بعض أبيات عن منازل الشمس حسب ترتيبها على مدار السنة، وهذه هي الأبيات:

مـن البـروج في السمـاء الحـمـل
تـنـزل فيـه الشـمس إذ تـعـتـدل
والثـور والجـوزاء نـعـم المـنـزلة
وسـرطان أسـد وسـنـبـله
كـذلك المـيـزان ثـم العـقـرب
قـوس وجـدي دلو حـوت يشـرب

وبرج النسبلة هو المعروف ببرج العذراء ايضا.

عربيان يكتشفان نجمين جديدين

تدل الاحصاءات في مرصد هارفرد بأميركا على أن عشرة نجوم جديدة تظهر كل سنة، مقدارها من القدر التاسع. أما نور نجم جديد عادي فانه يساوي ٥٠٠٠٠ ضعف نور الشمس، ونور نجم جديد جبار يساوي ٢٠٠ مليون ضعف نور الشمس.

ومن أغرب ما جاء في اكتشاف نجوم جديدة ان شابا عربيا وهو علي بن رضوان اكتشف نجما جديدا في عام ١٠٠٦ ميلادي، عندما كان يدرس في الفسطاط أحد مراكز القاهرة. كثيرون شاهدوا هذا النجم اللامع قرب الأفق، لكن عليا هذا كان الوحيد الذي عين مركزه بدقة بالنسبة إلى النجوم الأخرى وحدد موقعه في برج العقرب بالتفصيل.

ظلت المعلومات هذه محفوظة في مكتبة أحد الأديار قرب مدريد في اسبانيا، حتى قام بترجمتها إلى الانكليزية من العربية برنهارد غولدشتين أحد أساتذة التاريخ في جامعة يال في الولايات المتحدة الأميركية. اكب هذا الاستاذ على درس هذه الوثيقة العلمية فوجد أن النجم الذي شاهده علي كان من النوع الجبار بالقرب من برج العقرب، وأوصلته التفاصيل التي اعطاها علي إلى أن هذا النجم ظهر ليلة ٣٠ نيسان (أبريل) عام ١٠٠٦ ميلادية، أي ٥٥ عاما قبل وفاة علي. تابع غولدشتين دراسته فوجد سجلات في بلدان أخرى تشير إلى هذا النجم الجديد، لكنها لم تكن مضبوطة كما جاء في شرح بن رضوان. فقد ورد ذكر هذا النجم من قبل الصينيين في كوريا، وفي أوروبا كان ملاصقاً الأفق، كما أن راهباً في سويسرا وصفه كنجم من قدر فوق المعتاد، ظهر في الجنوب القاصي كأنه يتقلص ويتمدد وذلك لمدة ثلاثة أشهر. وبموجب تعليمات غولدشتين تمكن القائمون على مرصد يال في أميركا الجنوبية، من الحصول على صورة ربيع ١٩٦٥ ظهر فيها قرص من مقدار ٢٥ ثانية من قوس، هو نتيجة الانفجار الذي حصل منذ عشرة قرون. وبفضل أجهزة حديثة دقيقة صار التثبت من حدث هام قديم له اهمية كبيرة في فهم نشوء الكون.

وفي عام ١٠٥٤ وفي الرابع من تموز (يوليو)، انفجر نجم في الفضاء فجأة فتولد من ذلك نجم جبار، شاهده الفلكيون الصينيون ووضعوا تفاصيل دقيقة لذلك الحدث. وهكذا فعل المعاصرون اليابانيون. وبالرغم من أن هذا النجم الجبار ظل مرئياً لمدة ٢٣ يوما في النهار ولمدة ٦ أشهر في الليل، ظل المؤرخون الفلكيون محتارين لعدم وجود ذكر لهذا من قبل فلكيي أوروبا والشرق الأوسط.

وفي ٢٢ من شهر تموز (يوليو) عام ١٩٧٨ وجدت مخطوطة عربية تشير إلى نجم شديد اللمعان ظهر عام ١٠٥٤، وقد أكد أستاذ في معهد مساتشوستس أن هذه الظاهرة هي نجم جديد جبار.

وقد سجل هذا الحدث ابن بطلان وهو أحد علماء بغداد في الفيزياء كان يسكن في القسطنطينية، عندما حدث ذلك. لم يكن هذا فلكيا محترفا كما يتبين من المخطوطة، لكنه كان يخصص قسماً كبيراً من اهتمامه في درس النجوم، لاعتقاده بأن هناك علاقة بين الظواهر الفلكية والصحة العامة.

لوحات شعرية للنجوم

كان للشعراء ولع خاص بالنجوم، وساعدتهم لغتهم العربية على رسم لوحات شعرية خلدت مع تقلبات العصور، وها أن أبا العلاء المعري قد تأثر بما كان يسمعه عن النجوم المتغيرة، وظهورها بألوان مختلفة واشراقات ترفعها من قدر إلى قدر، فأعطانا صورة شعرية جميلة لا تقل رونقا عما نشاهده فعلا بالعين المجردة، وذلك عندما قال:

رب ليـل كـأنـه الصبـح في الحسن
وإن كـان أسـود الطيـلسـان


لابي الحسين الصوفي
صورة ساكب الماء على ما ترى في السماء
الشمال
المغرب
الجنوب

قد ركضنا فيه إلى اللهو لما
وقف النجم وقفة الحيران
ليلتي هذه عروس من الزنج
عليها قلائد من جمان
هرب النوم عن جفوني فيها
هرب الأمن عن فؤاد الجبان
وكأن الهلال يهوي الثريا
فهما للوداع معتنقان
وسهيل كوجنة الحب في اللون
وقلب المحب في الخفقان
يسرع اللحم في احمرار كما تسرع فـ
ـي اللحم مقلة الغضبان
ضرجته دما سيوف الأعادي
فبكت رحمة له الشعريان
ثم شاب الدجى وخف من الهجر
فغطى المشيب بالزعفران

«أما الشعريان فهما الشعري اليمانية أو الشعري العبور والشعري الشامية أو الغميضاء. والشعري اليمانية هي ألمع نجم في صورة الكلب الأكبر، والشعري الشامية هي ألمع نجم في الكلب الأصغر. وقد قيل أن سهيلا تزوج بالجوزاء وكسر ظهرها فهرب نحو الجنوب خوفا من أن يطالب بكسر الجوزاء. والشعريان هما أختاه. فعبرت شعري العبور المجرة إلى سهيل وبقيت الشامية أو الغميضاء في الشمال فبكت على سهيل وأغمضت عيناها».

وله في الكواكب السيارة:

زحل أشرف الكواكب دارا
من لقاء الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهـ
ـر مطف وإن زهت باتقاد
والثريا رهينة بانفراط الشمـ
ـل حتى تعد بالآحاد

وامرؤ القيس يقول في معلقته:

فيا لك من ليل كأن نجومه
بكل مغار الفتل شدت بيذبل
كأن الثريا علقت في نصابها
بأمراس كتان إلى صم جندل

ويقول ابن المعتز:

كأن الثريا هودج فوق ناقة
يحث بها حاد إلى الغرب مزعج
وقد لمعت حتى كأن بريقها
قوارير فيها زئبق يترجرج

كتاب
صور الكواكب الثمانية والاربعين
تاليف
الفلكي الشهير
ابي الحسن عبد الرحمن بن
عمر الرازي
المعروف بالصوفي
المتوفي سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م

على أثر إتلاف عدد كبير من المخطوطات العربية في غرناطة عام ١٤٩٩ ميلادي، أصبح عدد المخطوطات في العالم العربي قليلا، بالنسبة لما هو موجود في تركيا والعجم والهند، وهذا الكتاب هو نسخة لاحدى هذه المخطوطات، وقد طبع هذا الكتاب حديثا عام ١٩٥٤ ميلادي بمطبعة حيدر أباد ــ الدكن (الهند).

كان ذلك من أربعة عكوس عن نسخ قديمة من كتاب صور الكواكب، الأول من مكتبة توبقابو سراي استانبول، والثاني من مكتبة الفاتيكان، والثالث نسخة برلين، والرابع نسخة الغ بيك في المكتبة الأهلية في باريس، والخامس نسخة بحيدر أباد الدكن ــ الهند.

وكانت نسخة الغ بيك قد تمت بمناسبة المؤتمر الفلكي في سمرقند في عام ١٤٣٥ تقريبا، وكانت بألوان زاهية غاية في الجمال. وكانت الصور بالزي المونغولي السائد في ذلك العصر. وترمز كل صورة إلى أحد البروج مع المراكز الرئيسية التي ترى منها البروج.

وفي آخر الكتاب أرجوزة لابن الصوفي، وفيها ذكر لألف وعشرين كوكبا، منها ثلاثماية وستة وأربعون كوكبا على منطقة الفلك في طريق الشمس.

وهنا وصف الدب الأصغر في هذه الأرجوزة.

الدب الأصغر

أقربهن فاعلمن للقطب
كواكب هن على صورة دب

وهذه صورة الدب الاصغر على ماترى فى الكرة

المشرق

الشمال

النعش

الفرقدان ①

الجنوب

خارج الصورة

الجدى

المغرب

وهذه صورة الدب الاصغر على ماترى فى السماء

المشرق

الفرقدان ①

النعش

الجنوب

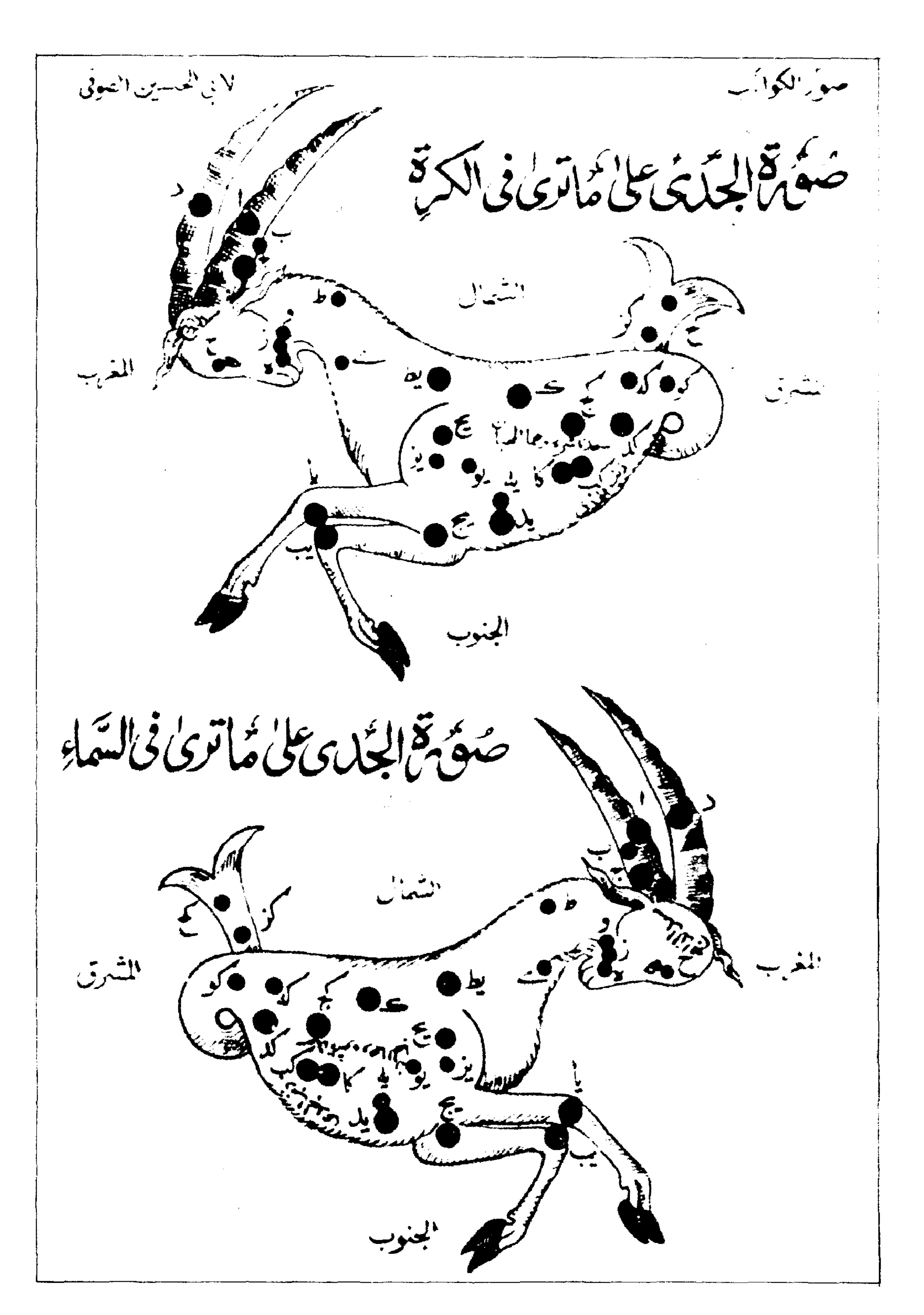
الشمال

خارج الصورة

قطب معدل النهار ①

① من ف

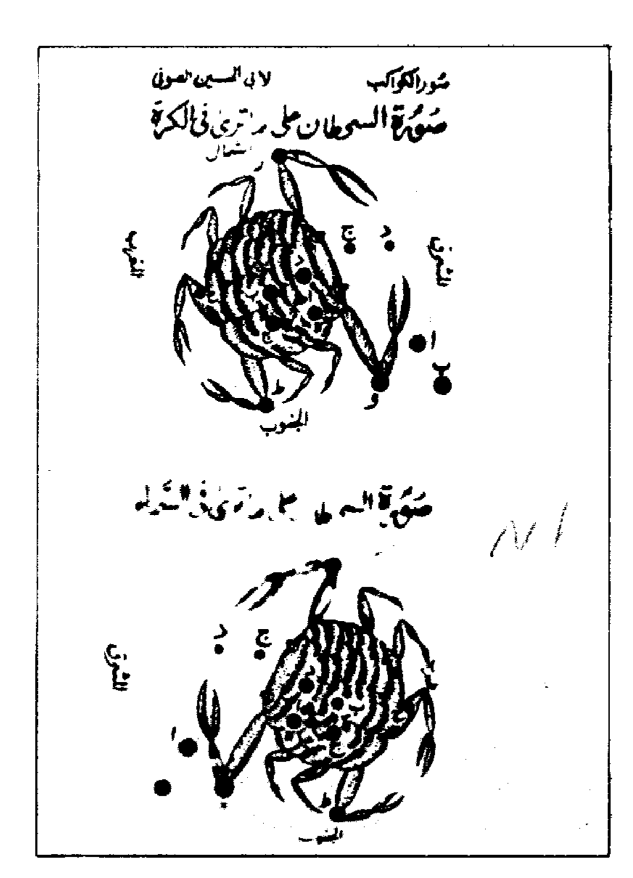
المغرب



صور الكواكب
لابي الحسين الصوفي
صورة الجدي على ما ترى في الكرة
الشمال
المغرب
المشرق
الجنوب
صورة الجدي على ما ترى في السماء
الشمال
المشرق
المغرب
الجنوب



هن إذا أحصيتهن سبعة
رسمن والقطب معا في بقعة
في جملة الصورة كوكبان
مقدار ما بينهن شبران
سمتهما العرب بفرقدين
ترى دوين أنور الاثنين
كويكب أخفى من الرسم أمحّى
تدعوه أعراب الفلا فأس الرحى
نعم ونجم تعرف القبلة به
هو من الدب فويق ذنبه
يعرف بالجدي عند العرب
من كان بالبعد ومن بالقرب
مداره مقارب للقطب
وهذه الأنجم عند العرب



تعرف أيضا بنات نعش
يوجدها الفرد القديم المنشي

فعسى أن تتبنى احدى الدول العربية طبع هذا الكتاب وتعميمه في الأوساط الخاصة والعامة، لأنه فخر للأمة العربية لا يزول مع زوال الثروات المادية كالزيت، والدليل على ذلك أن هذا الكتاب ظل خالدا بفضل الغرب الذي عرف قيمته.

لقد قيل إن انكلترا ربما تستغني عن احدى مستعمراتها، لكنها لا تتخلى عن الشاعر شكسبير. وأنا واثق من أن الدول العربية تتخلى عن أحد آبار الزيت ولا تتخلى عن الصوفي وابنه.

●

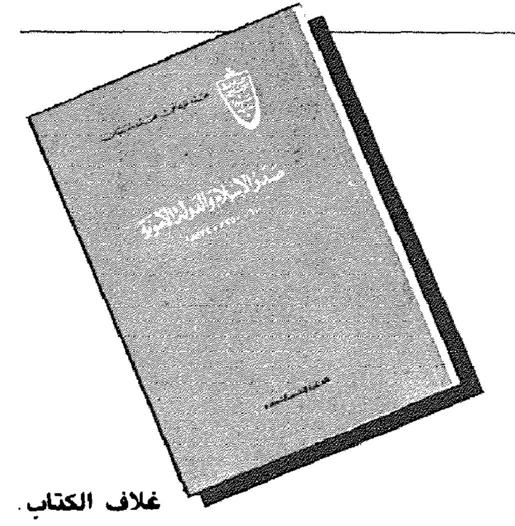


● ان الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد العرب، هي تكرار لجرائم هتلر ضد الشعوب الأوروبية.

(كازيميرز روزينيك)

● ليس الأشقياء هم الذين يسيئون إلى العالم. ولكنهم الأغبياء!

(الاكسبريس)


غلاف الكتاب

صدر الإسلام (*) والدولة الأموية

مراجعة: د. خالد زيادة



المحاولة التي قام بها المؤرخ محمد عبد الحي شعبان تهدف بشكل صريح إلى إعادة قراءة التاريخ الاسلامي وفق تفسير جديد. وقد نشر المؤرخ شعبان، الأستاذ في كامبردج العديد من الدراسات ابرزها: «الثورة العباسية»، و «الدولة العباسية والفاطميون»، ثم الدراسة التي بين أيدينا وتحمل عنوان: «صدر الاسلام والدولة الأموية». وهذه الدراسات الكتب صدرت جميعها في الأصل عن جامعة كامبردج، ثم ترجم كتاب الدولة العباسية والفاطميون ونشرته الدار الأهلية للنشر والتوزيع السنة الماضية، كما نشرت الدار ذاتها الكتاب الآخر ــ الذي نتناوله بالعرض الآن ــ والذي يشمل بدايات الاسلام حتى نهاية الدولة الأموية عام ٧٥٠م/ ١٣٢هـ.

ويمكننا أن نلخص طريقة المؤرخ شعبان في عمله على الوجه التالي: فهو يعمد إلى طرح التفاصيل الجزئية جانبا، كما أنه يهمل ذكر الأحداث مهما بدت هامة ومؤثرة إذا لم تكن ذات قيمة اساسية في متابعة السياق والتفسير، وعلى سبيل المثال، لا يذكر بشيء فتح أفريقيا على أيدي عقبة بن نافع، أو فتح الأندلس على أيدي طارق بن زياد. إن هذه الأحداث باتت معروفة للغاية، من حيث هي أحداث عظيمة وجليلة. ومن الضروري أن يكون القارىء على اطلاع على احداث التاريخ العربي ــ الاسلامي حتى يتمكن من قراءة عمل شعبان. فليس هدف المؤلف إعادة ترتيب ذكر هذه الأحداث، بل إعطاء تفسير جديد لسيرورة التاريخ.

هذا من حيث الطريقة، أما من حيث المضمون، فإن شعبان يبحث عن معنى للأحداث أكثر من بحثه عن الأحداث ذاتها. وهذا يعني أن فعل أو سياسة ينتهجها هذا الخليفة أو ذاك الأمير لا بد أن يكون لها تفسير واقعي أو مادي إذا شئنا. والمعنى لا يترافق بالضرورة مع الحدث الكبير فحسب، بل ربما كمن في أحداث أو إشارات لم يعرها المؤرخون اهتماما كبيرا. كذلك، فإن خلف الطابع الشخصي لهذا الخليفة أو ذاك لا بد من أن نبحث عن الدوافع الموضوعية. فالسياسة التي انتهجها عمر بن عبد العزيز مثلاً لا يمكن أن نردها فقط إلى تقواه، وهي حقيقة واقعة، بل إلى صراعات القوى الموجودة في زمنه.. إلخ.

والموضوع الذي يتناوله شعبان: صدر الاسلام والدولة الأموية بات معروفا إلى حد بعيد، وقد حظي بدراسات متعددة، عربية، إسلامية وأوروبية. من هنا

(*) محمد عبد الحي محمد شعبان: صدر الاسلام والدولة الأموية. الدار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ــ ١٩٨٣.

□ د. خالد زيادة: استاذ في الجامعة اللبنانية ــ معهد العلوم الاجتماعية ــ دكتوراه من السربون ــ باريس ــ ١٩٨٠. له مؤلفات عديدة ابرزها: اكتشاف التقدم الاوروبي والصورة التقليدية للمجتمع المديني، وتحقيقات ودراسات في مجلات عديدة.

صعوبته النسبية، إذا ما قارناه بغيره من موضوعات وحقبات التاريخ الاسلامي، ومع ذلك فإن المؤلف شعبان يلجأ إلى المصادر المعروفة إياها: ابن الأثير، الطبري، البلاذري، النوبختي، ابن سعد، ابن عساكر وغيرهم، فلا يمكن القول أنه يضع يده على مصادر لا يعرفها غيره من المؤرخين. إلا انه يعتمد الطريقة التي أشرنا إليها سابقا، وهي البحث عن معنى للأحداث، ويمكن ان نسمي منهجه في هذا المجال، بالمنهج «النقدي». ولست أدري ما إذا كان شعبان يتقبل هذه التسمية، إلا انني سأستخدمها هنا بالحدود التالية: يأخذ شعبان بالتأويلات التي درج المؤرخون الذين سبقوه، من عرب وأوروبيين، ودون أن يذكرها مباشرة يحاول أن يرد عليها بإعطاء تفسير مقابل لها. إن الطابع الذي يصبغ به شعبان مؤلفاته ليس سجاليا، اي انه لا يكلف نفسه عرض الآراء والتأويلات المناقضة ليرد عليها، ولكنه في سعيه إلى صياغة تفسيره الجديد يعمل على الرد على اطروحات شائعة دون أن يسميها بشكل متعمد.

ما هو العنصر الغالب في سير التاريخ لدى شعبان؟ يبدو من خلال قراءة هذا الكتاب، وكذلك من خلال قراءة مؤلفاته الأخرى ان شعبان يعير للعامل الاقتصادي الدور الرئيسي في تحريك القوى وتحديد مواقفها وصراعاتها وتحالفاتها. وهو أمر يمكن الاتفاق عليه بشكل عام، خصوصا ان التركيز عليه يهدف إلى إبعاد التفسيرات الشخصية للتاريخ. لكن هذا لا يعني أن شعبان ينتمي إلى «المدرسة الاقتصادية» في التاريخ، او «المدرسة المادية». على عكس من ذلك، فهذه المدارس التي تمثلها تيارات محددة، لا نرى شعبان ينتهي إلى واحدة منها بشكل خاص.

ومع ذلك فإن قراءة شعبان تعطي انطباعا واضحا حول إهماله للعوامل الايديولوجية وللعوامل الدينية، فتبدو غائبة عن تحليلاته وتفسيراته. وهذا ما يشكل إحدى القضايا التي لا يتطرق إليها تفسير شعبان الجديد كما يسميه. فإذا لم تكن العوامل الدينية والايديولوجية والثقافية كامنة في الأسس، فإنها ولا ريب ظاهرة في النتائج. وتبقى العملية الشائكة هي في ربط سير الأحداث مع التعبيرات الايديولوجية، والتي نمت بغزارة في نهاية الحقبة الأموية. لا نتحدث عنها عن نقص يعتري تفسير شعبان، وإنما نشير إلى مسألة، ربما، لم يكن يريد أن يتطرق إليها، مكتفيا بالبحث عن «معنى» للأحداث وتشابكها ونتائجها.

حاولنا، حتى الآن، أن نعرض طريقة شعبان في عمله، وليس عمله بحد ذاته. ومن الطبيعي فإننا، في هذا المجال المحدود، لا نستطيع أن نلخص كتابا يتناول فترة سديدة من أخصب فترات التاريخ الاسلامي. علما بأن هذا الكتاب قد كتب باختصار في الأصل. وطالما أن أحداث هذه الفترة المديدة معروفة للقراء العاديين المهتمين، فإننا سنتوقف عند أبرز المحطات التي توقف عنها المؤلف، والتي أعطاها تفسيرا جديدا، أو أنه قرأها قراءة لم نعهدها بوضوح لدى المؤرخين الآخرين.

يركز المؤلف على وضع مكة في نشأة الاسلام. وطالما أن المؤلف يبحث عن تاريخ البشر أنفسهم فهو يرى حسب تعبيره: «.. اما محمد (ص) القائد فقد انشأ مجتمعا يقوم على التعاون في ميدان العلاقات البشرية جميعها. مرة أخرى أنه لم يكن في هذا التنظيم الاجتماعي شيء جديد اساسا. لقد كان عربيا بكل تأكيد، مستندا إلى تقاليد عربية، موضوعا في قوالب أو أشكال تشريعية. إن التجديد الحقيقي في ذلك يكمن بكل بساطة في عبقرية الرسول التنظيمية. إنه استخدام القوالب أو الأشكال والتقاليد العربية المقبولة... هكذا ظلت القبيلة أساس الوحدة الاجتماعية ولو أنها كادت أن تذوب كليا ببناء الأمة الفوقي» (ص ٢٥).

إن اختيار أبي بكر الصديق بعد وفاة الرسول (ص) يتفق مع السير الطبيعي للأمور. ومع المحافظة على وضع قائم. إلا أن ابا بكر لم يكن يملك سوى الحد الأدنى من الصلاحيات الفعلية. فاختياره للخلافة لم يكن يعني اختيار قائد للأمة، يقول شعبان: «الواقع أن أبا بكر ظل طوال ستة اشهر خليفة لبعض وقته فقط بينما استمر يقوم بالأعمال التجارية إلى جانب ذلك. لقد كان عليه أن يحلب شياه جيرانه لتوفير دخل كاف له قبل أن ادركت الأمة انها بحاجة إلى قائد يصرف وقته كله لشؤونها. عند ذاك فقط صُرف له من بيت مال الأمة مبلغ كاف لمعيشته ومعيشة عائلته فقط. وليس ادل من هذا على سلطته الزمنية المحدودة».

والاندفاع في الفتوح كان لا بد منه. أما اختيار أبي بكر لخليفته الذي جاء مشروطا بموافقة الأمة، فكانت أمرا طبيعيا لم تمتع به عمر بن الخطاب من صفات ويتوقف المؤلف وقفة طويلة عند جملة الأحداث التي رافقت عهد عمر وما رافقه من فتوحات. إلا أن الشيء الذي نتوقف عنده هنا هو منصب الخليفة الثاني بالذات. فقد كان مشهورا بقوته وهيبته، إلا أننا لا نستطيع أن ننسب

«نجاحات» المسلمين إلى صفاته فقط. فالأحداث التي كانت تجري خارج الجزيرة العربية كانت تتقرر بمواقعها. وهذا يعني أمرين على اقل تقدير حسب استنتاجات المؤلف: إن الخليفة الثاني كان إلى حد بعيد ناصح وراشد أكثر مما هو حاكم فعلي، بسبب فقدانه لمؤسسات يعتمد عليها في حكمه. وإن حكومة المدينة لم تكن قادرة على ملاحقة التطورات التي كانت تحدث في أقاليم هي أوسع وأكبر.. ومع ذلك فإن عمر بن الخطاب الذي استطاع بشخصيته القوية ان يحتفظ بموقعه كناصح، لم يحجب ما حدث فيما بعد حين احتل منصبه من لا يتمتع بقوته.

كان بمقدور عمر بن الخطاب ان يسمي خليفته، ومع ذلك فإنه لم يشأ أن يفعل ذلك، بل ترك للمسلمين أن يقرروا الشكل الذي يريدونه، يقول شعبان: «لقد آثر عمر، كالرسول قبل وفاته، أن يبقي قضية القيادة مفتوحة وأن يترك للأمة ممثلة بلجنة الصحابة الستة البارزين، تقرير القضية بنفسها. إن التفسير المألوف، إذا صح، لا ينقص هذا التفكير لأن شخص الخليفة ونوع القيادة المطلوبة كان بطبيعتهما قضيتين متشابكتين لا يمكن الفصل بينهما.. (ص ٧٣).

إن الأحداث المتشابكة والمعقدة والمتلاحقة زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب تحتاج إلى قراءة متأنية، ومع ذلك فإن عنوانها الرئيسي هو نشوء مشاكل تفوق قدرة حكومة المدينة على حلها. من هنا فإن وصول معاوية إلى قمة السلطة، أتى كما هو في الواقع بعد حروب متلاحقة وكنتيجة طبيعية لسلسلة التطورات. فبعد اغتيال علي بن ابي طالب برز معاوية كقائد لا ينازع وصارت له قوة لا تقاوم. فوقع منصب امير المؤمنين في يديه دون معارضة بارزة (انظر ص ٨٩).

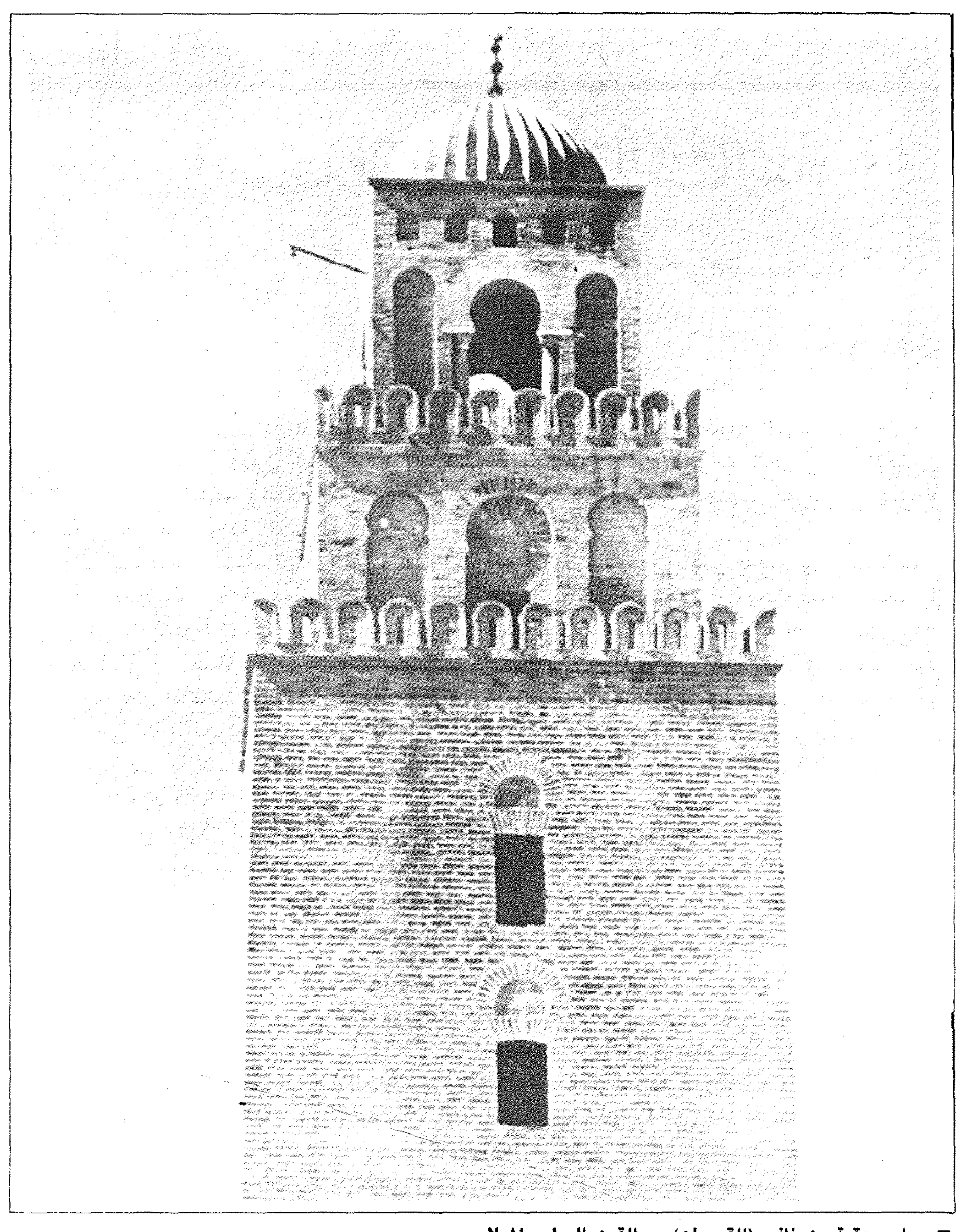
لقد حافظ معاوية على التوازنات العربية. إلا ان ولاء زعماء القبائل العربية لا يمكن أن يضمن في زمن ولده يزيد. هنا نشأت الحرب الأهلية الثانية والتي كان للحجاج بن يوسف أن يخمدها لصالح المروانيين. إنه عصر الحجاج حسب رأي المؤلف. الذي يمكن أن نلخص سياسته بأنها إخضاع للولايات وخصوصا العراق، عبر جيش سوريا العربي، اي الجيش المرواني، والفصل بين العرب والموالي، ومواصلة الفتوحات.

ومن قلب هذه السياسة نشأ الصراع القيسي ــ اليمني الذي ميز عصر بني أمية. ومن المهم أن نورد تفسير شعبان لهذا الصراع: «ومما له مغزاه أن الصراع بين اليمنية (قحطان) والقيسية المضرية لم يحدث إلا في هذه الفترة التي نتناولها. لم يكن صراعهما في عصر ما قبل الاسلام، ولا في حروب الردة، ولا في حروب الفتوح، أو في جميع النزاعات والاصطدامات التي جرت خلال الحرب الأهلية الأولى. ثم ان هذا الصراع سرعان ما انتهى بعد سقوط الأمويين وقيام العباسيين. ومن السخف ان نفسر هذا الصراع على أنه مجرد صراع قبلي وحسب. ومن السخف ايضا ان نعتبره نزاعا بين ما يدعى بعرب الشمال وعرب الجنوب. إن مثل هذه التعبيرات تسيء إلى الحقائق اشد الاساءة وتستخف بقدرة العرب على إدراك قضايا اكثر اهمية من قضايا المنافسات والحساسيات القبلية..» (ص ١٣٥ ــ ١٣٦).

وحسب راي شعبان فإن (القيسية) الحاكمة اعتمدت في حكمها على سياسة حروب الفتوح كعلاج شامل لجميع مشاكل الامبراطورية ولم تهتم بأمر اندماج السكان. أما (اليمنية) فقد ادركت مغزى التطور والاندماج وتمسكت به بديلا للنظام القيسي. وهذا ما يفسر لنا بشكل خاص سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي أوقف جميع الحملات العسكرية مع بيزنطة او في الشرق. وبدل سياسة التسلط العربي أحل سياسة التعايش الاسلامي بين جميع الأقوام. يقول شعبان: «لقد كان عمر الثاني مقتنعا بأن الأصول الايديولوجية لا القوات السورية هي التي يجب عليها ــ ويمكنها ــ أن تحافظ على وحدة الامبراطورية. إن مثل هذه الايديولوجية متوفرة في الاسلام، مقبولة ومعترف بها في جميع انحاء الامبراطورية، وكل ما عليه أن يفعله هو تطبيق مبادئها بدون تمييز لانشاء مجتمع على أساس الحقوق المتساوية مقابل المسؤوليات المتساوية. لقد كان هذا يعني انصهار جميع المسلمين، عربا وغير عرب، في مجتمع إسلامي واحد» (ص ١٤٩).

نكتفي بهذا المقدار من الأمثلة، مشيرين إلى أننا لم نشأ ان نعرض كل ما تضمنه الكتاب بقدر الاشارة إلى بعض ما يدلل على الأسلوب المؤرخ في قراءته للتاريخ الذي يدرسه. عارضين في النهاية الملاحظات التالية:

ــ لا بد لكل مهتم أن يتابع محاولات شعبان مهما اتفق معها او عارضها، فالتفسيرات التي يقدمها هامة وجريئة، كما انها تقلب بعض الأسس الدارجة لهذا من الضروري الاطلاع عليها بمقدار ما تثير من قبول او اعتراض.



□ جامع عقبة بن نافع (القيروان) ـــ القرن السابع الميلادي.

ـــ إن بعض التفسيرات التي يقدمها تبدو مثيرة وهامة بالرغم من عدم إثباتها إثباتا نهائيا، مثل أصل القراء، فإذا اتفق المؤرخون على اعتبار أصل تسميتهم تعود إلى القراءة، فإن شعبان يعجب لعددهم الهائل ويعتبر أن أصلهم من القرى حيث يسكنون أو يعملون. وهذا التفسير وما يشبهه يحتاج إلى جهد أكبر لاثباته.

●

الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب

د. الياس زين



إنعقدت «الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب» في مدينة الكويت ما بين ١٠ و ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٣. ونظم الندوة قسم التراث العربي في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بالجمهورية العربية السورية.

وقد استغرق الاعداد لهذه الندوة سنتين وذلك لانجاز البحوث التي قدمت في اجتماعاتها. وبلغ عدد البحوث المقدمة خمسة وستين بحثاً علمياً. ومن هذه البحوث ١٥ بحثاً تناول القضايا التي تتعلق بالمخطوطات والدراسات العربية حول أصوليات علم النبات وتصنيفاته واستخداماته الاقتصادية، و ٢٠ بحثاً علمياً تتناول دور العلماء العرب والمهندسين والمخترعين في تطوير نظم الارواء ووسائل انتقالها إلى أنحاء العالم، و ٢٠ بحثا علميا آخر تعالج الموضوعات المتصلة بنظم الفلاحة (الزراعة) العربية وأساليبها وطرائقها التي كانت سائدة في الوطن العربي وتاثيرها على العالم الخارجي، بالاضافة إلى ١٠ بحوث علمية عامة أخرى حول موضوعات الندوة السابقة التي انعقدت في العام ١٩٧٩.

وشارك في أعمال الندوة وبحوثها عددا كبيرا من العلماء العرب والأجانب، من غير دولة عربية وأجنبية. منهم ستة علماء من دولة الكويت، واثنان من المملكة العربية السعودية، واثنان من اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، وعالم واحد من دولة البحرين، واثنا عشر عالما من مصر، وثلاثة علماء من تونس، واثنان من لبنان، وتسعة من العراق، وعشرون من سورية.

وشارك في الندوة أيضا أغلب الجامعات العاملة في العالم العربي، بممثلين عنها.

واعدت اللجنة المشرفة على الندوة كتابا، يضم ملخصات البحوث التي قدمت في الندوة في اللغتين العربية والانكليزية. ويقع الكتاب في ١٨٨ صفحة من الحجم المتوسط.

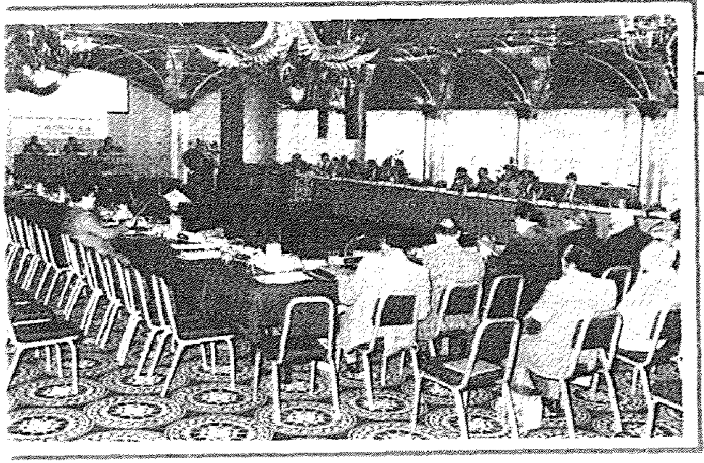
ومن الجدير بالذكر أن الندوة العالمية لتاريخ العلوم عند العرب، ندوة تنعقد مرة واحدة كل اربعة سنوات. وعقدت الندوتان السابقتان في مدينة حلب، سوريا، في السنة ١٩٧٦ وفي السنة ١٩٧٩. وتناولت الندوتان استطلاعاً مسحياً للجهود العربية في مجالات تقدم العلم بكل فروعه.

ومع تزايد الاهتمام بالتراث العلمي العربي في كثير من الأوساط الأكاديمية انتقلت الندوة من العموم إلى الخصوص، وكان هذا المؤتمر التخصصي الأول الذي عقد في الكويت في أواخر العام الماضي.

□ د. الياس زين: رئيس قسم اللغة الانكليزية وآدابها في الجامعة اللبنانية سابقاً، يعمل حالياً كباحث في دولة الكويت.



□ رئيس الجلسة ومقررها والباحث.



□ الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب

واستقر راي المؤتمرين على ان تعقد الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب في موعدها الدوري، اي بعد أربع سنوات من الآن في السنة ١٩٨٧. وترك الأمر لمعهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب تحديد مكانها والموضوع الذي تتناوله.

ومن خلال البحوث التي قدمت إلى الندوة تم مناقشتها في ثماني جلسات، خلص المشاركون من واقع النقاش العلمي إلى إصدار توصيات في مجال علم النبات والري والفلاحة. كما أصدروا توصيات عامة برصد المخطوطات العلمية العربية بشكل شامل في إطار أسلوب علمي تتكاتف فيه الجهود وتتضافر، بحيث يتناول هذا الرصد الكتب العلمية الخالصة أو ما يدخل في ثنايا المخطوطات والموسوعات.

وتوصي الندوة بالعمل على جمع التراث العلمي العربي عن طريق المؤسسات العلمية والأكاديمية، على أن تتم فهرسته وتصنيفه والتعرف به وتيسر الانتفاع به للباحثين والدارسين.

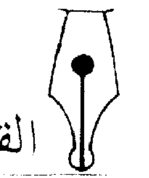
وتدعو الندوة إلى إصدار فهرس جامع لما تم طبعه من تراث علمي على ان يوجد سبيل يجمع الجهود في هذا المجال ويضمن الشمولية ويصون الجهود من التكرار والتبديد.

وتحث الندوة المؤسسات المسؤولة عن نشر التراث أن تعطي الجانب العلمي حظه من الاهتمام وتقوم على نشر المخطوطات المحققة في مجالات العلوم العربية والاتجاه إلى إعادة طبع الكتب التراثية في مجال العلوم وبخاصة ما هو منها في حكم النادر أو ما وجدت له من مخطوطات جديدة تضيف إليه أو تقوِّم نصه.

وتوصي الندوة الاهتمام البالغ بفهرسة الكتب التراثية العلمية فهرسة تكشف عن محتواها وتضيء جوانبها وتيسر الوصول إلى المعلومات في ثقة ووضوح على أن يتم ما امكن ـــ لهذا التراث ـــ بالاضافة إلى الاهتمام بالترجمة لخدمة التراث العلمي العربي سواء الترجمة إلى اللغة العربية أو منها إلى اللغات الأجنبية الحية لتحقيق الاستفادة من جهود كبيرة أصيلة غير عربية وللتنويه بقيمة هذا التراث عالميا.

كما توصي الندوة بحث المسؤولين عن التعليم الجامعي وما مستواه على الاهتمام بالتراث العلمي العربي. فتخصص له مقررات في الكليات ذوات العلاقة على أن يولي الأساتذة الجانب التراثي ما هو له أهل من الدراسة ويعرفوا طلابهم به وبقيمته ويجعلوا له نصيبا من بحوثهم.

وتدعو الندوة وسائل الاعلام في الدول العربية إلى الاهتمام بقضايا التراث العربي وإبراز الاسهامات التي أسدتها الحضارة العربية للحضارة الانسانية والاستفادة عن وعي وبصيرة بالأساليب الحديثة، كالحاسبات (الكمبيوتر) في حفظ التراث وتخزينه والاستفادة منه في استرجاع المعلومات حسب خطط مدروسة بناءة.



أمير الماء مجاهد العامري

مؤسس مملكة دانية والجزائر الشرقية في الأندلس

محمد عبد العزيز عثمان

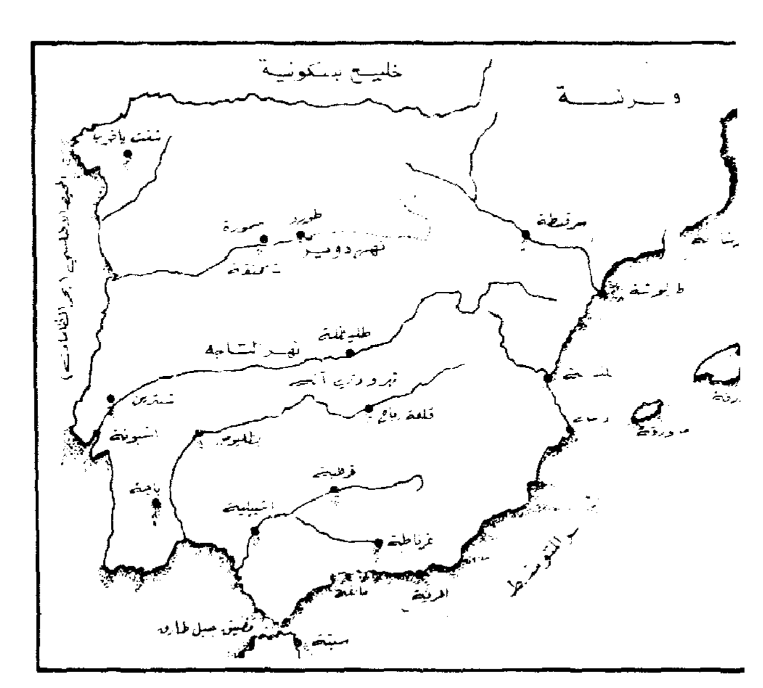


مجاهد العامري من الشخصيات البارزة التي كان لها دورا «كبيرا» على الساحة الأندلسية في فترة سادها الاضطراب والتمزق السياسي هي فترة ملوك الطوائف (٤٠٠ ــ ٤٨٤هـ/ ١٠٠٩ ــ ١٠٩١م). وهو مجاهد بن يوسف بن علي العامري رومي الأصل من الفتيان الصقالبة حسب رأي أغلب الروايات، نشأ وتربى في بلاط المنصور بن أبي عامر الذي تولاه بالعناية والرعاية وجعله من مواليه ولهذا ينتسب كما ينتسب غيره من الموالي إلى العامريين وإذا تتبعنا طفولة مجاهد نلاحظ أنه قد ظفر بتعليم واسع في بلاط المنصور، وهذا التعليم شمل التدريب على استعمال السلاح ونظم الفروسية في القتال من جهة والتزود بالعلم والثقافة من جهة أخرى، فقد كان شغوفا بالدراسة والاطلاع فانكب على حفظ القرآن الكريم ودراسة الأحاديث النبوية وقراءة كتب اللغة والأدب، حتى استطاع أن يضرب فيها بسيف وافر، واستمر حبه للعلم ينمو مع نمو جسمه، فقد استمر في طلب العلم من صباه حتى اكتهاله، كما يقول ابن الخطيب. وما خلا جوانب تحصيل مجاهد الثقافي والعلمي نرى المصادر العربية تنقصها الاحاطة بحياة مجاهد حتى يظهر إسمه ويبرز على مسرح الأحداث السياسية عند اشتداد الفتنة بعد سقوط الخلافة الأموية وضعف دولة أبناء المنصور بن أبي عامر، حيث نزح هو ومجموعة من الزعماء العامريين إلى شرقي الأندلس وأسسوا مجموعة من الممالك. واستقر المقام بمجاهد في ثغر دانية ذات الموقع الاستراتيجي المهم، حيث أسس دولة امتدت إلى الجزائر الشرقية (منورقة) ميورقة، يابسة). واستطاع الاستقلال عن نفوذ حكومة قرطبة، ولكي يؤكد عدم اعترافه بشرعية خلافة المستعين (الذي وصل إلى الحكم بمساعدة البربر) فقد عمد إلى تنصيب خليفه في دانية وهو أحد الفقهاء الذي كان ينتسب إلى بني أمية وإسمه عبيد الله بن الوليد المعيطي، وشيء طبيعي أن المعيطي لم يمتلك من السلطة إلا إسمها فقط.

توسع مملكة دانية:

بعد آن وطد مجاهد حكمه في دانيه والجزائر الشرقية بدأ يتطلع إلى مد نفوذه على جزر البحر المتوسط الأخرى وبخاصة جزيرة سردانية التي حاول العرب المسلمين مرات متعددة السيطرة عليها، لكنهم لم يفلحوا بسبب استماتة سكانها في الدفاع عنها لاعتزازهم بحريتهم. فقد كانت الجزيرة تحت حكم الدولة البيزنطية ثم خضعت لسيطرة اللمبارد الايطاليين بعد ضعف الدولة البيزنطية، ثم حكمها الافرنج بشكل إسمي منذ القرن الثامن الميلادي وينوب عنهم في حكم الجزيرة، أمراء محليون يتمتعون باستقلال فعلي، فأبن الخطيب يقول: «إن فيها ملوكا أربعة من قبل صاحب الأرض الكبيرة». وبقي سكان الجزيرة محافظين على استقلالهم ويتلقون المساعدات من الجمهوريات الايطالية وملوك فرنسا والمانيا.

بعد خمسة أشهر من سيطرة مجاهد على جزائر البليار، بدأ مجاهد يعد العدة لغزو جزيرة سردانية، فحشد اسطولا كبيرا مكونا من مائة وعشرين مركبا بين كبير وصغير ومعه ألف فارس.



□ خارطة الأندلس حيث تبدو دانية، مقر العامري.

ابحر مجاهد باتجاه جزيرة سردانية التي كانت تستغرق الرحلة إليها يومئذ مسيرة ثمانية ايام في البحر، وصلت طلائع السفن إلى خليج كالياري في جنوب الجزيرة في ربيع الأول سنة ٤٠٦هـ = أيلول ١٠١٥م، وما أن بدأ جند مجاهد بالنزول على أرض الجزيرة حتى تصدى لهم سكان الجزيرة، فوقعت معركة فاصلة لم يتمكن سكان المدينة من الصمود فيها ووقع عدد كبير منهم قتلى وأسرى، وكان في مقدمة قتلاهم قائدهم المسمى مالتو، واستطاع مجاهد أن يحتل مناطق واسعة من الجزيرة وينفذ إلى المناطق الجبلية الوعرة منها، إلا أنه لم يتمكن من احتلالها وشرع ببنائها وانتقل إليها بأهله وولده، لكنه بقي حذرا من سكان المدينة الذين استمروا في مقاومته. ولكي يقطع كل مساعدة تقدم إلى الجزيرة من الجمهوريات الايطالية، سيطر على سواحل كورسيكا ومن ثم مدينة ليوني التي تعتبر من ثغور البحر التيراني مما دفع هذه الجمهوريات التي أحست باقتراب الخطر العربي إلى التحالف، فيما بينها، وقبل أن تقوم هذه الجمهوريات بعمل عسكري ضد مجاهد عمد إلى مهاجمة جمهورية بيزا لكنه لم يستطع احتلال مدينة بيزا بسبب المقاومة العنيفة التي لقيها فآثر الانسحاب إلى مدينة لوني التي كان قد اتخذها قاعدة للهجوم. وهنا عمدت الجمهوريات المتحالفة (جمهورية بيزا وجمهورية جنوه) وبمساعدة البابا إلى القيام بهجوم معاكس لاستعادة مدينة لوني وفعلا تمكنوا من استعادتها سنة ١٠١٦م بعد معركة بحرية فاصلة هزم فيها مجاهد العامري والتجأ إلى جزيرة سردانية التي كان قد حصنها واختط فيها مدينة للبقاء فيها كما أشرنا، ولكن الجمهوريات المتحالفة واصلت هجومها باتجاه سردانية وبمساعدة كل من الافرنسيين والألمان يقول ابن الخطيب: «وتداعى ملوك الأرض الكبيرة واستجاشوا وبلغه (أي مجاهد) من أمرهم ما لا يطيقه». فقد عبر أسطول ضخم البحر التيراني متجها إلى سردانية لمحاربة مجاهد العامري، وقد وقعت في أول الأمر معركة بحرية سنة ٤٠٦هـ وأخرى عند سواحل جزيرة سردانية في نفس العام، وهنا شعر مجاهد بحراجة موقفه، ذلك أن العرب المسلمين وجدوا أنفسهم بين عدوين: الأساطيل المهاجمة من جهة البحر وأهالي الجزيرة الذين دب الحماس في نفوسهم فانقلبوا ثائرين. هذا من جهة ومن جهة أخرى واجهت مجاهد صعوبة أخرى هي اختلاف أهواء الجند وتمردهم عليه، خاصة أولئك الذين كانوا من أصل إسباني، وهكذا كانت الحالة المعنوية في جيش مجاهد الذي شعر بضعف موقفه، فقرر الاجلاء عن سردانية بأقصى سرعة قبل وصول الأسطول المهاجم إليها فأمر بالابحار بسرعة إلى عرض البحر، وهنا تدخلت قوى الطبيعة ضده فهبت ريح عاصفة دفعت مجاهدا إلى الالتجاء إلى مرسى على ساحل الجزيرة على الرغم من نصيحة قائده البحري المسمى بأبي خروب الذي نصحه بعدم الالتجاء إلى المرسى، فأطبق على أسطول مجاهد الأعداء، فجعلت الريح تقذف مراكب المسلمين مركبا مركبا إلى الساحل والروم وقوف لا شغل لهم إلا الأسر والقتل. وكان ممن وقع في الأسر نساء مجاهد وبناته ومنهم زوجته النصرانية وابنه علي. ولم ينج من أسطول مجاهد الضخم سوى بضع سفن شقت به عرض البحر مسرعة نحو مياه الأندلس لقد خسر مجاهد المعركة ونجا بنفسه عائدا إلى دانية بخمسة مراكب وأربعة قوارب. وقد وقعت هذه الهزيمة بمجاهد العامري سنة

٤٠٧هـ = ١٠١٦م، وكانت المدة التي قضاها مجاهد وجيشه في سردانية نحو عشرة أشهر.

وهكذا تحطم هذا المشروع الضخم ولم ينجح العرب المسلمون في الاستقرار في جزيرة سردانية، كما أتيح لهم الاستقرار من قبل في صقلية ولو نجح مجاهد في مشروعه واستقر في سردانية لتغيرت صورة وواقع هذه الجزيرة، فكما هو معلوم فإن العرب ما أن يحلوا في مكان ما حتى ينقلوا إليه حضارتهم من علوم وفنون وعمارة وهذا ما حصل في جزيرة صقلية الايطالية.

وقد انصرف مجاهد بعد عودته إلى مدينة دانية إلى تنظيم شؤون مملكته ووجه همه إلى افتكاك من أسر من نسائه وبناته وولده علي الذي تمكن من فدائهم جميعا ما عدا ابنه عليا الذي بقي في الأسر إلى سنة ٤٣٢هـ حيث افتداه بمال كثير. ثم اتجه إلى المشاركة في أحداث الأندلس مرة أخرى. بقي مجاهد العامري في حكم دانية والجزائر الشرقية إلى أن توفي بمدينة دانية سنة ٤٣٦هـ = ١٠٤٤م، وخلفه من بعده ابنه علي الذي كان قد افتداه من الأسر وتلقب بإقبال الدولة، وسار على نهج أبيه وخطته إلى أن تمكن جاره وصهره المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة من الاستيلاء على دانية بعد حصارها وإجبار علي على التسليم له وذلك سنة ٤٦٨هـ. أما الجزائر الشرقية فقد ظل حكمها في أسرة مجاهد إلى أن احتلها المرابطون سنة ٥٠٨هـ = ١١١٤م.

لم يكن مجاهد العامري رجل حرب وسياسة فحسب بل كان رجل علم كذلك حتى لقب بفتى أمراء دهره وأديب ملوك عصره، يقول عنه ابن عذاري بأنه كان ذا نباهة ورئاسة زاد على نظرائه من ملوك طوائف الأندلس بالأنباء البديعة منها العلم والمعرفة والأدب وكان مع ذلك من أهل الشجاعة والتدبير والسياسة. لذلك أصبحت مركز استقطاب في عهده للعلماء والأدباء والشعراء يقول عنه ابن حيان: «وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من نظرائه وأتت إليه العلماء من كل صقع فاجتمع بفنائه جملة من مشيختهم ومشهور طبقاتهم كأبي عمر والمقرىء وابن عبد البر وابن مَعْمَر اللغوي وابن سيدة، فشاع العلم في حضرته حتى فشا في جواريه وغلمانه، فكان له من المصنفين عدة يقومون على قراءة القرآن ويشاركون في فنون العلم يجملونه وبها ويشرفون دولته».

كل هذا يؤكد أن مجاهدا قد جمع الشجاعة والفروسية إلى جانب الثقافة والعلم إلى الحد الذي ناظر فيه علماء عصره ولهذا كان يلقب بذي الوزارتين وبأبي الجيوش. كما أن غاراته على الشواطىء الايطالية والفرنسية جعلت منه الروايات الأوروبية شخصية خيالية مروعة، فهو موجيت أو موجيتو القرصان المرعب ومؤسس مستعمرة قطاع العراق في سردانية، وهذا يدل على ما تركه إسم مجاهد في نفوس سكان السواحل والجزر من الخوف والرعب الذي دام لفترة طويلة حتى بعد وفاته. ●

المصادر والمراجع:

(١) ابن عذاري المراكشي: البيان المقرب في أخبار المغرب. الجزء الثالث، نقلا عن شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، القاهرة ١٩٣٩.

(٢) احمد بن يحيى الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الأندلس. طبع في مدينة مجريط (مدريد) ١٨٨٤م.

(٣) محمد بن احمد المقري: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الجزء الرابع، بيروت ١٩٤٩.

(٤) محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة ١٩٥٢.

(٥) عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون. (العبر)، المجلد الرابع، بيروت ١٩٥٨.

(٦) عز الدين ابن الأثير: الكامل في التاريخ. المجلد التاسع، بيروت ١٩٦٦.

(٧) لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الاعلام. تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٥٦.

(٨) خير الدين الزركلي: الاعلام. الطبعة الثانية، الجزء السادس، القاهرة ١٩٥٥.

(٩) محمد عبد الله عنان: دول الطوائف. القاهرة ١٩٦٩م.

(١٠) كليليا سارنلي تشركوا: مجاهد العامري قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري، القاهرة ١٩٦١.

(١١) شكيب ارسلان: تاريخ غزوات العرب. بيروت ١٩٦٦.

كيف تصبح رئيسا للولايات المتحدة ؟

آرت بوكوالد



سألني أحد الشبان ذات يوم سؤالا مثيرا، فقال: «هل صحيح أن كل من يولد في الولايات المتحدة ويشب فيها يمكنه أن يكون رئيسا لجمهوريتها؟».

فأجبته: هذا صحيح يا ولدي، إذا كان لديه مالا كافيا لاجتياز التصفيات الأولى للمرشحين.

● وهل يحتاج المرء إلى مال كثير؟

ــ إنك تحتاج لمال كثير لخوض انتخابات الكونغرس. ولكنك تحتاج للملايين لانتخابات الوصول لحديقة الورود (حديقة في البيت الأبيض).

● وكيف يمكن للمرء تدبير أمر الحصول على المال؟

ــ حسنا، ينبغي عليك أولا أن تجتمع مع المفاتيح الانتخابية في أجنحة الفنادق، وأن تتناول الطعام مع المدراء التنفيذيين للمؤسسات، وتلتقي مع زعماء نقابات العمال في نوادي الغولف. وسيطرح كل هؤلاء عليك أسئلة، وينبغي عليك أن تجيبهم بالاجابات التي يحبون سماعها، ثم تأمل بعد ذلك أن يعطوك المال اللازم لتصبح رئيسا للولايات المتحدة.

● وهل يعطونك كل المال اللازم؟

ــ كلا، فكل واحد منهم لا يستطيع أن يعطيك إلا ألف دولار عن نفسه وألف دولار عن زوجته. غير أن بعضهم لا يعتمد عليه كثيرا هذه الأيام بحيث لم يعد بإمكانك ضمان دفعه للألف دولار التي من المفروض أن يدفعها عن زوجته.

● ولكن، إذا كان الواحد من هؤلاء لا يدفع أكثر من ألف دولار، الا ترى أن من يسعى للرئاسة سيتعين عليه مقابلة الكثيرين؟

ــ إنك لا تقابل في أجنحة الفنادق، وغرف الطعام التابعة للمؤسسات، وملاعب الغولف الناس الذين يدفع الواحد منهم ألف دولار، فهؤلاء الناس سيقوم كل واحد منهم بإجراء العديد من المكالمات الهاتفية لأناس آخرين ممن يدفع الواحد منهم ألف دولار. وسيكون عليك أن تأمل أن يتصل كل واحد من دافعي الألف دولار بالاتصال بأصدقائه ليدفع كل منهم مبلغا مماثلا وهكذا إلى ما لا نهاية.

● وماذا يقول الواحد منهم حين يتصل بصديق له من أجل هذه الغاية؟

ــ ما اسمك يا ولدي؟

● آرتشي دانيلوف يا سيدي.

ــ حسنا، ما ستأمله هو أن الواحد من هؤلاء سيتصل بصديقه ليقول له: التقت مجموعة صغيرة منا بآرتشي دانيلوف الليلة الماضية وهو يرى الأمور كما نراها.

● ولكن، كيف يعلمون أنني أفكر مثلهم؟

ــ لأنك أخبرتهم بذلك في الليلة السابقة.

ولنفترض أنك التقيت بعمال مناجم الفحم الحجري، فقبل الاجتماع بهم سيكون مدير أعمالك للشؤون السياسية قد أوجز لك موقفك من موضوع الفحم الحجري بحيث يلتقي

موقفك مع موقف هؤلاء الرجال.

● ولكن ماذا لو كان موقفي يختلف عن موقفهم؟

ـ في هذه الحالة ينبغي عليك الا تلتقي بهم، لأنك لا تستطيع إضاعة وقتك في محاولة جمع المال من أناس لا تتفق وجهة نظرك مع وجهة نظرهم. ولا بد لك حين تلتقي بهم أن تكون قد جمعت ما يلزمك تقريبا ثم تقول لهم أنك تتفق معهم في نظرتهم لشأنهم أو على الأقل أن تجعلهم يظنون انك تتفق معهم.

● ومتى أتحدث للناخبين؟

ـ في وقت متأخر جدا، بعد أن تكون قد جمعت المال اللازم من اللجان السياسية. واهمية هؤلاء تتزايد باستمرار، لأنهم لا يقدمون لك المال الذي يجمعونه من اتباعهم فقط وإنما سيتعهدون لك بأن يرسل مؤيدوهم لك الشيكات. فالدعم المالي اصبح الآن هو أساس اللعبة السياسية.

● وهل أستطيع بعد الحصول على أموال المؤيدين أن اعبر عن موقفي الذي أؤمن به من مختلف القضايا؟

ـ كلا ينبغي عليك أن تنتظر حتى تقوم بشن حملة إعلانية بريدية لجمع الأموال لصندوق الحملة الانتخابية.

● وكيف أقوم بهذه المهمة؟

ـ تأخذ المال الذي جمعته من القطط السمان ومن اللجان السياسية ثم تحوله إلى أحد البيوت المتخصصة في تنمية صناديق الحملات الانتخابية.

● وماذا اقول في رسالتي لمثل هذا البيت؟

ـ عليك أن تقول لهم أنك الشخص الأفضل تأهيلا لمنصب رئيس الولايات المتحدة. ولكنك لا تفعل ذلك بدون تأييد المجموعات الصغيرة من الناس الذين لهم اهتمامات معينة بمصالحهم، ودعم زعماء الاتحادات والنقابات الذين لهم مصلحة في دعمك. وهذا هو سبب قيامك بدعوتهم لساندتك عن طريق البريد. ولا يمكنك العمل لاستعادة الحلم الأميركي بدون مساهمتهم، مهما كانت هذه المساهمة ضئيلة. والحملة البريدية قد تكلفك مليوني دولار، ولكنك بقليل من الحظ ستكسب خمسة ملايين دولار. وعند ذلك تكون قد حصلت على ما يجعل حملتك ناجحة.

● هل أنت متأكد أن كل شاب ولد وشب في الولايات المتحدة يمكنه ان يصبح رئيسا؟

ـ بالطبع، يا آرتشي، ما دامت لك القدرة على جمع المال.

●

□ ارت بوكوالد: من أشهر المعلقين السياسيين الساخرين في الولايات المتحدة الأميركية.

عن جريدة «الهيرالدتربيون» الأميركية.



قسيمة اشتراك

اقطع هذه القسيمة وأرسلها مرفقة بقيمة الإشتراك باسم مجلة تاريخ العرب والعالم إلى العنوان التالي:

شارع السادات - بناية أبو هليل - ص.ب: ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان

الاسم الكامل: ____________________

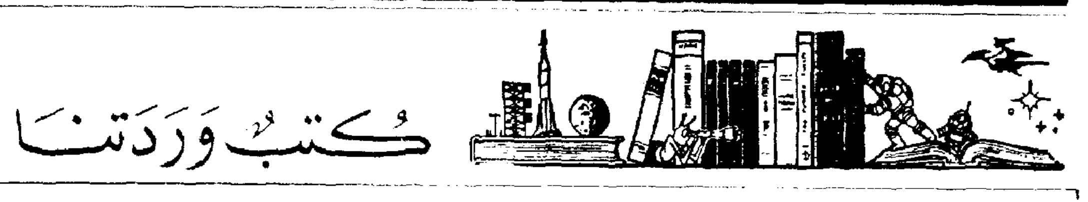
العنوان: ____________________

المدينة: ____________________

الامضاء: ____________________

أرفق اشتراكي: □ شك □ شك بريدي □ حوالة بريدية

اشتراك لمدة: □ سنة (١٢ عدد)



كتب وردتنا

□ **المرشد الطبي والاسعاف الأولي:**
دليل مصوّر للطوارىء والاعراض
منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ــ ٢٢٥ صفحة .... اميل خليل بيدس

□ **دليل الطفل الطبي: مع صور إيضاحية**
دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٨٣ ــ ٢١٢ صفحة .... نقله إلى العربية: أميل خليل بيدس

□ سلسلة من التراث العربي: **معيد النعم ومبيد النقم**
الإصلاح السياسي والاداري في الدولة العربية الإسلامية
دار الحداثة للطباعة والنشر ــ بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣ ــ ١٨٦ صفحة .... تاج الدين عبد الوهاب السبكي

□ **العلوم عند العرب**
تبويب وتعاريف ونصوص:
منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ١٩٨٣ .... إعداد: الدكتور يوسف ق. خوري

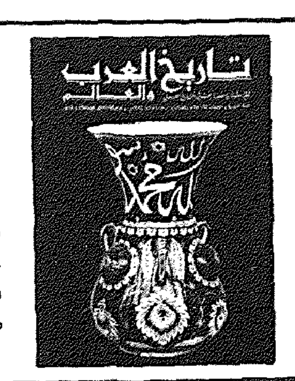
□ **السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية:**
دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ١٩٨٣ .... تأليف: الامام شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية ٦٦١ ــ ٧٢٨هـ
تحقيق: لجنة احياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة.

□ **الاسلام والتاريخ**
الاسلام في نظره إلى الله والانسان والمجتمع والتاريخ
دار الكتاب العربي ١٩٨٣ ــ ١٩١ صفحة .... تأليف: عمر فروخ

□ **البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر**
«محمد بن قايتباي» (٩٠١ ــ ٩٠٤هـ / ١٤٩٥ ــ ١٤٩٩م) المنسوب إلى «ابن الشحنة»
دار الكتاب العربي، طبعة أولى ١٩٨٣م
١٨٤ صفحة .... تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري

□ **أشجار الحدائق وشوارع المدن بالوطن العربي**
الناشر: شركة الصفحات الذهبية المحدودة للطباعة والنشر الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م
١٦٥ صفحة .... دكتور مهندس: محمد حماد
المهندس: فتحي سالم

□□ حوض الوضوء الكبير يتوسط الصحن الواسع في مدرسة السلطان حسن في القاهرة، تعلوه قبة تقوم على ثمانية أعمدة من الرخام ويجلل أعلاها آيات قرآنية كريمة.



الغلاف الأول:

قنـــديل

قدمه محمد باشا الاستانبولي إلى مسجد «سوقلو». وهو من سيراميك «ازنيق» وتاريخه حوالي ١٥٧١. ويقدر ارتفاعه بـ ٤٧,٥ سم. مودع في متحف طوبقبو سراي باستانبول.

- المقالات والدراسات ترسل باسم رئيس التحرير على عنوان المجلة ص.ب ٥٩٠٥ في بيروت.
- المقالات والدراسات التي تنشر لا تعبّر بالضرورة عن آراء المجلة.
- المواد الواردة إلى المجلة لا تردّ إذا لم تنشر.